بسم الله الرحمن الرحيم

مفاهيم إسلاميّة

سلسلة دروس و محاضرات
ألقت الأضواء على جوانب الحياة المختلفة
العلميّة والثقافيّة والاجتماعيّة
والاقتصاديّة والتاريخيّة وغيرها

الجزء الأوّل

تأليف
سماحة الشيخ
حسين العايش البرّاك

سرشناسه	:	عایش، حسین، ۱۹۶۱ - م.
عنوان و نام پدیدآور	:	مفاهیم اسلامیه: سلسله دروس و محاضرات القت‌الاضواء علی جوانب‌الحیاة‌المختلفه .../ تالیف حسین العایش‌البراک.
مشخصات نشر	:	قم: دارالتفسیر، ۱۴۳۹ ق.= ۱۳۹۷.
مشخصات ظاهری	:	۲ ج.
وضعیت فهرست نویسی	:	فیپا
یادداشت	:	عربی.
یادداشت	:	ج.۲ (چاپ اول: ۱۴۳۹ ق. = ۱۳۹۷)(فیپا).
یادداشت	:	کتابنامه.
موضوع	:	اسلام -- بررسی و شناخت
موضوع	:	Islam -- Study and teaching
رده بندی کنگره	:	BP۱۱/۱۳۹۷ م۲ع۷/
رده بندی دیویی	:	۲۹۷
شماره کتابشناسی ملی	:	۵۲۱۹۱۶۱

مفاهيم اسلاميه (الجزء الاول)

....

بقلم: سماحة الشيخ حسين العايش البرّاک

الناشر: **دارالتفسير**

الطبعة: **الاولي/ ۱٤۳۹ ق**

المطبعة: **وفا**

عدد النسخ: ۱۰۰۰

ردمك ج۱: ٤-٥٩٠-٥٣٥-٩٦٤-٩٧٨

ردمك الدورة: ٨-٥٩٢-٥٣٥-٩٦٤-٩٧٨

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين ،

والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمّد وآله الطاهرين

وبعد :

فهذه مجموعة من الدروس والمحاضرات التي ألقيتها في بعض المساجد والحسينيّات ، وبعض المنتديات ، حرصت أن تكون زاداً للمسلم الملتزم ، يتعرّف فيها على حكمة التشريع وبعض أبعاده ، ويعي كيفيّة التعامل مع أُمّته الإسلاميّة بأطيافها المتعدّدة انطلاقاً من ثقافة إسلاميّة أصيلة أرسى دعائمها النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ، وقد حاولت جاهداً أن تكون شراباً سائغاً لسهولته ووضوحه ، وانسجام معانيه بعضها مع بعضها الآخر ، وكذلك ركّزت على مسؤوليّة الفرد تجاه أُمّته وفهمه لتلكم المسؤوليّة ، وتعاطيه الإيجابي من خلال ثقافته العقديّة المؤصّلة ، وعرّجت على الجنبة الاقتصاديّة لما لها من أهمّيّة فائقة على الفرد والمجتمع ، وبيّنت كذلك أهمّيّة الوعي السياسيّ من خلال فهم ضوابط الحكم في الإسلام الذي من خلاله يجسّد المسلم

الحرّيّة والعدالة والتطبيق الدقيق للقانون الإسلاميّ، وختمت ببعض الدروس والعبر من التاريخ.

آملاً أن يشكّل ذلك زاداً للمسلم الرساليّ الملتزم.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(١)

الشيخ حسين العايش البرّاك

---

(١) هود ١١: ٨٨.

دليل الجزء الأوّل

الباب الأوّل

التشريع والتشريعات الإسلاميّة

١١ ـ ١٦١

حكمة التشريع في المنظور الإسلاميّ ١٣

الانسجام العقليّ والفطريّ في الأحكام الشرعيّة ١٩

القسم الأوّل: المرونة والانسجام في الأحكام ١٩

القسم الثاني: الانعكاسات الإيجابيّة والسلبيّة للحكم الشرعيّ ٢٧

التشريع بين القانون الإلـهيّ والوضعيّ ٣٣

القسم الأوّل: المصلحة العامّة في واقع التشريع الإلـهيّ ٣٣

القسم الثاني: الخير بين المشرّع الإنسانيّ والإلـهيّ ٤١

القسم الثالث: الأنبياء بين التشريع الإلٰهيّ وإصلاح القانون الوضعيّ ٤٦

القسم الرابع: المبادئ الإنسانيّة ثوابت إسلاميّة في الحرب والسِّلْم . ٥٣

التسامح الدينيّ في رسالة النبيّ ﷺ ٥٩

مراعاة الضوابط الشرعيّة عند الاختلاف ٦٧

السحر بمنظور شرعيّ ٧٥

فلسفة الصوم العباديّة والاجتماعيّة ٨٣

الأبعاد المعنويّة والاجتماعيّة للصوم ٨٩
مراتب الصوم في البُعد المعنويّ ٩٥
الصوم رقيّ نحو درجات الكمال ١٠٣
التكامل المعنويّ هدف لتشريع الصوم ١١١
الآثار التكامليّة لصيام شعبان ١١٧
شهر الله خصائص ومميّزات ١٢٥
صوم رمضان زادٌ في تقوى الرحمن ١٣٥
الخصائص التكوينيّة للتكامل في شهر رمضان ١٤٣
مكتسبات شهر رمضان ١٥١
زكاة الفطرة في أبعادها الواقعيّة ١٥٧

الباب الثاني

الأمّة الإسلاميّة

١٦٣ ـ ٣١١

أُسس التقدّم الحضاريّ للبشريّة ١٦٥
القسم الأوّل: التكريم الإلـهيّ للإنسان ١٦٥
القسم الثاني: مقوّمات تطبيق القانون ١٧٢
القسم الثالث: القانون مبدأ العدالة الاجتماعيّة ١٧٩
القسم الرابع: مقوّمات تطبيق القانون ١٨٥
أُسس التقدّم والنجاح ١٩١

القسم الأوّل: الشباب واستغلال أسباب التقدّم ١٩١

القسم الثاني: معرفة النفس ومبدأ الاختيار ١٩٧

القسم الثالث: الاستفادة من النعم الإلـهيّة ٢٠٣

القسم الرابع: التغيير نحو الأفضل ٢٠٩

القسم الخامس: دور القدوة في النجاح ٢١٦

القسم السادس: مبادئ الهدف الطموح ٢٢١

القسم السابع: مبادئ السير والسلوك إلى الله تعالى ٢٢٨

القسم الثامن: الالتجاء إلى الله تعالى ٢٣٦

المنهج القرآنيّ في وحدة الأُمّة ٢٤٥

أُسس الوحدة الإسلاميّة ٢٥٣

الوحدة الإسلاميّة منشأ السلّم الاجتماعيّ ٢٦١

الأُمّة الإسلاميّة بين المنهج والتطبيق ٢٦٧

وحدة الأُمّة منطلق التوحيد العقديّ ٢٧٧

المنهج الإسلاميّ في التعامل مع الآخر ٢٨٥

القسم الأوّل: الوسطيّة في مواجهة التطرّف ٢٨٥

القسم الثاني: النتائج السلبيّة في التعامل مع الآخر ٢٩٢

المرجعيّة مواقف وسلوك تجاه الإرهاب ٢٩٩

الأُخوة في المنظور الإسلاميّ ٣٠٥

الباب الثالث

التاريخ

٣١٣ ـ ٣٤٠

دروس مستوحاة من معركة أُحُد ٣١٥
المعطيات التاريخيّة والأخلاقيّة في معركة حُنين ٣٢٥
دروس وعبر مستوحاة من المباهلة ٣٣٥

مصادر الكتاب

٣٤١ ـ ٣٤٨

محتويات الكتاب

٣٤٩ ـ ٣٧٣

الباب الأول

التشريع والتشريعات الإسلاميّة

حكمة التشريع في المنظور الإسلاميّ

قال تعالى :

﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْـمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾(١)

نعتقد نحن الإماميّة بأنّ التشريعات في الإسلام إنّما شُرّعت على أساس وجود مصالح ومفاسد فيما أمر الله تعالى به وفيما نهى عنه ، فهناك مصلحة فيما أمر ومفسدة فيما نهى عنه . ويعبّر العلماء عن ذلك بتبعيّة الأحكام للمصالح والمفاسد ، وقد أشار إليها القرآن الكريم ، وأوضحتها الأحاديث الواردة عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله والأئمّة عليهم‌السلام في مناحي متعدّدة .

قبل استعراض تلك الأحاديث نشير إلى مبدأ هامّ في الحياة هو مبدأ التضادّ والتضارب بين المصالح والمفاسد من ناحية ، والتضادّ بين المصالح الدائمة والمؤقّتة من ناحية اُخرى .

فهناك منافع ومصالح دائمة ومنافع ومصالح مؤقّتة يحصل عليها الإنسان في آنه لكنّها قد تنقلب وتتحوّل إلى مفاسد تؤثّر على وجوده ، ويندرج تحت عنوان هذا المبدأ شرب الخمر ، فهو حرام ، لكنّه يشتمل على مصلحة مؤقّتة ، غير أنّ

---

(١) الإسراء ١٧ : ٩.

تلك المصلحة عندما ينظر إليها الإنسان يرى بأنّ المفاسد المترتّبة عليها هي أكبر وأعظم ، وهلمّ جرّاً ، وكذلك الحال بالنسبة للنظرة المحرّمة يلتذّ بها الإنسان بادئ الأمر لكنّها تؤثّر عليه سلبيّاً بما تجلبه من المفاسد الدائمة . جاء في الروايات أنّ النظرة سهم الشيطان الذي يصيب به المؤمن ، أي أنّ الشيطان يصطاد فرائسه بواسطة أدوات منها النظرة التي ينظر بها المؤمن إلى ما حرّمه الله تعالى عليه ، ويندرج في هذا المجال مجموعة من الأُمور منها الخديعة ، فقد يؤتمن الإنسان على أمانة ، ثمّ لا يؤدّيها لمن ائتمنه إيّاها ، فينتفع بها مؤقّتاً ثمّ تنقلب عليه ضرراً دنيويّاً قبل عالم الغيب في الآخرة الذي يختلف في حقائقه عن العالم الذي نعيشه .

حكمة التشريع في روايات أهل البيت عليهم السلام :

أشارت الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام إلى أنّ الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد ، نقتطف بعضاً :

منها : قوله صلى الله عليه وآله : « **يَا عِبَادَ اللهِ ، أَنْتُمْ كَالْمَرْضىٰ ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَالطَّبِيبِ ، فَصَلَاحُ الْمَرْضىٰ فِيمَا يَعْلَمُهُ الطَّبِيبُ وَيُدَبِّرُهُ بِهِ ، لَا فِيمَا يَشْتَهِيهِ الْمَرِيضُ وَيَقْتَرِحُهُ. أَلَا فَسَلِّمُوا للهِ أَمْرَهُ تَكُونُوا مِنَ الْفَائِزِينَ** »(١) .

وهو من أروع وأفضل الأمثلة التي توضّح حقيقة المطلب ، فالمصاب ببعض الأمراض التي تفتك به على المدى البعيد ، كداء السكّري أو الضغط ، قد يشتهي بعض السكّريّات أو الموالح ، لكن الطبيب يمنعه منها ، رغم أنّ المريض يلتذّ بها عند تناولها لكنّها داؤه القاتل .

وينطبق ذلك على الأحكام الإلهيّة التي تسنّ تشريعاتها من مبدأ المصالح والمفاسد ، فإذا انسجم الإنسان مع الحكم والقانون الشرعيّ حصل على ما يريده

---

(١) بحار الأنوار : ٤ : ١٠٧ .

في الدنيا والآخرة ، وتتبلور هذه الحقيقة في التشبيه الرائع من لدن المصطفى صلى الله عليه وآله حين قال : « **أَنْتُمْ كَالْمَرْضىٰ ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَالطَّبِيبِ** » ، ما هو الأمر الذي يصلح حال المريض ؟ أجاب صلى الله عليه وآله : « **فَصَلَاحُ الْمَرْضىٰ فِيمَا يَعْلَمُهُ الطَّبِيبُ** » يعلم الطبيب الآثار التي تؤدّي بالمريض ، ثمّ قال : « **وَيُدَبِّرُهُ بِهِ ، لَا فِيمَا يَشْتَهِيهِ الْمَرِيضُ وَيَقْتَرِحُهُ** » .

ومنها : قول الإمام الباقر عليه السلام عندما سئل لِم حرّم الله الميتة والدم ولحم الخنزير ، فأجاب (صلوات الله وسلامه عليه) : « **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لَمْ يُحَرِّمْ ذَلِكَ عَلىٰ عِبَادِهِ ، وَأَحَلَّ لَهُمْ مَا سِوىٰ ذَلِكَ ، مِنْ رَغْبَةٍ فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ ، وَلَا زُهْدٍ فِيمَا حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنَّهُ تَعَالىٰ خَلَقَ الْخَلْقَ فَعَلِمَ مَا يَقُومُ بِهِ أَبْدَانُهُمْ ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ ، فَأَحَلَّهُ لَهُمْ وَأَبَاحَهُ ، وَعَلِمَ مَا يَضُرُّهُمْ فَنَهَاهُمْ عَنْهُ ، وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَحَلَّهُ لِلْمُضْطَرِّ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا يَقُومُ بَدَنُهُ إِلَّا بِهِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ بِقَدْرِ الْبُلْغَةِ لَا غَيْرِ ذَلِكَ** »(١) . وهكذا الأمر في جميع التشريعات .

ومنها : قول الإمام الرضا عليه السلام في رسالة له في المحرّمات : « **وَوَجَدْنَا الْمُحَرَّمَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا حَاجَةَ بِالْعِبَادِ إِلَيْهِ ، وَوَجَدْنَاهُ مُفْسِداً دَاعِياً الْفَنَاءَ وَالْهَلَاكَ** »(٢) .

الأُمور التي حرّمها الله تعالى لا يحتاجها العباد ، والأمر الآخر أنّها تؤدّي بمن يقترفها إلى الفناء والهلاك ، لكنّ الفناء والهلاك تارة يكون على مستوى الفرد وأُخرى على مستوى المجتمع .

يوضّح الإمام الرضا عليه السلام هذه الحقيقة بتعبير غاية في الدقّة ، فيقول « **وَاعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ التَّسْلِيمُ لِمَا عَقَلْنَاهُ وَلِمَا لَمْ نَعْقِلْهُ** »(٣) .

---

(١) علل الشرائع : ٢ : ٤٨٣ و ٤٨٤ .

(٢) علل الشرائع : ٢ : ٥٩٢ .

(٣) فقه الرضا : ٣٣٩ .

«

أيّ أنّ هناك كثيراً من الأمور لا يدرك الإنسان كنهها بالنظرة البسيطة لكنّه يعلم بأنّ الله تعالى شرّعها لمصلحته، ولا يشرّع الله تعالى إلّا ما فيه الصلاح والخير للإنسانيّة جمعاء، بل للكون بأكمله، لكنّ بعض الأشياء قد يصل الإنسان لإدراكها وعبّر عنها الإمام عليه السلام: «**لِمَا عَقَلْنَاهُ**»، وبعض الأشياء يجهلها الإنسان الذي ينظر النظرة المحرّمة وهو يشعر باللذّة والمتعة ولا يدرك حقيقة العمل الذي قام به، والوبال الذي سيعود عليه.

ومنها: قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لَيْسَ الْعاقِلُ مَنْ يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَلكنَّ الْعاقِلَ مَنْ يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرَّيْنِ**»(١).

كثير من الناس يعرف خير الأشياء وشرّها، غير أنّ هناك مبدأ آخر يدخل في هذه المعادلة، وهو أنّ هناك شرّاً كثيراً وشرّاً قليلاً، فكيف يستطيع المرء أن يتجنّب الشرّ الكثير؟

أوضح الإمام عليه السلام ذلك: «... **وَلكنَّ الْعاقِلَ مَنْ يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرَّيْنِ**»، أي عند المقارنة بين الشرّين يعرف أيّهما يتعيّن تركه.

وقد بيّن القرآن الكريم هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ**

» قال عليه السلام: «**فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي، وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ، أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلىٰ مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدىٰ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمىٰ**». بحار الأنوار: ٧٥: ٣٥٨ و ٣٥٩.

(١) مطالب السؤول: ٤٩.

إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾(١). خلق الله تعالى الخلق لعبادته التي هي غاية للخليقة ؛ لأنّها تؤدّي إلى خير الخلق وصلاحهم ، وتؤدّي إلى معرفة الله تعالى ، والاستقامة بتطبيق أحكامه تعالى ، والسير في طريق عبوديّته ، قال تعالى : ﴿**وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾(٢)، فالسبل والمناهج الأُخرى تختلف عن المنهج الربّانيّ ولن توصل إلى خير الإنسانيّة ، وإنّما قد توصل إلى خير مؤقّت أو صلاح مؤقّت ، لكن الصلاح الدائم والعظيم يكمن في السير على المنهج الإلهيّ ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾(٣)، أي ليسيروا على منهاج الله تعالى .

ونلفت نظر الإخوة إلى الآية التي استهللنا بها حديثنا ﴿**إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(٤) بأنّها تشير إلى أنّ وجود مناهج متعدّدة لكنّ الأقوم والأفضل هو المنهج الربّانيّ الذي شرّعه القرآن الكريم ، وأوضحته السنّة المطهّرة .

---

(١) الذاريات ٥١ : ٥٦ و ٥٧.

(٢) الأنعام ٦ : ١٥٣.

(٣) الذاريات ٥١ : ٥٦.

(٤) الإسراء ١٧ : ٩.

الانسجام العقليّ والفطريّ في الأحكام الشرعيّة

القسم الأوّل

المرونة والانسجام في الأحكام

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾[١].

﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٢].

تتلاءم الشريعة الإسلاميّة في أحكامها وقوانينها الإنسان في كلّ زمان ومكان، بل أنّ الدين الإسلاميّ في تلاؤمه مع الإنسان في الزمان والمكان المختلفين فريد، أمّا الأديان السماويّة الأُخرى فترد عليها إشكالات كثيرة، وهي ـ بالإضافة إلى عدم تلاؤمها مع حكم العقل، وعدم انسجامها مع الفطرة ـ غير قادرة على حلّ مشاكل الإنسان المختلفة.

مظاهر الانسجام في الدين الإسلاميّ:

الدين الإسلاميّ لكونه خاتم للأديان السماويّة، وناسخ لكلّ الشرائع، فهو

---

(١) البقرة ٢: ٢٨٦.

(٢) البقرة ٢: ١٥٨.

منسجم في المظاهر التالية:

الأوّل: الانسجام في المكان والزمان.

صلاحيّة الإسلام لكلّ زمان ومكان، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(١)، وما ذلك إلّا لكون الإسلام يُلبّي حاجات الإنسان في كلّ زمان ومكان.

الثاني: الانسجام مع العقل.

عندما نلحظ الديانة المسيحيّة القائمة على التثليث نجد المسيحيّ يؤمن بالله الواحد الأحد، ويؤمن بأنّ الواحد ثلاثة، وهذه من أوّليّات الديانة المسيحيّة، غير أنّ منطق العقل يحكم بأنّ الواحد لا يكون ثلاثة، والثلاثة لا تكون واحداً. والأديان السماويّة رغم أنّها جاءت من الله تعالى لكن يد التحريف طاولت تلك الأديان وجعلتها لا تمثّل السماء، ولا تنسجم مع منطق العقل، ولم يبقَ دين ينسجم مع منطق العقل إلاّ الدين الإسلاميّ.

الثالث: الانسجام مع الفطرة.

أبان الذكر الحكيم الانسجام مع الفطرة، قال تعالى: ﴿**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ**﴾؛ ذلك أنّ الإنسان يجد في تطبيقه للأحكام الشرعيّة الراحة النفسيّة والرقيّ المعنويّ والتكامل المادّيّ.

كيفيّة الانسجام بين الدين والعقل:

لإيضاح الانسجام بين الدين والعقل نذكر الأُمور التي أشار إليها العلماء في

---

(١) آل عمران ٣: ٨٥.

الانسجام بينهما:

الأوّل: الترابط بين الحكم الشرعيّ والعقليّ.

أوضح العلماء قاعدة الملازمة وهي: أنّ كلّ ما حكم به العقل حكم به الشرع، وبعضهم عكس القاعدة ورأى أنّ لها شِقّين، الشقّ الثاني أنّ كلّ ما حكم به الشرع حكم به العقل، بمعنى الانسجام بين أحكام العقل وأحكام الشارع المقدّس، فأحكام الشارع وأحكام العقل مترابطة، وقد بُحث ذلك بتفصيلٍ في علم الأُصول، نشير إلى خلاصة مركّزة لما أبانه الأُصوليّون في كتبهم، حيث قالوا: إنّ الأحكام الشرعيّة صدرت من الحقّ تعالى على أُسس ومصالحٍ وحكمٍ.

الثاني: العقل لا يدرك جميع علل الأحكام.

لا يوجد حكم في الشريعة الإسلاميّة ليس له أساس، بل أنّ كلّ الأحكام الشرعيّة الإسلاميّة لها علل، غير أنّ العقل قد يدرك بعض عللها وتخفى عليه بعض العلل الأُخرى للأحكام الشرعيّة، إلّا أنّ كلّ الأحكام الشرعيّة معلّلة، وكثير منها لا تعرف علّته ويعرف وجه الحكمة منه فقط، وذلك لا يضيرنا لجزمنا أنّ جميع أحكام الشارع المقدّس لها علل.

الثالث: الحكم تابع لعلّته.

تدور الأحكام مدار وجود العلل، وإذا انتفت علّة الحكم انتفى الحكم، إلّا أنّ بعض الأحكام الشرعيّة صرّحت الروايات بإيضاح العلّة فيها، فالخمر حرّمت لإسكارها، وإذا شارك الخمر شيء آخر يوجب الغلبة على العقل والسيطرة عليه حرّم كحرمة الخمر، وسمّى العلماء هذا القياس بمنصوص العلّة، وهو قياس يستنبط منه حكم شرعيّ، وكذلك يستنبط الحكم من قاعدة الملازمة كلّ ما حكم به العقل

حكم به الشرع ، وكلّ ما حكم به الشرع حكم به العقل ، فإذا أدرك العقل علّة حكمٍ حكم به ، وإذا لم يدرك العلّة أذعن العقل بأنّ ما حكم به الشارع له علّة محكمة ؛ لأنّ الله تعالى لا يُشرّع عبثاً ، فهو حكيم وأحكامه معلّلة بالأغراض ، ولا يمكن أن يصدر من الشارع حكم ليس له حكمة وعلّة ، وهذا واضح في مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

كيفيّة الانسجام بين الدين والفطرة .

يتّضح الانسجام بين الدين والفطرة في الأُمور التالية :

أوّلاً : سهولة الأحكام الشرعيّة .

لا استيحاش بين الأحكام الشرعيّة وبين الفطرة ، بل انسجام وتلاؤم بين مقتضيات الفطرة مع الأحكام الشرعيّة للسهولة واليسر في الشريعة الإسلاميّة ، فهي سهلة سمحاء ، روي : « **أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ما خُير بين أمرين إلّا اختار أيسرهما ما لم يكن فيه إثماً ، فإنْ كان إثماً كان أبعد الناس عنه** »(١) .

قال بعض العلماء : « إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله إذا خُيّر بين أمرين يرجعان إلى التكليف العامّ للأُمّة يختار الحكم الأيسر والأسهل الذي يتّصف بالمرونة في التطبيق ، والفقيه هو الذي لا يُقنّط الناس من رحمة الله ، ولا يصعّب عليهم أحكام الدين فينفّرهم منه ، بل يبيّن جانب المرونة في التشريع الإسلاميّ والسهولة والسماحة ، والانسجام بين الدين والفطرة ، غير أنّ هناك من يعيش الصعوبة والعسر ، ويجانب المرونة للتشريع » .

ولإيضاح ذلك نبيّن أنّ الله تعالى أرسل خاتم الأنبياء والرسل صلى الله عليه وآله لسعادة البشريّة ، وإيصالها إلى الخير في عالمي الدنيا والآخرة ، وهذه قاعدة مسلّمة لا شكّ

(١) مسند أبي يعلى : ٧ : ٣٤٥ .

فيها، ومن علم بها سهل عليه فهم مقاصد الشريعة واستيعاب أحكامها، أمّا من لا يفقه ذلك فيقع في مطبّات عسيرة، ويصاب ببعض الأمراض جرّاء التدقيق الزائد عن الحدّ في الأحكام الشرعيّة، كمن أُصيب بالوسواس القهريّ ورأى أنّ كلّ شيء نجس، فإنّه يقضي ساعات طويلة دون أن يستطيع تأدية الفريضة حتّى يسأم من حياته لتزمّته في الدين، رغم أنّ الدين الإسلاميّ يريد لمعتنقه أن يفقه السهولة والمرونة في تطبيقه ليصل إلى الارتياح واللذّة في الأخذ به، ولا يتحقّق ذلك إلّا بنفي العسر والحرج. قال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[(١)].

ثانياً: إلغاء بعض الأحكام الحرجيّة.

لعلّ إلغاء الرسول ﷺ بعض الأحكام الشرعيّة الموجبة للحرج وإخراجها من الدين يرجع إلى ما بيّنّاه فهو ﷺ ألغى حكم الملكيّة الوضعيّة، وجعل المالك لا يملك؛ لأنّ الإسلام لا يريد الضرر والعسر للآخرين، فأمر النبيّ ﷺ الأنصاريّ بقلع نخلة سمرة بن جندب، وقال: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرار**»[(٢)]؛ لأنّ الإسلام يريد الخير والسعادة للإنسان، وكلّ حكم يترتب عليه الإضرار بالنفس أو بالغير يرتفع،

---

(١) الحجّ ٢٢: ٧٨.

(٢) بحار الأنوار: ٢: ٢٧٦.

عن أبي جعفر عليه السلام: «**أَنَّ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ كَانَ لَهُ عَذْقٌ فِي حَائِطٍ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَ مَنْزِلُ الْأَنْصَارِيِّ بِبَابِ الْبُسْتَانِ، فَكَانَ يَمُرُّ بِهِ إِلىٰ نَخْلَتِهِ وَلَا يَسْتَأْذِنُ، فَكَلَّمَهُ الْأَنْصَارِيُّ أَنْ يَسْتَأْذِنَ إِذَا جَاءَ، فَأَبىٰ سَمُرَةُ، فَلَمَّا تَأَبَّى جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ وَخَبَّرَهُ الْخَبَرَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَخَبَّرَهُ بِقَوْلِ الْأَنْصَارِيِّ وَمَا شَكَا، وَقَالَ: إِذَا أَرَدْتَ الدُّخُولَ فَاسْتَأْذِنْ، فَأَبىٰ، فَلَمَّا أَبىٰ سَاوَمَهُ حَتّىٰ بَلَغَ مِنَ الثَّمَنِ مَا شَاءَ اللهُ، فَأَبىٰ أَنْ يَبِيعَ، فَقَالَ: لَكَ بِهَا عَذْقٌ مُذَلَّلٌ فِي الْجَنَّةِ، فَأَبىٰ أَنْ يَقْبَلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْأَنْصَارِيِّ: اذْهَبْ فَاقْلَعْهَا وَارْمِ بِهَا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**».

وقد اصطلح على ذلك أصولياً بأنّ قاعدة لا ضرر حاكمة ورافعة للحكم الشرعي الذي يترتّب عليه ضرر على النفس أو المال أو العرض.

ثالثاً: قيام الدين على المصالح ودرء المفاسد.

بُني الدين على المصالح ودرء المفاسد، ويفيدنا هذا في كثير من الأُمور، من جملتها:

الأوّل: سهولة التطبيق لأحكام الحجّ.

من يرى أنّ أحكام الحجّ صعبة عسيرة لم يلتفت إلى النصوص القرآنيّة والروائيّة، أو يجهل التطبيق العمليّ للنبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام، فالطواف حول البيت لدى بعض الناس غاية في صعوبته، يشكّ في عدد الأشواط، أو في الطهارة، أو في المحاذاة، أو في البدء من الحجر والانتهاء إليه، ويعيش حالة من العناء وكأنّه في ساحة حرب، غير أنّ من فهم الشريعة والتفت إلى اليسر وجد أنّ الطواف غاية في السهولة واليسر، والنبيّ ﷺ طاف على بغلته، وهو القدوة والأُنموذج الكامل للسهولة واليسر في الشريعة الإسلاميّة.

الثاني: الطهارة والصلاة.

وكذا الحال في أداء الصلاة، فهي عمود الدين، إنْ قبلت قبل ما سواها وإنْ ردّت ردّ ما سواها، والله تعالى أوجب الصلاة بالطهارة المائيّة، غير أنّ من فقد الماء أو تضرّر باستخدامه ساغ له التيمّم، وإذا استخدم الماء في مرض لا يبرأ، أو يبقى مدّة طويلة، فوضوئه باطل لمخالفته التكليف الشرعيّ؛ لأنّ الله تعالى يريد للمسلم اليسر والسير في جادّة الصواب، ومن يحكم من عنديّاته، فهو لا يريد السير على وفق التشريع الإسلاميّ.

في الإسلام سياسة توازن بين النفس والأهل والمال والمجتمع، ومن راعى التطبيق العمليّ للحكم الشرعيّ، وابتعد عن الضرر والحرج، هُدي إلى صراط

مستقيم ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[١].

الثالث : الطبّ والمرأة.

من تطبيقات هذه القاعدة معالجة الطبيب المختصّ للمرأة الأجنبيّة عند فقدان الطبيبة ، أو تولّي الولادة وإجراء العمليّات للمرأة الأجنبيّة ، من لا يقبل بهذا الحكم ويتعنّت حتّى مع تحقّق الضرر ، فهو رادّ لحكم الله تعالى ، إنّ حكم الله تعالى مراعٍ فيه حفظ النفس وحفظ المال ، ولا يسوغ تطبيق الحكم الشرعيّ على وفق الأهواء والميول ، كما لا يجوز التعدّي على أحكام الشريعة . قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[٢].

فإذا وجدت المرأة المماثلة لها وجب عليها العلاج لديها ، أمّا مع عدم ذلك فيجوز لها التداوي عند الطبيب المختصّ ، والحكم الأوّليّ هو عدم العلاج عند الرجل الأجنبيّ إلّا في حال فقدان المرأة المختصّة.

وكذا الحال في إنقاذ المرأة الأجنبيّة فلا يسوغ الانتظار إلى وجود المحرّم ، بل يجب الإنقاذ فوراً ، مع أنّ حملها يتوقّف على مسّها ، إلّا أنّ ذلك سائغ ، ومن لا يفعل ذلك ويتنطع فهو مخالف لحكم شرعيّ.

الرابع : المرض والصيام.

لا يجوز للمريض الصوم في رمضان ، ولو صام بطل صومه ، بل قد لا يكون مقبولاً ؛ وذلك أنّ الله تعالى يريد أن يطاع في دائرة التكليف الشرعيّ ، وقد ورد في الروايات ، «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِرُخَصِهِ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِعَزَائِمِهِ**»[٣].

---

(١) البقرة ٢ : ١٥٨.

(٢) الطلاق ٦٥ : ١.

(٣) وسائل الشيعة : ١٦ : ٢٣٢ ، باب ٢٨ من أبواب الأمر والنهي ، الحديث ٢٠.

نظرات خاطئة في فهم الدين:

لدى بعض الناس رؤى ضيقة في فهم الدين، سنستعرض شواهد لذلك:

الأوّل: النظر للدين من زاوية ضيّقة.

يربّي بعض طلبة العلم الناس على الأُطر الضيّقة والثقافة المحدودة، ويجانب دوره في رفع المستوى الثقافيّ والعلميّ للأُمّة لتقترب من روح الإسلام، وتأنس بتطبيق الأحكام الشرعيّة، دون أن تصاب بملل قد يؤدّي إلى ترك الإسلام، بل أنّ بعض الناس ترك الإسلام كلّيّاً بسبب الفهم الضيّق، إنّ الآيات الصريحة والروايات الصحيحة التي جاءت عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام تؤكّد ما أسلفناه؛ وذلك أنّه لا يوجد عامّ إلّا وقد خصّ، ولا مطلق إلّا وقد قيّد، وإذا عرف الفقيه التقييد والتخصيص في الأحكام الشرعيّة، وفهم المرونة والوئام لها، عاش انسجاماً مع ذاته ومع المجتمع والطبيعة، وأقبل الآخذ للحكم الشرعيّ عليه بمحبّة.

الثاني: النظر للدين من زاوية شخصيّة.

يكره بعض المؤمنين أداء العمرة أو الحجّ للصعوبة والقلق الذي يعيشه، وينشأ ذلك من سوء الفهم للحكم الشرعيّ، وهناك قواعد كقاعدة الطهارة وقاعدة الحلّ وقاعدة الحرج يستفاد منها في التطبيق العمليّ، فقاعدة الطهارة تتيح للإنسان أن يتعامل مع الأشياء التي لا يعلم بنجاستها بالطهارة، «**كُلُّ شَيْءٍ طاهِرٌ حَتّىٰ تَعْلَمَ أَنَّهُ قَذِرٌ**»(١)، من يتوضّأ في مكانٍ لا يعلم بطهارته ـ كالمطارات والحمّامات العامّة ـ

---

(١) جواهر الكلام: ١٣: ٢٥٩.

وفي الوسائل: «**الْمَاءُ كُلُّهُ طَاهِرٌ حَتّىٰ تَعْلَمَ أَنَّهُ قَذِرٌ**». وسائل الشيعة: ١: ١٤٢، الباب ٤ من أبواب الماء المطلق، الحديث ٢.

يستفيد من قاعدة الطهارة ، وكذا الحال فيمن ابتلى بعسر أو حرج فيطبق قاعدة نفي الحرج ، ويعيش السهولة واليسر مع نفسه ومع الناس .

القسم الثاني

الانعكاسات الإيجابيّة والسلبيّة للحكم الشرعيّ

قال الله تعالى :

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾(١)

شرّع الله تعالى الأحكام لتكامل الإنسان الفرد والمجتمع ، فكلّ حكم شرّعه الله تعالى ليستفيد منه الإنسان كفرد أو اُمّة ، وللحكم الشرعيّ تأثير على أكثر من صعيد ينعكس إيجاباً على المجتمع ومفردات الكون الأُخرى ، سواءً كان الحكم إلزاميّاً أو غير إلزاميّ ، وسواءً أكان الحكم الشرعيّ يتكفّل الحضر والمنع أو الإيجاب ، الأحكام لها تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة في التكامل والتسافل على الفرد والمجتمع ، وسنشير إلى بعض انعكاساتها الإيجابيّة والسلبيّة في ذلك .

أقسام الحكم الشرعيّ .

قسّم العلماء الأحكام إلى إلزاميّة وغير إلزاميّة ، والحكم الإلزاميّ هو الذي لا يسوغ للمكلّف أن يدعه ، بل يجب عليه أن يلتزم به ، أمّا غير الإلزاميّ فهو حكم شرعيّ يسوغ للمكلّف أن يتركه ، غير أنّ الشارع حبّبه إليه ، وحضّه على الإتيان به

---

(١) الأعراف ٧: ١٠٠.

ـ كالمستحبّات ـ أو حضّه على تركه ـ كالمكروهات ـ.

انعكاسات الحكم الشرعيّ:

الحكم الإلزاميّ بالواجبات ـ كالصلاة والزكاة، والخمس والحجّ ـ والحكم الإلزاميّ بترك المحرّمات ـ كالكذب والزنا، والبخس في المكيال والميزان، والحسد والكبر، ومنع الحقوق الشرعيّة ـ كلّ منها له انعكاساته على الفرد والمجتمع، وتأثيراته في التكامل الفرديّ والاجتماعي، فالكذب وشرب الخمر والزنا والكبر ومنع الحقوق الشرعيّة الماليّة من زكاة وخمس، لها تأثيراتها التسافليّة.

آثار الكذب.

من يكذّب يلوّث نفسه ويتسافل، ويؤثّر سلباً على حركة المجتمع ونزاهته، بل يعطّل طاقاته بسلب الثقة به من ناحية، وبين أفراد المجتمع من ناحية أُخرى، ويصبح المجتمع إذا كثُر فيه الكذب لا يثق أفراده بعضهم ببعضهم الآخر، ويبنى التعامل بينهم على عدم الثقة بين الفرد والآخر، ولهذا التأثير السلبيّ للكذب على الفرد والمجتمع بالتسافل وسلب الإيمان، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾، للكذب مراتب لا نريد استعراضها وكيفيّة تأثير بعضها على سلخ الإيمان من الكاذب.

آثار شرب الخمر.

أمّا الخمر فيؤثّر **أوّلاً** على الفرد بتعطيل طاقاته العقليّة، **وثانياً** يسيئ إلى المجتمع، وذلك من خلال تعطيل طاقة الفرد لبرهة زمنيّة كان بإمكانه أن يحقّق فيها إيجاباً للمجتمع، لكنّه حوّل الطاقة الإيجابيّة إلى سلبيّة، وقد يزداد التأثير السلبيّ عندما يقوم شارب الخمر ببعض الأعمال، كالقتل والسرقة والتعدّي

على الآخرين ، فلتعدّياته تأثيراتها السلبيّة ، للحكم الإلزامي جنبتان : إحداهما تكامليّة ترفع الفرد والمجتمع ، والأُخرى تسافليّة ناتجة من عدم الالتزام بالحكم الشرعيّ توجب التسافل لهما .

آثار الزنا .

وكذا الحال في الزنا . قال تعالى : ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾(١) يؤثّر سلباً خاصّة الزنا بالمحارم الذي يوجب للإنسان الوقوع في أسفل درجات السافلين ، وللزنا درجات كالكذب ، بعض أنماطه محاربة للحقّ تعالى كالزنا بالمحارم ، الذي يتهاوى به الإنسان في درجات التسافل ، من هنا ينبغي التحذير من مشاهدة المسلسلات والأفلام الهابطة ، التي تتحدّث عن الزنا بالمحارم ، وتبثّ في بعض الفضائيّات ، فيسهل على المشاهد استصغار هذا الذنب العظيم الموجب للمقت والبعد عن الرحمة ، إنّ للزنا آثاراً سلبيّة متعدّدة منها : الإنجاب غير الشرعيّ الذي لا يعلم بعضٌ بتأثيراته السلبيّة ؛ إذِ الابن غير الشرعيّ يصبح ممقوتاً يواجه تربية صعبة قلّما يتاح له أن يقترب من الإيمان بسببها ، بل يعيش النقص ، وتصدر أعمال الإجرام منه ، فتؤثّر سلباً على المجتمع ، وفي التاريخ شواهد كثيرة لا نريد أن نتحدّث عنها ، بل يكفينا ما حصل من زياد ابن أبيه كيف قام ببعض الأعمال الإجراميّة التي يندى جبين الإنسانيّة لها ، والسبب في ذلك يرجع إلى السفاح .

آثار الكبر .

أمّا الكبر وما أدراك ما الكبر ، فله تأثيراته السلبيّة على الفرد والمجتمع ، وهو محاربة لله تعالى ؛ إذِ المتكبّر يرى نفسه في قبال الحقّ تعالى ، وبدلاً من التواضع

---

(١) الإسراء ١٧ : ٣٢.

لله تعالى ، والأخذ بأحكامه ، يتكبّر عليه ويتمرّد ، ويصبح محارباً له تعالى ، فيتسافل شيئاً فشيئاً لكونه لا يرعوي لقانون أو لحقٍّ أو يراعي حرمة ، بل ينظر دائماً إلى الأنا في نفسه بخلاف السويّ الذي يتواضع فهو أقرب إلى الذوبان في الفضيلة . إنّ التأثير السلبيّ للمتكبّر على نفسه وعلى المجتمع جدُّ كبير ، لذا قيل إنّ التكبّر على المتكبّر عبادة ، لإشعاره بواقعه وأنّه إنّما تكبّر لذلّة وصغار في نفسه .

آثار منع الحقوق الشرعيّة .

أمّا منع الحقوق الشرعيّة والبخل بها ، فتأثيره السلبيّ على النفس والمجتمع لا حدود له على النفس بتحوّلها من عبادته تعالى إلى عبادة المال ، فلا يرى الله تعالى بل يرى أهمّيّة المال وينصاع للإغراء الماليّ ولا ينصاع لأمر الحقّ تعالى ، ناهيك عن التأثيرات السلبيّة بمنع المال عن الفقراء والمعوزين ، وإيقاف أعمال الخير لحاجتها إلى الأموال كي تستمرّ في ديمومتها . إذن كلّ فعل يؤثّر سلباً على منحيين على الفرد والمجتمع ، بالإضافة إلى تأثيراته على المفردات الكونيّة الأُخرى .

التعدّي على القانون الإلـٰهيّ ظلم .

أشار بعض العلماء إلى أنّ الأحكام الشرعيّة ترجع في دوائرها المختلفة إلى الظلم الذي أبانه تعالى بقوله : ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾(١) ، أي من يتعدّى على القانون الإلـٰهيّ فقد ظلم نفسه ، ومن ثمّ يؤدّي به ظلمه لنفسه إلى قتله لها ، وتعدّيه على الآخرين ، وعدم انصياعه لأوامر الحقّ تعالى ، التي منها عدم البخل بالمال ، وعدم الامتناع عن أداء الحقوق الشرعيّة بإسدال ستار على ناظريه فلا يرى أوامر الله تعالى ، ولا يرى قوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ**

(١) الطلاق ٦٥ : ١ .

مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾(١).

الظلم مواجهة مع الله .

توضّح الروايات الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل بيته عليهم السلام هذا المنحى الظالم الذي يؤدّي إلى المقت .

قال إمامنا الصادق عليه السلام : « **قَالَ رَسُولُ اللهِ : اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّهُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** »(٢) .

وفي حديث آخر : « **اتّقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً ، فإنّه ليس دونه حجاب** »(٣) أي وإن كان من الكفّار ، فالله العادل لا يجعل حجاباً بين دعوة المظلوم وبينه تعالى ، وقد أوضح هذا المعنى الإمام الحسن عليه السلام عندما سُئل كم المسافة بين السماء والأرض فأجاب : « . . . **وَبَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ** »(٤) ، فدعوته مستجابة .

حقيقة الدعوة المستجابة .

لا يراد بالدعوة المستجابة هنا أن يرفع الإنسان يديه بالدعاء ، بل الدعوة بلسان الفطرة ، فالمظلوم يتولّى الله تعالى نصره ، ورغم أنّ الظلم له انعكاسات سلبيّة غير أنّ الله تعالى يتولّى حماية المظلوم الذي لا ناصر له بإحداث تأثيرات سلبيّة على الظالم في مناحٍ مختلفة من حياته .

---

(١) المعارج ٧٠: ٢٤ و ٢٥.

(٢) الكافي: ٢: ٣٣٢، الحديث ١٠.

(٣) كنز العمّال: ٣: ٥٠٠، الرقم ٧٦٠٢.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : « **أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُبْتَلَى الْمَغْرُورُ ، إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضَهَا إِلىٰ بَعْضٍ ، وَلَكِنْ بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنِّي لَا أَرُدُّهَا وَإِنْ كَانَتْ مِنْ كَافِرٍ** » . الخصال : ٢: ٥٢٥ .

(٤) الخصال : ٢: ٤٤١ .

عواقب الظلم.

وقد وصف الحقّ تعالى سوء ظلم الإنسان فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، ظلوم فعول، أي كثير الظلم، ممّا يؤدّي به إلى الكفر والجحود، ولا يراد بالكفر هنا الإنكار لوجود الحقّ تعالى، بل يراد به بعض أنحائه المتعدّدة من الجحود والنكران لبعض آياته، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾(١)، وتحدّث القرآن الكريم عن آثار ذلك، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾(٢)، فالظلم يؤدّي إلى الكفر، والفسق يؤدّي إلى الظلم، ثمّ إلى جحود وتسافل وبُعد عن الحقّ تعالى.

الانعكاس الإيجابيّ للحكم الشرعيّ.

أمّا الالتزام بالحكم الشرعيّ فيؤدّي إلى العكس من ذلك، ويوصل إلى تألّق إيمانيّ، وقرب من الحقّ تعالى وإذعان لآياته، واستقرار في الإيمان بقبول الحقّ.

محور التكامل الإنسانيّ.

إنّ دائرة التكامل في تأثيرها الإيجابيّ والسلبيّ تدور مدار الالتزام بالأحكام الشرعيّة، فكلّما أصبح الإنسان أقوى في التزامه قرُب من الإيمان، وكلّما قلّ التزامه بَعُدَ عن الإيمان وقرُب من المعصية والطغيان والجحود والكفر، فالدائرة فيها جنبتان جذب وطرد، وقرُب وبُعد، من الحقّ وعنه تعالى.

---

(١) البقرة ٢: ٨٥.

(٢) الأعراف ٧: ١٠١ و ١٠٢.

التشريع بين القانون الإلـهيّ والوضعيّ

القسم الأوّل

المصلحة العامّة في واقع التشريع الإلـهيّ

قال تعالى: ﴿**إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾(١)

من المبادئ والأُسس التي ركّزت عليها الشريعة في تكامل الإنسان، الالتزام بمبدأ التشريع عن قناعة، بمعنى أنّ الإنسان إذا آمن بالشريعة المقدّسة، لا بدّ أن يكون إيمانه من الناحية النظريّة واصلاً إلى درجة من القناعة والاطمئنان، وإن كان السلوك التطبيقيّ، وامتثال ما أمره الله به، أمر مفروغ منه؛ لذا أكّد القرآن على الوصول إلى حالة الاطمئنان والرضا بما شرّعه الله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾(٢).

الوعي تجاه واقع التشريع الإسلاميّ.

وقد أورد الشارع المقدّس أُسساً لتذكرة الإنسان، بأنّ ما شرّعه يصبّ في مصلحته، لعلّ الآية التي افتتحنا بها الحديث تشير إلى ذلك ﴿**إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي**

---

(١) الإسراء ١٧: ٩.

(٢) النساء ٤: ٦٥.

لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ ؛ لأنّها لا تشير إلى الأجر الكبير في عالم الآخرة فحسب ، وإنّما تبيّن أنّ الأجر الكبير والمثوبة سوف يحصل عليها الإنسان في دار الدنيا أيضاً ، ولا بدّ للمؤمن أن يعلم بأنّ الله تعالى شرّع أحكامه ، وأفصح عن قوانينه في الكتب السماويّة ، وعلى ألسن أنبيائه ورسله ، وأحكم نظمه وفق أُسس رصينة وقواعد متينة تنسجم مع فطرة الإنسان من ناحية ، ومسار الإنسان في عالم التكوين من ناحية أُخرى .

مبدأ الخير والشرّ في نظر المشرّع .

كلّما تقدّم الإنسان علميّاً أدرك أنّ الله تعالى يريد له الصلاح ، ويدعوه إلى الخير ، ويدفعه إلى حُسن المثوبة ، بَيْد أنّ البشريّة مرّت عليها أدوار متعدّدة أوصلتها إلى بعض التقدّم النسبيّ على المستوى الحضاريّ ، إلّا أنّ الإنسان في العصر الحاضر تجاوز من الناحية التقنيّة أوج ما وصل إليه في تقدّمه عبر القرون السالفة ، بالإضافة إلى أنّه استطاع من ناحية التشريع أن يضع القوانين والدساتير على أساس الخير والشرّ وفق ما يتحقّق به رضا الأكثريّة من الناس . أمّا الشرائع السماويّة فإنّها لا تقوم على مبدأ رضا الأكثريّة فيما يرتبط بالتشريع ، وإن كانت تُؤكّد على أنّ ما جاء به الأنبياء والرسل وشرّعه الباري جلّت قدرته يمثّل الخير المطلق للبشريّة ، ويتّفق مع الفطرة الإنسانيّة السليمة ، حتّى وإنْ لم ترضَ به الأكثريّة ؛ لأنّ رضا الأكثريّة ليس ميزاناً في كون التشريع الذي يصدع به الأنبياء والرسل ، فيه صلاح الإنسانيّة أو ليس كذلك ؛ وإنّما المدار هو صدور الحكم من الله تعالى ، فصدوره منه تعالى معناه أنّ الخير والصلاح يكمنان فيه .

التشريع مصدر الرقيّ الإنسانيّ .

تبيّن آيات القرآن الكريم وأحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام بشكلٍ

قاطع وواضح أنّ الإنسانيّة إذا أرادت أن تسير في رقيّها وتكاملها، عليها أن تأخذ ما يقوله الباري جلّ وعزّ، قال تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾(١)، أي أنّ الأحكام التي يشرّعها الله تؤدّي بالإنسان إلى الرقيّ في مساره الأُخرويّ والتكامل في عالمه المادّيّ في الحياة الدنيويّة؛ لأنّ الله تعالى فَطر الإنسان على حُبّ الخير، غير أنّه لا يدرك حقائق هذا الكون، ولا يعرف ما فيه من الصلاح والفساد.

الحكمة في التشريع الإلٰهيّ:

عندما ينظر العقلاء من الناس إلى ظواهر الأشياء ويضعون مقارنة بينها، لا يعرفون الفوارق الدقيقة بين الأُمور التي شرّعها الله تعالى، لكنّه مع تقدّم العلم انكشفت أسرار التشريع الإلٰهيّ. وسوف نستعرض بعض تلك الأسرار:

الأوّل: أسرار تحريم الربا.

اعتقد بعض الناس قديماً أنّ البيع يماثل الربا، فقالوا: ﴿**إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾(٢)، وكانوا يتصوّرون أنّ البيع والربا شيء واحد، لكنّ التطوّر العلميّ الكبير في المجالات المتعدّدة، بالخصوص التقدّم الاقتصاديّ الهائل في العصر الحديث، أثمر في إيصال الإنسانيّة إلى نتائج باهرة، كان من أهمّها، أنّ قدرة الإنسان الماليّة لا ينبغي أن تكون دون أو أقلّ من الجهد الذي يبذله، بل لا بدّ أن يتحقّق تكامل بين الجانب الماليّ والجهد المبذول من لدُن الإنسان، أمّا لو كان الحصول على المال من دون جهد، ولم تتحقّق في هذه المعاملة الشروط الشرعيّة، فلا يعتبر هذا العمل سائغاً، لكونه إجحافاً بحقوق الآخرين، وأخذاً لأموالهم من دون حقّ، لذلك نجد بعض الأخصّائيّين في الاقتصاد أدركوا الضرر

---

(١) الأنعام ٦: ٥٧. يوسف ١٢: ٤٠، ٦٧.

(٢) البقرة ٢: ٢٧٥.

البالغ في التعامل الربويّ، فاعتنقوا الإسلام لأنّه حرّم الربا على نحو البتّ والقطع، وحافظ على حقوق الآخرين.

الثاني: أسرار تحريم الخمر والقمار.

هناك كلمة لإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام غاية في الروعة، أشار فيها إلى الأُسلوب الذي يتعاطاه الإنسان إذا واجه أمرين يحتويان على الشرّ، فقال عليه السلام: «**لَيْسَ الْعاقِلُ مَنْ يَعْرِفَ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَلكنَّ الْعاقِلَ مَنْ يَعْرِفَ خَيْرَ الشَّرَّيْنِ**»[1]، كثير من الناس قد يتعرّفون على المبادئ البسيطة للخير والشرّ، لكنّ العاقل الواعي هو من يستطيع التعرّف على الخير الموجود في الأمرين اللذين يستبطنان الشرّ، فإذا قارن بينهما يُدرك أنّ هذا فيه سوء وتترتّب عليه مفاسد، والآخر أيضاً فيه سوء وتترتّب عليه مفاسد، إلّا أنّ المفاسد المترتّبة على أحد الأمرين هي أهون وأقلّ ممّا يترتّب على الآخر، ونشاهد هذا في تحريم الخمر والقمار، فالخمر قد تكون له بعض المنافع المادّيّة، لكنّ المفاسد الدينيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة المترتّبة عليه أكبر من تلك المنافع المحدودة، لذلك حكم القرآن بالتحريم القطعيّ رغم وجود المنفعة البسيطة.

مصالح الناس في عالمي الدنيا والآخرة.

والخلاصة أنّ الشرائع السماويّة تركّز على أنّ القانون الإلهيّ يراعي دائماً مصالح الناس في عالمي الدنيا والآخرة، ويربط بين عالمي الغيب والشهادة؛ ولا يكتفي بالتركيز على الجانب المادّيّ فقط، ويغض النظر عن الربط الوثيق بين عالمي المادّة وعالم الغيب ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾[2].

---

(١) مطالب السؤول: ٤٩.

(٢) البقرة ٢: ٣.

الفرق بين التشريع الإلـهيّ والتشريعات الاُخرى .

شرّع الله تعالى الأحكام وأراد بها الخير للناس بخلاف التشريعات التي تصدر من غيره تعالى ، فإنّ المشرّعين لا يحيطون بدفائن ما في خلد الإنسان ، ولا يعرفون ما يحتوي عليه عالمي الغيب والشهادة ، والتشريع من جهة اُخرى ، وإنْ كان يبدو لأوّل وهلة أنّه مصلحة غير أنّ النتائج لا تُعرف من البداية . بالإضافة إلى أنّ بعض المشرّعين ـ إذا لم يكن الكلّ ـ ينظرون إلى أهداف ومقاصد ومصالح خاصّة تعود عليهم بالنفع ، أمّا الله تعالى فلا مصلحة تعود إليه حينما شرّع القوانين ؛ لأنّه الغنيّ المطلق : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[1] ، فهو تعالى لا تنفعه طاعة المطيعين ولا تضرّه معصية العاصين .

قال إمامنا أمير المؤمنين عليه‌السلام في هذا الصدد : «**غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ مِنْهُمْ ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ**»[2] . هذه مبادئ في التذكير بالالتزام الجادّ والهادف للاُمة وللمؤمنين كأفراد في مسارهم في طاعة ربّهم .

آثار مخالفة التشريع .

قال إمامنا الرضا عليه‌السلام في شرحه وإيضاحه للعواقب السيّئة لاقتراف المحرّمات وانتهاك القانون الإلـهيّ : «**وَوَجَدْنَا الْمُحَرَّمَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا حَاجَةَ بِالْعِبَادِ إِلَيْهِ**» ، بل أكثر من ذلك «**وَوَجَدْنَاهُ مُفْسِداً دَاعِياً الْفَنَاءَ وَالْهَلَاكَ**»[3] يبيّن الإمام عليه‌السلام أنّ الأشياء التي حرّمها الله لا حاجة للإنسان بها ؛ لأنّ الحاجة تعني أنّ الشيء يُقَوِّم وجود

(١) فاطر ٣٥: ١٥.

(٢) نهج البلاغة: من خطبة له عليه‌السلام في صفات المتّقين . صفات الشيعة : ١٩.

(٣) علل الشرائع : ٢: ٥٩٢.

الإنسان واستمراره، وإذا كان غير محتاج إليه، فيستطيع أن يستغني عنه، وأمّا إذا كان فيه ضرر -كما ذكرت الرواية-: «**وَجَدْنَاهُ مُفْسِداً دَاعِياً الْفَنَاءَ وَالْهَلَاكَ**» فهو من الضروري أن يترك.

الزنا بين المفاسد وإرضاء النفس.

من أبرز الأمثلة في العصر الحديث على المحرّمات التي تترتّب عليها المفاسد العظيمة الزنا، فقد حرّمه الله تعالى؛ لأنّه ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾[١]، والرجل والمرأة قد تتحقّق لهما اللذّة في ممارسة الفاحشة، بَيْد أنّه لا حاجة لهما في الزنا؛ لأنّ الرجل والمرأة يستطيعان إشباع غريزتهما وفق القانون الإلٰهيّ من خلال ما أحلّه الله تعالى من الزواج الشرعيّ، لكنّهما إذا سارا في الطريق المعوجّ سوف تكون النتيجة هي الانحلال والفساد من الناحيتين الجسديّة والنفسيّة، قال الإمام عليه السلام: «**وَوَجَدْنَاهُ مُفْسِداً دَاعِياً الْفَنَاءَ وَالْهَلَاكَ**»، بل يصل الإنسان إلى فساد الناحية الصحيّة «**دَاعِياً الْفَنَاءَ وَالْهَلَاكَ**»، وتجدون الآن الأمراض الجنسيّة التي تفتك بالملايين من الناس، وتؤدّي بهم إلى الهلاك والفناء. وهذا ما ينبغي أن ننبّه الشابّ المؤمن الملتزم عليه في مساره التكامليّ، وهو أنّه لا بدّ من مراعاة القانون الإلٰهيّ كي يصل إلى طاعة الله ورضاه من جهة، ويحقّق التكامل المعنويّ لذاته من جهة أُخرى، فلا يعود إلى إفساد نفسه وهلاكها.

ومن الواضح أنّ الروايات والآيات القرآنيّة قد ركّزت على أنّ اقتراف المعاصي يجرّ إلى الفساد، والتخلّف عن تطبيق القوانين الإلٰهيّة حتّى وإنْ أعقب لذّةً سريعةً، إلّا أنها تتحوّل إلى ندامة وحسرة وألم طويلاً، لا ينتهي في عالم الدنيا، بل يذهب معه إلى عوالم الغيب.

---

(١) الإسراء ١٧: ٣٢.

التشريع والرغبات النفسيّة .

أوضح إمامنا الصادق عليه السلام الأساس الذي يقوم عليه الحلال والحرام ، فقال عليه السلام : « **إنّ الله تبارك و تعالى لم يُحرّم ذلك على عِبادِهِ ، وأحَلَّ لَهُمْ سِواهُ ، مِنْ رَغْبَةٍ مِنْهُ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا زُهْدٍ فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ** »[1] ؛ ذلك أنّ بعض الناس يحرّم شيئاً لأنّه يزهد فيه ولا غاية له به ، ويحلّل شيئاً آخر فيتوق إليه للرغبة النفسيّة

---

(١) عن المفضّل بن عمر ، قال : « قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام : أَخْبِرْنِي ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ لِمَ حَرَّمَ اللهُ الْخَمْرَ وَالْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ ؟ فَقَالَ : **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَمْ يُحَرِّمْ ذَلِكَ عَلَىٰ عِبَادِهِ ، وَأَحَلَّ لَهُمْ سِوَاهُ ، مِنْ رَغْبَةٍ مِنْهُ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا زُهْدٍ فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْخَلْقَ وَعَلِمَ مَا تَقُومُ بِهِ أَبْدَانُهُمْ ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ ، فَأَحَلَّهُ لَهُمْ وَأَبَاحَهُ ، تَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِمَصْلَحَتِهِمْ ، وَعَلِمَ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَضُرُّهُمْ فَنَهَاهُمْ عَنْهُ ، وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَبَاحَهُ لِلْمُضْطَرِّ ، و أَبَاحَهُ لَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا يَقُومُ بَدَنُهُ إِلَّا بِهِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ بِقَدْرِ الْبُلْغَةِ لَا غَيْرِ ذَلِكَ .**

ثُمَّ قَالَ: **أَمَّا الْمَيْتَةُ ، فَلَا يُدْمِنُهَا أَحَدٌ إِلَّا ضَعُفَ بَدَنُهُ ، وَنَحَلَ جِسْمُهُ ، وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، وَانْقَطَعَ نَسْلُهُ ، وَلَا يَمُوتُ آكِلُ الْمَيْتَةِ إِلَّا فَجْأَةً .**

وَأَمَّا الدَّمُ ، فَإِنَّهُ يُورِثُ أَكْلُهُ الْمَاءَ الْأَصْفَرَ ، وَيُبْخِرُ الْفَمَ ، وَيُسِيءُ الْخُلُقَ ، وَيُورِثُ الْكَلَبَ وَالْقَسْوَةَ لِلْقَلْبِ ، وَقِلَّةَ الرَّأْفَةِ وَ الرَّحْمَةِ ، حَتّىٰ لَا يُؤْمَنَ أَنْ يَقْتُلَ وَلَدَهُ وَوَالِدَيْهِ ، وَلَا يُؤْمَنَ عَلَىٰ حَمِيمِهِ ، وَلَا يُؤْمَنَ عَلَىٰ مَنْ يَصْحَبُهُ .

وَأَمَّا لَحْمُ الْخِنْزِيرِ ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَسَخَ قَوْماً فِي صُوَرٍ شَتّىٰ شِبْهِ الْخِنْزِيرِ وَالدُّبِّ وَالْقِرْدِ ، وَمَاكَانَ مِنَ الْأَمْسَاخِ ، ثُمَّ نَهىٰ عَنْ أَكْلِ الْمَثُلَةِ نَسْلِهَا لِكَيْلَا يَنْتَفِعَ النَّاسُ بِهَا ، وَلَا يُسْتَخَفَّ بِعُقُوبَتِهِ .

وَأَمَّا الْخَمْرُ ، فَإِنَّهُ حَرَّمَهَا لِفِعْلِهَا وَ فَسَادِهَا ، وَقَالَ: **مُدْمِنُ الْخَمْرِ يُورِثُهُ الارْتِعَاشَ ، وَيَذْهَبُ بِنُورِهِ ، وَيَهْدِمُ مُرُوءَتَهُ ، وَيَحْمِلُهُ عَلَىٰ أَنْ يَجْسُرَ عَلَى الْمَحَارِمِ ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ ، وَرُكُوبِ الزِّنَا ، وَلَا يُؤْمَنُ إِذَا سَكِرَ أَنْ يَثِبَ عَلَىٰ حَرَمِهِ ، وَلَا يَعْقِلُ ذَلِكَ ، وَالْخَمْرُ لَا تَزِيدُ شَارِبَهَا إِلَّا كُلَّ شَرٍّ** » . بحار الأنوار : ٦٢ : ١٣٤ و ١٣٥ .

الجامحة إلى ذلك الشيء المحلّل، لكنّ الله تعالى لا يفعل ذلك للرغبة والزهد، وإنّما يحلّل ويحرّم لما يعود بالصلاح والخير على الإنسان كفرد، وعليه كمجتمع؛ والخير والصلاح يعودان على الكون بأكمله وأسره؛ لأنّه الفاعل لهم، والعالم بما يعود عليهم بالصلاح والنفع، فهو خالقهم الذي يعلم ما تقوم به أبدانهم وما يُقَوِّمها. قال الإمام الباقر عليه السلام: «**فَعَلِمَ مَا يَقُومُ بِهِ أَبْدَانُهُمْ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ، فَأَحَلَّهُ لَهُمْ وَأَبَاحَهُ**»، أي أنّ الحلّيّة والحرمة في التشريع والقانون الإلٰهيّ ليس على وفق الرغبة والزهد؛ لأنّ الله لا يحتاج إلى ذلك، فهو الغنيّ والكبير المتعال. قال الإمام الصادق عليه السلام: «**تَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لِمَصْلَحَتِهِمْ، وَعَلِمَ عَزَّ وَ جَلَّ مَا يَضُرُّهُمْ، فَنَهَاهُمْ عَنْهُ**»[1]، فنهيه تعالى لما يترتّب على النهي من مفاسد، وأمره لما يترتّب عليه من مصالح.

نتائج الالتزام بالتشريع الإلٰهيّ.

من يلتزم بالتشريع الإلٰهيّ ويطبّقه يتحقّق له أمران في غاية الأهمّيّة:

الأوّل: الناحية الإيمانيّة ـ التي ذكرناها آنفاً ـ فلن يصل الإنسان إلى مرحلة الاطمئنان إيمانيّاً إلّا إذا أدرك ذلك بشيءٍ يُحصِّل له المراتب الأُولى من اليقين.

الثاني: أنّ مسار الإنسان في تكامله لا يتحقّق إلّا بالالتزام الجادّ والهدفيّة في الوصول إلى الله، وهذا أيضاً لا يُتاح للإنسان إلّا بإدراك ما فُصِّل في آي القرآن الكريم والأحاديث التي استعرضنا بعضاً منها.

(١) بحار الأنوار: ٦٢: ١٣٤ و ١٣٥.

القسم الثاني

الخير بين المشرّع الإنسانيّ والإلـٰهيّ

قال تعالى :

﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْـمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾(١)

مبرّرات عجز الإنسان عن التشريع المتكامل .

استعرضنا فيما تقدّم أنّ الله تعالى عندما أرسل رسله ، وبعث أنبياءه إلى الخلق مبشّرين ومنذرين ، وجاء بالأحكام الشرعيّة التي تصب في صالح الإنسان وتوصله إلى التكامل ، باعتبار أنّ الوصول إلى الخير والتكامل لا يتأتّى إلّا من خلال السير طبق منهج الأنبياء والرسل والشرائع السماويّة ، والإنسان وإنْ تقدّم به العلم ووصل إلى شأن كبير فإنّه لن يستطيع أن يُشرّع للإنسانيّة ما يكفل لها الخير والصلاح في شتّى الميادين وعلى جميع الأصعدة ، وذلك ، لعدّة أسباب :

الأوّل: إنّ الإنسان ـ وكما أسلفنا ـ لا يعلم الارتباط الوثيق بين عالمي الغيب والشهادة .

الثاني: جهله بعلل الأحكام ؛ لأنّ الإنسان عندما يُشرّع قانوناً فإنّه يعتقد أنّ ذلك القانون يصبّ في صالحه ، إلاّ أنّه بعد حين يكتشف أنّ ما شرّعه يشوبه النقص وتعتريه السلبيّات من جهات وحيثيّات اُخرى .

الثالث: إنّ الإنسان في تشريعه قد يلحظ المصالح التي تصبّ في صالحه في

(١) الإسراء ١٧ : ٩.

عالم الدنيا فحسب، ولكنّه يجهل ما يترتّب من عواقب وآثار على هذه التشريعات بلحاظ عالم الآخرة.

الرابع: إنّ تشريع الإنسان حتّى إذا وصل إلى مستويات راقية من العلم إلّا أنّه يلحظ بشكل دائم في تشريعه الصالح العامّ لبلده ووطنه وأقربائه، أو قد يلحظ الأكثريّة بحسب الموازين الديمقراطيّة في العصر الحديث؛ وذلك باعتبار أنّ المشرّع منتخب من الشعب فهو يراعي الصالح العامّ لهذا الشعب دون أن يلتفت إلى أنّ ما يحقّق الصالح العامّ لشعبه قد يضرّ بشعوب أُخرى وبأُناس آخرين. وهذا سبب في غاية الأهمّيّة، بالخصوص أنّه ورد في آيات القرآن الكريم وفي الروايات الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام تركيز على ذلك.

الاختلاف في تشخيص الخير والشرّ.

هناك اختلاف كبير بين العلماء والمنظّرين في هذا المجال منذ القِدم إلى عصر الناس هذا، وحتّى نتعرّف على هذا الاختلاف لا بدّ أن نلتفت إلى نقطة هامّة، وهي أنّ الإنسان يسعى جادّاً في الحصول على الخير، والوصول إلى اللذّة، والأعمال التي يقوم بها تتبلور حول محور الحصول على الخير والوصول إلى البهجة وإدراك اللذّة، ـ سواء كانت تلك اللذّة في الجانب الجسديّ، أو الجانب العقليّ أو الجانب العاطفيّ ـ وبسبب هذا التنوّع والتعدّد في اللذّة نجد الاختلاف الكبير والواسع بين العلماء في تعريف الخير والشرّ منذ القِدم.

فقد ذكر بعض العلماء القدماء أنّ الخير في نظر عامّة الناس عبارة عن درك اللذائذ، وأمّا في نظر الخواصّ فهو عبارة عن المعرفة، وهذا التعبير رائع وجميل؛ لأنّ الإنسان إذا تعرّف على أسرار الشيء استطاع أن يقترب من الخير بشكل أكبر، ولا تغرّه المظاهر البرّاقة والخادعة، وإن حقّقت له بعض اللذائذ على المدى القريب. وقبال هذا الرأي من يحصر الخير فيما يجلب اللذّة الآنيّة والوقتيّة، فيتصوّر

أنّ ميزان الخير والشرّ هو نفس الإنسان ، فما استحسنته نفسه ومالت إليه رغباته فهو الخير ، وما لم ترغب فيه ، ورأته لا يتلاءم معها فهو الشرّ.

مسؤوليّة الشرائع السماويّة في تحديد الخير والشرّ.

بَيْد أنّ العلماء يذكرون في أبحاثهم العلميّة أنّ الخير والشرّ لا يمكن أن يرجع إلى استحسان الجماهير فحسب أو الاستحسان الشخصيّ ، بل قد يحتاج إدراك الخير والشرّ إلى أبحاث علميّة معمّقة توصل الإنسان من خلال المقارنة والاستنتاج إلى أنّ ما يقوم به من عمل سوف يصبّ في صالحه ، ومع ذلك فهناك علماء آخرون لا ينتمون إلى الدين الإسلاميّ ، يعتقدون أنّ الخير لا يمكن أن يحصر في البحث العلميّ ، بل لا بدّ أن يرتبط بالشرائع السماويّة ، باعتبار أنّ الأنبياء والرسل إنّما جاءوا بالقوانين والقواعد من لدُن الباري تعالى ، وهو المحيط بأسرار الإنسان وكُنه وجوده وحاجاته ، بالإضافة إلى أنّ الله تعالى محيط بكلّ ما يتعلّق بالإنسان في عالمي الدنيا والآخرة ، وفي عالمي الغيب والشهادة.

ولذا قال أحد العلماء من الباحثين في هذا المجال : « الخير ما يساعد على طيّ التكامل ، ويهدينا من الحالة الحيوانيّة إلى الحرّيّة ، والشرّ ما يناقض ذلك ، ويجر بنحو سقوطيّ إلى الحيوانيّة ، ويمنعنا من التكامل ، ونحسب أنّ ما يوصلنا إلى التكامل في رغباتنا في الجانب المادّيّ سيصبّ في خيرنا » ، وحتّى هؤلاء الذين توسّعوا في أبحاثهم أدركوا أنّ الخير لا يمكن أن يحقّق الرغبات المادّيّة فقط.

نظرة التشريع الإسلاميّ للخير والشرّ.

طرح أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام مسألة الخير والشرّ بصورة أعمق وأدقّ ممّا بحثه علماء العصر الحديث ، وأعطوا الرأي الفصل في الاختلاف في تشخيص الخير من الشرّ ، وقد وردت رواية عنهم عليهم‌السلام تشير إلى أنّ الحقّ لو كان على حدة والباطل على حدة ،

كلّ واحد منهما قائم بشأنه، ما احتاج الناس إلى نبيّ ولا وصيّ، ولكنّ الله تعالى خلقهما، وهو الذي يفرّقهما، أو أنّ تفريقهما على لسان الأنبياء والأئمّة من عباده. ولذا كان الأنبياء بأجمعهم ـ ومنهم المصطفى صلى الله عليه وآله ـ يفصحون عن ذلك، قال صلى الله عليه وآله: «**إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»(١)، فالتشريعات الإسلاميّة كما أنّها تضمن الخير للإنسان في عالم الدنيا، فهي أيضاً تتكفّل بإيصاله إلى أعلى مراحل الرقيّ في عوالم الغيب في الآخرة، بل أنّ بعض المنظّرين من العلماء من كبار الفلاسفة في عصرنا الراهن قال: «لا ينبغي للإنسان أن يغترّ برأي الأكثريّة الساحقة أو المطلقة في وزنه لميزان الخير من ميزان الشرّ»، أي أنّ الأمر لا يعود إلى ميزان الأكثريّة أو كما نعبّر عنه بالتشخيص الديمقراطيّ.

قال (جون ديوي) في هذا المجال: «إبداء الرأي حول عملٍ مّا، أو تصرّف معيّن بالالتفات إلى استجابة المجتمع حياله؛ هو أمر مرغوب فيه إلى حدٍّ مّا، ولكن لا بدّ من التصديق أنّ الإفراط في الاهتمام بالمتطلّبات الاجتماعيّة في الأخلاق سيؤدّي إلى زعزعة الأُسس الأخلاقيّة إلى حدٍّ كبير، وإضعاف الأخلاق بنحو محسوس؛ لأنّ الرأي القائم على تشجيع المجتمع وذمّه فقط ـ دون الأخذ بعين الاعتبار ما يقوله الأنبياء والرسل ـ له جنبة عاطفيّة أكثر ممّا هي عقليّة، وفي الحقيقة هو تابع للآداب والتقاليد والمتطلّبات الاجتماعيّة، ولا يبتني على توقّعات عقلائيّة، والأهمّ الذي يحفظ للإنسان الخير ويوصله إلى الكمال والرقيّ هو ما ينبثق من خلال موازين العقل ونظر العقلاء ليس إلّا».

الخير بين الشريعة وموافقة الأكثريّة.

بينما نجد أنّ للشريعة رأي آخر في الأكثريّة، وهذا ما أكّده المصطفى صلى الله عليه وآله في

(١) بحار الأنوار: ١٨: ١٩٢. تاريخ الطبري: ٢: ٣١٩.

قوله الآنف الذكر: «**إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»، ولقد أبان الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام أنّ مخالفة الأكثريّة المطلقة ـ في بعض الأحايين ـ لما يرتئيه الإنسان عندما يكون سائراً وفق الشرائع السماويّة لا ينبغي أن يزعزع من ثقة الإنسان بتلك العقائد الحقّة، قال إمامنا الباقر عليه السلام: «**وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ لَنَا وَلِيّاً حَتّىٰ لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أَهْلُ مِصْرِكَ وَقَالُوا: إِنَّكَ رَجُلُ سَوْءٍ لَمْ يَحْزُنْكَ ذَلِكَ، وَلَوْ قَالُوا: إِنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ لَمْ يَسُرَّكَ ذَلِكَ، وَلَكِنِ اعْرِضْ نَفْسَكَ عَلىٰ كِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كُنْتَ سَالِكاً سَبِيلَهُ، زَاهِداً فِي تَزْهِيدِهِ، رَاغِباً فِي تَرْغِيبِهِ، خَائِفاً مِنْ تَخْوِيفِهِ، فَاثْبُتْ وَأَبْشِرْ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا قِيلَ فِيكَ وَإِنْ كُنْتَ مُبَايِناً لِلْقُرْآنِ، فَمَاذَا الَّذِي يَغُرُّكَ مِنْ نَفْسِكَ**»[(١)].

نحن بحاجة إلى وقفات من التأمّل في هذا النصّ الباقريّ الوارد، باعتبار أنّ الولاية لأهل البيت عليهم السلام يُراد بها الاتّباع الدقيق في الخطوات والاتّجاهات التي تقود الإنسان إلى الربط الوثيق بينه وبين الله تعالى من خلال السير العمليّ وفق أحكام ومفاهيم القرآن.

السعادة الأبديّة في اتّباع القرآن والعترة.

النصّ الآنف عن الإمام عليه السلام: «**وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ لَنَا وَلِيّاً حَتّىٰ لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أَهْلُ مِصْرِكَ**» يشير إلى أنّ الناس مهما أثنوا عليك من كلمات الإطراء، أو قدحوا فيك بكلمات الذمّ والإساءة، فلا تغترّ بكلمات الإطراء، ولا تفسح لكلمات الإساءة والذمّ أن تهزّ من ثباتك؛ وذلك لأنّ الذي يحدّد الموقف السليم والثابت في شخصيّتك هو كون ما تقوم به من أعمال وما يصدر منك من أفعال على وفق كتاب الله، وهذا ما ركّز عليه الإمام عليه السلام بقوله: «**فَإِنْ كُنْتَ سَالِكاً سَبِيلَهُ، زَاهِداً فِي تَزْهِيدِهِ، رَاغِباً فِي تَرْغِيبِهِ،**»، فالله تعالى زهّدنا في أشياء، ورغّبنا في أشياء أُخر كي لا نقع

---

(١) تحف العقول: ٢٨٤.

في العواقب الوخيمة لأعمال السوء، ثمّ قال عليه السلام: «**فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا قِيلَ فِيكَ**»، أي إذا كان الأساس قد أُحكم لديك، وأصبحت الخطوات تقودك إلى شاطئ النجاة، وصارت كلمات الإطراء التي قيلت في حقّك، لا تفيدك شيئاً، ولا ترفعك عند الله تعالى، وإنّما الذي يرفعك عند الله ويعود عليك بالفائدة هو اتّباعك للحقّ، والحقّ لا يتواجد إلّا فيما احتواه واشتمل عليه القرآن الكريم، وهذا في الحقيقة هو العمق المضمونيّ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾، فالسائر على القرآن والمتمسّك بأهل البيت عليهم السلام سوف يضمن لنفسه السعادة في الدنيا وفي عالم الآخرة.

القسم الثالث

الأنبياء بين التشريع الإلٰهيّ وإصلاح القانون الوضعيّ

قال تعالى:

﴿**إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾

أساليب الأنبياء في الدعوة:

استعرضنا وإيّاكم أنّ التشريع الإلٰهيّ يضمن سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ويوصل الإنسانيّة ـ بل الكون بكلّ مفرداته ـ إلى الخير والصلاح والكمال، وقد جاء الأنبياء والرسل ليحرّروا الإنسانيّة من الخرافات والخزعبلات التي تكبّل وتقيّد عقولهم، وتشدّهم إلى الأرض أكثر من أن تربطهم بما يحقّق لهم الصلاح والكمال، وقد بذل الأنبياء قصارى جهدهم في مجابهة الأنظمة والقوانين التي اخترعها الإنسان

كي يقيّد بها نفسه وغيره من بني جنسه ، وكان دور الأنبياء وجهدهم منصبّاً على إثبات أنّ ما جاءوا به من قِبل الله يختلف كثيراً عمّا يبتدعه الإنسان ، وأنّ سعادة الإنسان تكمن في اتّباع المنهج الإلهيّ والطريق القويم الذي أشار إليه القرآن الكريم بالطريق الأقوم ، وقد اعتمد الأنبياء والرسل أُسلوبين في إيصال الإنسانيّة إلى السعادة والسؤدد :

الأوّل : أُسلوب الحوار ومنطق الدليل .

ويعتمد على منطق الحجّة والحوار الهادف ، الذي يبيّن الفوارق بين ما يُبلّغه الأنبياء والرسل عن ربّهم تعالى ، وبين ما يجيء به الإنسان من خرافات متغلغلة في أذهان الناس ، وقد أثّر هذا الأُسلوب في الكثير من الناس باعتبار أنّ الكتب السماويّة والعقل يرشدان إلى اتّباع الدليل ، قال تعالى : ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(١) .

الثاني : أُسلوب المواجهة العسكريّة والتحدّي .

هذا الأُسلوب يعتمد على الجهاد في سبيل الله والتضحية ، ودفع الغالي والنفيس ، من أجل تحرير الإنسانيّة من ربقة التخلّف ، وإقامة العدل ، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد ، وقد استطاع الأنبياء والمصلحون أن يستفيدوا من هذا الأُسلوب في مجابهة ومواجهة الجبّارين والمتغطرسين ، الذين يريدون أن يستغلّوا نقاط الضعف المتعدّدة التي يحملها الإنسان بين جنبيه . والأنبياء عليهم السلام مزجوا بين هذين الأُسلوبين في مواجهة تلك الأفكار والقوانين التي شرّعها الإنسان منذ القِدم إلى يوم الناس هذا .

---

(١) البقرة ٢ : ١١١ .

الفرق بين القوانين الوضعيّة والتشريعات الإسلاميّة:

لا بدّ من إلفات النظر إلى أنّ تلك القوانين البشريّة لم تخدم الإنسانيّة؛ بل كان لها أبلغ الأثر في تكبيل عقل الإنسان وجرّه نحو الفساد والتخلّف، ولم تستطع الإنسانيّة إلى يومنا هذا أن تتخلّص ممّا يحيط بها من تخلّف وتقهقر، وقد ضربنا مثالاً على ذلك، بمسألة تعاطي الخمر والمخدّرات وسائر ما يكبّل عقل الإنسان. فنجد أنّ هناك فارقاً جوهريّاً بين ما جاءت به الشريعة الإسلاميّة، وما أبدعه القانون، وربّما يدلّ على هذا الفارق الجوهريّ الكبير ما سنطرحه من التشريعات الآتية:

الأوّل: تشريع حرمة الخمر.

تحدّث القرآن الكريم عن الخمر فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾[١].

عندما نزل الوحي الإلهيّ بهاتين الآيتين ارتدع الكثير من المسلمين عن تناول الخمر استجابةً للتشريع الإلهيّ، ممّا جعل المجتمع الإسلاميّ يتقدّم تقدّماً كبيراً في خصوص الحفاظ على القوانين الإلهيّة، وتجسيدها وتطبيقها. بَيْد أنّ البشريّة لم تستطع إلى يومنا هذا أن تتخلّص من هذا الوباء، فنحن نعرف أنّ بعض الأُمم المتقدّمة تقنيّاً وصناعيّاً، أراد المصلحون فيها أن يمنعوا شرب الخمر من خلال التشريعات القانونيّة، ومع أنّهم أفلحوا في ذلك برهة زمنيّة محدودة، إلّا أنّه سرعان ما نُقض ذلك التشريع بتشريعٍ آخر يخالفه، ولم يستطع المشرّعون الأوائل أن يجابهوا التشريعات المتأخّرة التي تبيح تعاطي الخمرة، ويعود السبب في ذلك

---

(١) المائدة ٥: ٩٠ و ٩١.

إلى أنّ هؤلاء لا يعتمدون المنهج الإلـٰهيّ ، وإنّما يراعون في تشريعاتهم الناس ، كي يحصلوا على أصواتهم الانتخابيّة ، وبذلك يكسبون رضا القسم الأكبر من الناخبين ، بينما التشريع الإلـٰهيّ لا يراعي إلّا ما فيه صلاح الجميع ، بغضّ النظر عن رضا الأكثريّة ، ما دام رضاهم يصبّ في فساد الإنسان ، ويوجب تأخّر الإنسانيّة جمعاء ، وحيث أنّنا نُدرك من خلال الأبحاث العلميّة ـ بل والاستبانات والمقارنات الكثيرة ـ ما يسبّبه تعاطي الخمر وسائر المخدّرات من ارتفاع كبير في نسبة انتشار الجريمة ، وما يعود به على الإنسانيّة من التقهقر والفساد ، واقتراف الآثام والموبقات ، وارتكاب المحرّمات ، فإنّ الإنسانيّة لم تستطع أن تتخلّص من هذا الداء الوبيل .

الثاني : تشريع الحدود والقصاص .

ولننتقل إلى تشريع آخر جاء في قوله تعالى : ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(١) الكثير من التشريعات تحاول أن تُودع المجرم في السجن طول حياته ، وهذا يجعله يأمن من العقاب ، بل قد يعيش حياة مرفّهة في سائر السجون ، وهو يعلم قبل اقترافه للجريمة أنّه لن يعود عليه ذلك الفعل بالضرر ، إلّا أنّ التشريع الإلـٰهيّ يختلف في جوهره وفي مغزاه عن التشريع البشريّ ؛ لأنّه ـ كما أخبرنا القرآن الكريم ـ أنّ الحدّ الشرعيّ أو القصاص فيه حياة ، ليس لفرد ، وإنّما للأُمّة بأكملها ؛ لأنّه يردع المعتدي ويجعله يفكّر كثيراً ويتأمّل مليّاً قبل أن يُقدِم على اقتراف تلك الجريمة .

تشخيص الخير والسعادة بيد الله تعالى .

ذلك ما أشار إليه النبيّ وأئمّة أهل البيت عليهم السلام فيما يتعلّق بالتشريع ، وأنّ هناك

---

(١) البقرة ٢ : ١٧٩ .

فوائد عظيمة تعود على تطبيقه من ناحية، وعلى ما يكمن في التشريع من حكم ومصالح تعود على الفرد والمجتمع من ناحية أُخرى، قال ﷺ: «**يا عِبادَ اللهِ، أَنْتُمْ كَالْمَرْضىٰ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَالطَّبِيبِ، فَصَلَاحُ الْمَرْضىٰ فِيمَا يَعْلَمُهُ الطَّبِيبُ وَيُدَبِّرُهُ بِهِ، لَا فِيمَا يَشْتَهِيهِ الْمَرِيضُ وَيَقْتَرِحُهُ. أَلَا فَسَلِّمُوا للهِ أَمْرَهُ تَكُونُوا مِنَ الْفَائِزِينَ**»(١).

أورد النبيّ ﷺ في هذا الحديث النبويّ تشبيهاً رائعاً يحوي دقائق وحكمٍ جميلة؛ لأنّ الإنسان في هذه الحياة يحتاج إلى ما يصلحه في كلّ المناحي من جهة، وما يعود عليه بالخير والنفع في كلّ جنبة من جنبات حياته من جهة أُخرى، والذي يعلم بذلك ليس المريض بل الطبيب.

والنبيّ ﷺ يقرّب حقيقة التشريع الذي يعود على الإنسان بالصحّة والخير والوئام على نفسه ومُجتمعه؛ لأنّه تشخيص طبيبٍ يعلم ما فيه صلاح الإنسان وخيره وما يعود عليه بالسعادة، فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب، وصلاح الإنسانيّة جمعاء فيما يعلمه ربّ العباد وفي تدبيره، لا فيما يشتهيه الإنسان.

وقد أورد الأئمّة عليهم السلام أمثلة متعدّدة على أنّ الأكثريّة لا تستطيع أن تُشخص ما يعود للإنسان بالخير والسعادة، وأنّه لابد من الرجوع إلى مصدر الكون وخالقه ومدبره، وهذا ما أبانه النبيّ ﷺ بقوله: «**أَلَا فَسَلِّمُوا للهِ أَمْرَهُ تَكُونُوا مِنَ الْفَائِزِينَ**».

الفوز والسعادة لن يتأتّيا للإنسانيّة إلّا بالرجوع إلى الله تعالى، وكذلك قال إمامنا الرضا عليه السلام في كلماته المختصرة: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ التَّسْلِيمُ لِمَا عَقَلْنَاهُ وَلِمَا لَمْ نَعْقِلْهُ**»(٢).

فالتسليم إلى الله تعالى طريق يؤدّي بالإنسان إلى إظهار العبوديّة الحقّة، ويوصل الإنسانيّة جمعاء إلى الخير والصلاح، بَيْد أنّ بعض التشريعات الإلـٰهيّة قد لا يُدرك

(١) بحار الأنوار: ٤: ١٠٧.

(٢) فقه الرضا: ٣٣٩.

الإنسان كُنهها أو المغزى والحكمة منها .

التسليم بالتشريع الإلـٰهيّ .

على الإنسان أن يُسلّم أمره إلى الله تعالى ، والتسليم ناشئ من إيمانه بأنّ الله تعالى حكيم ومحيط بكلّ شيء ، وغنيّ لا يحتاج في تشريعاته وأحكامه أن يجلب النفع إلى نفسه أو إلى أيّ فئةٍ خاصّةٍ من الناس دون فئة أُخرى ، وإنّما يريد الخير والصلاح للجميع .

عوامل تساعد على الالتزام بالتشريع :

يصعب على بعض الناس اتّباع القانون الإلـٰهيّ والانصياع لأوامر الله تبارك وتعالى ، إلّا أنّ هناك عوامل تساعد على الالتزام بالتشريعات الإلـٰهيّة :

أوّلاً : الصبر .

أوضح النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام أنّ الانصياع لأوامر الله يحتاج إلى بذل الجهد والتصبّر والمعاناة كي يتاح للإنسان أن يصل إلى الخير والسعادة ، قال صلى الله عليه وآله : « **أَنَّ الشَّدِيدَ لَيْسَ مَنْ غَلَبَ النَّاسَ ، وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ مَنْ غَلَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ** »(١) . هناك الكثير من القوانين والنظم الإلـٰهيّة تحتاج إلى معاناة والتصبّر في تطبيقها من لدن الإنسان المؤمن ، التصبّر أو الصبر تارةً يكون عن المعصية وأُخرى على الطاعة ، وترويض النفس لتجسيد ذلك القانون وتطبيقه .

ثانياً : التخلّص من الهوى .

أشار إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته وتوجيهاته الرائعة إلى أنّ وجود

---

(١) تنبيه الخواطر : ٢ : ١٠ . مستدرك الوسائل : ١١ : ١٣٩ .

الشهوات والميول والأهواء النفسانيّة تدعو الإنسان إلى عدم الانصياع للقانون الإلـهيّ ، بل وتزجّه نحو الانفلات والتخلّص من لوازم ذلك القانون ، ولكنّه إذا أدرك متأمّلاً بفكره أنّ صلاحه يكمن في اتّباع القانون الإلـهيّ سيجد أنّ السير على المنهاج الإلـهيّ هو الذي يؤدّي به إلى السعادة .

قال عليه‌السلام : « **اغْلِبُوا أَهْوَاءَكُمْ وَحَارِبُوهَا فَإِنَّهَا إِنْ تَقْتَدِكُمْ تُورِدْكُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ أَبْعَدَ غَايَةٍ** »[1] . يؤكّد عليه‌السلام على أنّ الهوى يجرّ الإنسان للخلود إلى الأرض ، وإشباع بعض غرائزه على حساب القانون الإلـهيّ ، وبالرغم من أنّه يتصوّر أنّ ذلك يُحرّره من كثير من القيود الإلـهيّة ناسياً ـ أو متناسياً ـ أنّ التحرّر من قيد القانون الإلـهيّ يسقطه في ربقة قيد الشهوات والميول والأهواء النفسانيّة ، التي لن يستطيع بعد الوقوع في شراكها أن يتخلّص منها دون أن تجلب له البؤس والشقاء وتوقعه في المهالك بشكل تدريجي ؛ لأنّ كلّ انصياع للهوى واتّباع للشهوات هو بمثابة الخطوات الأُولى للوقوع في شراك الغواية والضلال .

سعادة الإنسانيّة في اتّباع الأنبياء .

لن تستطيع الإنسانيّة أن تصل إلى رشدها إلّا من خلال الاتّباع الدقيق لما يقوله الأنبياء والرسل ، ولما يشرّعه القانون الإلـهيّ ؛ لأنّ ذلك القانون صادر من مقنّنٍ يعلم ما فيه صلاح الإنسانيّة جمعاء ، وسعادتها الأبديّة ، دون حيفٍ وظلمٍ لفئةٍ على أُخرى ، ودون إجحافٍ أو مراعاةٍ لمصالح فئات من الناس على حساب فئات أُخرى ، وهذا ما أبانه الباري تعالى في عدّة من آيات الذكر الحكيم من أروعها ـ وكلّها روائع ـ ﴿ **إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً** ﴾ .

---

(١) مستدرك الوسائل : ١٢ : ١١٤ .

القسم الرابع

المبادئ الإنسانيّة ثوابت إسلاميّة في الحرب والسِّلْم

قال تعالى :

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾

من الأُمور الهامّة التي أكّد عليها الإسلام غرس نوازع الخير والإنسانيّة والسلام في أعماق نفس المسلم ؛ لأنّ النفس البشريّة لها انطلاقتان : انطلاقة ذاتيّة تدعو إلى تأكيد الذات في قبال المبادئ والقيم وفي قبال السماء ؛ ذلك أنّ ثقافة الأرض والثقافة الجاهليّة تنطلقان من مبدأ توكيد الذات وعلوّها في قبال العلوّ والكبرياء والهيمنة لله تعالى .

دور الدوافع الإلـٰهيّة في احترام كرامة الإنسان.

تدعو الدوافع الذاتيّة إلى توكيد الذات ، وتدعو أيضاً إلى الانتقام ، وسحق إنسانيّة الطرف الآخر .

أمّا الدوافع الإلـٰهيّة فتدعو إلى القيم واحترام إنسانيّة الطرف الآخر بغضّ النظر عن انتمائه العقديّ ، والنصوص الإسلاميّة تؤكّد الجانب الإنسانيّ في شخصيّة الطرف الآخر ، وأنّه لا ينبغي للإنسان الداعي إلى الخير أن يخلط بين النزعتين في الوصول إلى مآربه ، بل عليه أن يجعل المنطلق والوسائل التي يصل من خلالها إلى الهدف ، من المنطلقات والوسائل التي تدعو إلى توكيد الجانب القيميّ والسماويّ الإلـٰهيّ ، ومحو ما يمكن أن يدعو إلى الاستعلاء والكبرياء ، وهناك نصوص متعدّدة في

مدرسة أهل البيت تمثّل بصدقٍ وحقّ ما يرتئيه الإسلام في الجانب القيميّ، وتأكيد الجانب الإنسانيّ في المنطلقات الدعويّة، خصوصاً أثناء الجهاد في سبيل الله؛ لأنّ الجهاد في سوح الوغى إذا حمي الوطيس وأراد الإنسان أن يتغلّب على خصمه بأي مبرّر من المبرّرات، فقد لا يراعي القيم، غير أنّ النصوص الإسلاميّة تمنع من التغلّب على الخصم بمبرّرات غير إنسانيّة، وتحترم دائماً وأبداً إنسانيّة الخصم داعية إلى التحاور معه، والتأكيد على الجانب الإنسانيّ، قال عليّ عليه السلام: «**بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله إِلَى الْيَمَنِ وَقَالَ لِي: يَا عَلِيُّ، لَا تُقَاتِلَنَّ أَحَداً حَتّىٰ تَدْعُوَهُ. وَايْمُ اللهِ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ عَلىٰ يَدَيْكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ**»(١).

ونلاحظ هاهنا:

أوّلاً: أنّ المبدأ في الدعوة إلى الإسلام يتمركز ليس من خلال منطق القوّة، أي أنّ من يمتلك موازين القوّة يحكمها لإذعان الخصم باتّباع المنهج الذي يؤمن به، بل من خلال مبدأ السّلم والدعوة إلى الخير وإغفال النوازع الذاتيّة بتغليب نوازع السلام والمحبّة والإنسانيّة، ونجد في هذا النصّ «**لَا تُقَاتِلَنَّ**» أي لا تستخدم منطق القوّة في دعوة الغير إلى الآراء والمعتقدات التي تؤمن بها وإن كانت حقّاً، بل حاول أوّلاً أن تدعوه إلى الخير، ذلك أنّ الدعوة من أجل إيصال الإنسان إلى الله ستعود على الداعي بالخير.

ثانياً: بلور النبيّ صلى الله عليه وآله في كلماته لعليّ عليه السلام هذا المعنى بإيضاح في غاية العمق، وهو أنّ تلك الدعوة أفضل بكثير ممّا يتصوّره الإنسان في تحقيقه لمبدأ الغلبة بامتلاك الجانب الماديّ، لذا قال صلى الله عليه وآله مقسماً: «**وَايْمُ اللهِ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ عَلىٰ يَدَيْكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ**»، أي أفضل لك ـ يا عليّ ـ أن تكون لك الدنيا وما فيها تحت إمرتك، حيث أنّ الإمرة تسيطر بها على جوانب مادّيّة،

(١) الكافي: ٥: ٢٨.

ولكنّ الجانب المعنويّ بما يمثّله من قيمة يريد الله تعالى إيصال الإنسانيّة إليها هو أعظم وأكبر.

أهداف تشريع الجهاد في الإسلام.

الأوّل: إزالة الظلم وتحكيم العدل.

الثاني: وهو الأسمى والأعظم، إيصال الإنسان إلى الخير والهُدى.

هذان الهدفان ساميان وعظيمان، لذا لا ينبغي أن يكون المجاهد في سبيل الله الموصل للغير إلى الهدى والخير، أن يجعل نفسه تقع ـ والعياذ بالله ـ في مستنقع الرذيلة والشرّ لتحكيم النوازع الذاتيّة على نوازع الهدى والخير، هذا ما تقوله مدرسة الإسلام من خلال النصوص الواردة والشارحة لهذه المدرسة عن أهل البيت عليهم السلام.

كيفيّة الدعوة إلى الإسلام:

بيّن إمامنا السجّاد عليه السلام معنى الدعوة وكيفيّتها للطرف الآخر في حالتي الحرب والسلم للأخذ بالإسلام، فأفصح عليه السلام بأنّه عندما يُدعى الطرف الآخر إلى الإسلام:

أوّلاً: بيان حقيقة التوحيد.

فإنّ على الداعي أوّلاً شرح حقائق التوحيد، وتبيان أنّ الله تعالى هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الحيّ القيّوم، الذي لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً.

ثانياً: بيان حقّانيّة رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله.

تبيان حقّانيّة الرسالة التي صدع بها النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّها الرسالة الحقّة، وأنّ ما عداها ليس بمستواها، بل إذا عارضها فهو الباطل، وما قاله الله تعالى وما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله هو الحقّ، فإذا آمن الطرف الآخر بما دعوته إليه، فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، هذه مبادئ الدعوة الإسلاميّة، لم تنطلق من النوازع الذاتيّة التي تدعو إلى الغلبة

بغضّ النظر عن مبدأ الهداية إلى الله تعالى، واحترام الجانب الإنسانيّ، لذا لاحظنا في النصّ الذي استهللنا به حديثنا من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توكيداً على مبدأ الأمان، فعندما تدعو المشرك ليستمع إلى كلام الله تعالى ـ حتّى إذا كان من رؤوس الكفر المعارضين للدعوة ـ عليك أن توصله إلى مأمنه رغم تحمّل الضرر الكبير إلّا أنّ الإسلام لا يجيز الاعتداء عليه تحكيماً لمبدأ المواثيق والعهود واحترام الجانب الإنسانيّ، ثمّ بيّن الإسلام بأنّ اتّباع هؤلاء الذين لا يؤمنون بالإسلام للباطل ناتج عن عدم العلم والمعرفة، ولو توصّل هؤلاء إلى قيم الإنسانيّة الموجودة في الشريعة الإسلاميّة لاتّبعوا هدي الإسلام وإنسانيّته، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي أنّ علم الإنسان بما في الإسلام من الخير يدعوه لاتّباعه، لقوّة الجذب لمنطلقات الإنسانيّة والخير والعدالة في الإسلام.

الأمن واحترام الإنسان في الإسلام.

تؤكّد النصوص الإسلاميّة على الأمن واحترام الإنسان، حتّى في حالة الحرب، وذلك جليّ واضح، يظهر:

أوّلاً: في حالة الحرب إذا طلب الجيش المحارب الأمان، ولم يصدر الأمان من القائد العسكريّ، وإنّما صدر من أحد الجند، وفي تعبير الرواية من أدنى شخص في الرتب العسكريّة للجيش الإسلاميّ، فعلى الجيش أن ينصاع بأكمله لهذا الأمان الذي قدّمه أحد جند المسلمين، وهذا جانب يحترم المواثيق والعهود والسلام والجانب الإنسانيّ، مع أنّ المسلمين في حالة القوّة ويستطيعون أن يحسموا المعركة ويكسبوا النصر، لكن تقديم الأمان من أحد المسلمين لطلب المحاربين، وإن كان من أقلّ الرتب العسكريّة في الجيش الإسلاميّ، يلزم الجميع أن ينصاع ويسلّم لهذا الأمان.

وثانياً : إذا حاصر المسلمون مدينة في حالة الحرب ، فطلب المحاصَرون الأمان من المسلمين ، فرفض المسلمون إعطائهم الأمان وأمروهم بالانصياع ، فظنّ المحاصرون بأنّ المسلمين أعطوهم الأمان ، فإنّ على المسلمين أن يراعوا ذلك الاشتباه في سماع المحاربين للمسلمين وظنّهم أنّهم سمعوا الأمان فألقوا السلاح ، فجعلوا المسلمين يدخلون بلدهم ، فإنّ على المسلمين أن لا يحاربوا ولا يهدروا دماً ، بل عليهم أن يحترموا الأحاسيس والمشاعر ، والجانب الإنسانيّ للطرف الذي ظنّ أنّه تلقّى أماناً فلم يقاوم بالسلاح ، أي أنّ على الجيش الإسلاميّ وعلى المسلمين أن يحترموا مشاعر الغير ، وأن يجعلوا الأمن والأمان سائدين ، والمنطلق في تحكيم النوازع القيميّة والسماويّة والإنسانيّة هي الحكمة .

وثالثاً : في النصوص الإسلاميّة إذا ائتمن شخصٌ من المسلمين رجلاً من غيرهم ، وكان الشخص الذي أُئتُمِن من الأشخاص الذين لا خير فيهم ، أي من السيّئين الذين قد طلبوا في تحكيم العدالة في شخصيّتهم ، وعلى حدّ تعبير الرواية الواردة من أهل النار ، والمؤتمِن يعلم بأنّ المؤْتمن من أهل النار ، لكنّه أعطاه الأمان ، ثمّ خاس بأمانه ـ أي نقض الأمان ـ فقتل ذلك الشخص ، فإنّ موقف النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت من ذلك الشخص الذي أعطى أماناً لآخر هو أنّه يستحقّ العقاب الإلهيّ وليس من الأسوياء بل ممّن يستحقّون النار ، أمّا إذا كان الآخر سويّاً وأعطى أماناً ، ثمّ نقض أمانه ، فقد تبرّأ النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ممّن أعطى الأمان لمستحقّ النار ثمّ نقضه ، فقال صلى الله عليه وآله : **فأنا منه بريء** وإن كان ذلك الشخص المعطى للأمان يستحقّ النار » .

إذن لا تبتني الثقافة الإسلاميّة في المنطلقات الداعويّة ، والجهاد في سبيل الله ، على تحكيم منطق القوّة ، بل تدعو دائماً إلى قوّة المنطق ، أي أنّ الإسلام يؤمن أنّ ما يقوله من خير هو الأحقّ بالاتّباع ، وأنّ الطرف الآخر إذا استمع إلى هدي الإسلام ، وعرف مبادئه التي هي مبادئ الخير والرفاه والعدالة ، فسينضوي تحت

راية الإسلام بنحو طبيعيّ ؛ لأنّ الإسلام يجسّد بصدق احترام العهود والمواثيق والقيم .

التسامح الدينيّ في رسالة النبيّ ﷺ

قال تعالى :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(١).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢)

إنّ من أهمّ القيم الإسلاميّة التي أكّدت عليها الشريعة الغرّاء ، هي الرحمة العامّة لكلّ مفردة من مفردات الكون ، وذلك لما للرحمة من أهمّيّة في إيصال الإنسان إلى كماله ، بل إيصال كلّ شيء إلى كماله ، وقد جاء النبيّ ﷺ بشريعته الغرّاء ليؤكّد على معاني الخير وقيم العدل ، ويبيّن أنّ رسالته هي الرحمة المهداة للإنسانيّة جمعاء ، والقادرة على إيصال الإنسان بكلّ توجّهاته وأشكاله وأطيافه إلى ما يتوق إليه من كمالٍ في المجالين المادّيّ والمعنويّ ، وأكّد القرآن الكريم على هذه السمة الأساسيّة ، بل حصر بعثة النبيّ ﷺ بمعنىً من المعاني في هذه الرحمة ، كما أوضحت ذلك الآية السابقة .

رسالة النبيّ ﷺ بين الرحمة ونبذ العنف .

وإذا كان النبيّ ﷺ اُرسل لإيصال الكون إلى كماله ، ولا يتأتّى ذلك إلّا من خلال

---

(١) الأنبياء ٢١ : ١٠٧ .

(٢) سبأ ٣٤ : ٢٨ .

الرحمة التي حصر القرآن الكريم بعثته صلى الله عليه وآله فيها ، قال تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ ، وهناك آيات بهذا المعنى كقوله تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾ . التبشير والإنذار وإنْ كانا يحملان معاني وقيم الرسالة إلّا أنّهما يؤدّيان إلى الرحمة المُوصلة لمفردات الكون ـ وبالخصوص الإنسان ـ إلى كماله ، لذا نجد أنّ الإسلام الحنيف عندما أكّد على أنّ رسالة المصطفى صلى الله عليه وآله جاءت رحمة للعالمين ، ركّز أيضاً على نبذ العنف وشجب الحقد والكراهية ، ودعا إلى التسامح حتّى مع الذين اقترفوا بعض ما يؤثّر في صفو العيش ، ولعلّ من أروع ما نجده في هذا الصدد ما جاء في البُغاة ، باعتبار أنّ الباغي هو الذي يخرج على إمام المسلمين أو يخرج عن القانون ، وذلك يؤدّي إلى الفساد . وقد عالج القرآن الكريم مسألة البَغْي والخروج عن نظام الإمامة أو القانون في إطاره العامّ بحكمة ، قال تعالى : ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ**﴾ ، أي حتّى ترجع إلى جادّة الصواب والسير على وفق ما حدّده القرآن .

ثمّ قال تعالى : ﴿**فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[(١)] ، القرآن الكريم يدعو في هذا المجال إلى مسألة في غاية الأهمّيّة ، وهي مسألة القسط ، بالرغم من أنّ الباغِي خرج على نظام وقانون الإسلام أو على إمام المسلمين ، وأحدث شرخاً في جسد الأُمّة ، وأوجب فساداً في القانون ، إلّا أنّ الإسلام لم يعالج ذلك الخروج كما يعالجه القانون الوضعيّ ، الذي يلجأ إلى الشدّة ، بل دعا إلى معالجة مسألة البغي أو الخروج على القانون بنحو من الرحمة والوئام وإقامة القسط ، وإذا رجع الباغي إلى جادّة الصواب أخذ مكانته بين المسلمين دون إجحاف في حقّه ، بل دون نظر إلى ماضيه السيّئ . وهناك نظائر متعدّدة لمسألة

---

(١) الحجرات ٤٩ : ٩ .

الباغي، التي عالج فيها الإسلام من يخرج عن جادّة الصواب أو يتعدّى الحدّ، إلّا أنّ ما يهمّنا هو أنّ الإسلام في علاجه لهذه المسائل يريد التوكيد على إقامة القسط المبتني على منهج، وفي إطار مفاهيم يحبّها الله، ويدعو إليها ﴿**وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾.

الإسلام يدعو إلى التسامح مع غير المسلم.

لم تكن نظرة الإسلام منحصرة في التأكيد على مسألة تبادل العلاقات والتسامح بين أهل الدين الواحد، وفي إطار علاقة المسلم بأخيه المسلم؛ لأنّ هذا من الوضوح بمكان، بل كانت النظرة الإسلاميّة لها بُعدٌ شموليٌّ يستوعب الذين يختلف الإسلام معهم في العقيدة، وهذه مسألة في غاية الأهمّيّة باعتبار أنّ الإنسان لديه تقديس لعقائده حتّى وإنْ كانت لا تقوم على الدليل، ولا يؤيّدها البرهان، بل ويُفَدِي نفسه في الدفاع والذود عن عقيدته، وعلى هذا الأساس جاء الإسلام ليؤكّد على أمرين:

الأوّل: احترام الإنسان الآخر الذي لا ينضوي تحت المفهوم العقديّ مع المسلمين.

الثاني: الدعوة إلى التعامل الإيجابيّ في تبادل الخبرات معه، وإقامة العدل وإيّاه.

التعامل مع غير المسلم في القرآن.

هناك آيات من القرآن الكريم وعشرات من الأحاديث تحضّ وتؤكّد على هذه المفردة كقوله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[١]، تبيّن هذه الآية

(١) الممتحنة ٦٠: ٨.

أنّ التعامل مع من يختلف معنا في المسائل العقديّة لا بدّ أن يقوم على أساس الاحترام المتبادل بين المسلم وأخيه غير المسلم، إذا لم يتعدَ هذا الإنسان على المسلمين، ولم ينتهك القانون الإسلاميّ، ولم يوجّه أي نحو من الإساءة إلى الأُمّة الإسلاميّة، فيندرج تحت التعامل الإيجابيّ في إطاره السعِي والواسع دون ظلم أو تعدّي على حقوقه، بل يكون وفق احترامه والتأكيد على مبدأ إقامة القسط والعدالة. ولذا أكّد القرآن على أنّ الإنسان مهما اختلف مع أخيه الإنسان وتعدّدت وجهات النظر بينهما، إلّا أنّ كلّ فرد يعمل على شاكلته وينطلق من توجّهاته الداخليّة.

مبدأ التعارف في نظر الإسلام.

بَيْد أنّ هناك قانوناً عامّاً يتمثّل في أنّ الله تعالى خلق الخليقة لإيصالهم إليه، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾[١]، هذه الآية من غُرر آي القرآن الكريم لكونها تدعو إلى التعارف، الذي لا يعني مجرّد تعرّف الإنسان على أخيه الإنسان فحسب، بل تدعو لتبادل الخبرات والتعامل الإيجابيّ، فالناس يختلفون في توجّهاتهم وآرائهم وقدراتهم وثقافاتهم غير أنّ هذه الاختلافات لا تدعو إلى الحقد أو الكراهية، أو أن يقوم الإنسان بإضرار أخيه الإنسان، وإنّما لا بدّ أن يكون التعاون الإنسانيّ في ضمن القواسم المشتركة والمناحي الإيجابيّة التي تدعو إلى الخير والوئام والسلام، وهذا هو المعنى العميق لقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾، فلم يشأ الله أن يخلق البشر على هذه الشاكلة من أجل مجرّد المعرفة، بل المقصود هو ما يترتّب وينبثق عن المعرفة من إيجابيّات تعود بالخير على الإنسانيّة جمعاء.

---

(١) الحجرات ٤٩: ١٣.

الإسلام يدعو إلى الانفتاح العقديّ.

هذا المنهج الأخلاقيّ والقَيميّ فهمه المسلم المنتمي إلى أهل البيت عليهم السلام انطلاقاً من قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « [النّاسُ] صِنْفَانِ : **إمّا أَخٌ لَكَ في الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ في الْخَلْقِ** »(١) ، ومعناه أنّ هناك من يشترك معك في المنحى العقديّ ، غير أنّ من لا يشترك معك في ذلك فهو نظير لك في الخلق ، ويندرج تحت ذلك التكريم العامّ الذي أشار إليه قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾(٢) ، فهو مكرّم كتكريم الباري لك ، غير أنّ هذا التكريم وإن تفاضل فيه من يتّجه نحو الله تعالى . أمّا من يتّجه نحو المادّة ، فلا ينال ذلك التفضيل ، بَيْد أنّ الأخذ بأحد هذين الاتّجاهين لا يعني نشوء البغضاء أو الشحناء بين أتباع الاتّجاهين ، بل لا بدّ أن يسود الرفق والمحبّة بينهما ، وأن يكون هناك سعياً حثيثاً للأخذ بيد ذلك الإنسان إلى الوجهة السليمة ، والطريق الإلهيّ الصحيح .

وقد أكّد النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام على احترام الحقوق والتأكيد على الواجبات بين المسلم وأخيه المسلم من ناحية ، وبين المسلم وأخيه غير المسلم من ناحية أُخرى ، ولم يحصر النبيّ صلى الله عليه وآله نظرة المسلمين بنحوٍ ضيق ، بحيث يجعل المسلمين لا يتعاملون مع غيرهم ولا ينفتحون على الشعوب والعقائد الأُخرى ، بل أكّد الإسلام على الانفتاح العقديّ مع الآخرين ، ودراسة تلك العقائد وتقويم نظريّاتها من خلال البرهان وإقامة الدليل ، قال تعالى : ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(٣) ، فالاختلاف في الحقيقة يرجع إلى الأدلّة ، وإقامة الحجج والبراهين الواضحة والبيّنة ، والاعتماد على قوّة المنطق وليس على منطق القوّة ؛

---

(١) نهج البلاغة : ٤٢٧ (صبحي الصالح) .

(٢) الإسراء ١٧ : ٧٠.

(٣) البقرة ٢ : ١١١.

لذا لا عنف في الإسلام، ومن يَسِم الإسلام أو يصفه بأنّه دين السيف ويحمل الكراهية فقد نظر إلى الإسلام بنظرة غير سليمة وغير صحيحة وليست مستقاة من المنهل العذب الذي جاء عن أهل البيت عليهم السلام.

أُسلوب التعامل مع غير المسلم.

أمّا التعامل في إطاره العامّ فهناك تشجيع للمسلم أن يتعامل مع أخيه الإنسان غير المسلم، وقد يتصوّر البعض أنّ هذا التشجيع فقط لأجل دعوة غير المسلم إلى العقيدة الإسلاميّة، وهذا الأمر وإنْ كان صحيحاً إلّا أنّ هناك جوانب أُخرى أكّد عليها الإسلام في تعامل المسلم مع غير المسلم تصب في الصالح العامّ، وليس فقط في جذبه إلى قيم الإسلام.

نعم، دعوة المسلم لغير المسلم أمر حسن وطيّب، والمفروض أن تكون دعوته إلى قيم الإسلام وعدالته وأخلاقه السامية. لكن هناك تعاون بنّاء بين المسلم وغيره، أكّد فيه الإسلام على احترام غير المسلم لإقامة العدل، وتحقيق ما يريده الله تعالى من صلاحٍ وإصلاح على هذه البسيطة، ولم نجد نصوصاً في شرعنا الحنيف تحظر على المسلم أن يتعامل مع غير المسلم.

شموليّة الخطاب القرآنيّ لغير المسلم.

ويؤكّد العلماء على أنّ آي القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿**وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾[1]، وغيرها من المطلقات والعمومات لا يقصد بها المسلمون فحسب، بمعنى أنّ هذه المعاملات لا تخصّ تعامل المسلم مع أخيه المسلم، بل هي عامّة تشمل جميع شرائح وفئات المجتمع الإنسانيّ أيّاً كان انتماؤه العقديّ، وذلك

---

(١) البقرة ٢: ٢٧٥.

لتسهيل الوصول إلى المغزى الحميد الذي أشار إليه الباري تعالى في قوله: ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾، وحتّى مسألة الجهاد في الشريعة الإسلاميّة، لم تنبثق من مسألة العنف والكراهية، وإنّما نشأت من أجل الحفاظ على الجانب القيميّ للإنسان، كما قال الشهيد المطهّريّ، ويرى ﵀ أنّ الجهاد بكلّ أشكاله وأنواعه جهاد دفاعيّ، بمعنى أنّ الإسلام لم يشرّع الاعتداء على غير المسلمين لإخضاعهم بالقوّة إلى الاعتقاد بالعقيدة الإسلاميّة، بل شرّع الجهاد، إمّا للدفاع عن المظلومين والمسحوقين من الناس، وإمّا للدفاع عن النفس والعرض والمال، وما إلى ذلك من قيمٍ تُحترم حتّى في مبادئ القوانين والمواثيق للدول المتحضّرة في عصر الناس هذا.

وعوداً على بدء، فكلّ ما ذكرناه يندرج تحت المفاهيم السامية التي طرحتهما الآيتين: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ و ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.

مراعاة الضوابط الشرعيّة عند الاختلاف

قال تعالى:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾(١)

اختلاف الطبيعة البشريّة.

يبيّن الحقّ تعالى في الآية المباركة أنّ العباد منهم من يتّبع الحسن ومنهم يتّبع الأحسن، كما أنّ بعضهم يتّبع السيّئ وبعضهم يتّبع الأسوأ، ديدن الناس أن يأخذ بعضهم بأفضل الطرق، وبعضهم يأخذ بغير المذموم، ومنهم من يأخذ بالسيّئ، ومنهم من يأخذ بالأسوأ.

ويبيّن الحقّ تعالى أنّ من يأخذ بالأحسن فهو من عباده الصالحين، ومن أُولي الألباب وأصحاب العقول ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، وأنّه تعالى سيتولّاه بالهداية، ومن هدي الآية يُفهم أنّ طبيعة الناس الاختلاف في المشرب والمسلك والاتّجاه، وقلّما تتّحد جماعة من الناس على رأي واحد.

---

(١) الزمر ٣٩: ١٧ و ١٨.

الاختلاف المحمود.

لا ينبغي أن يتحوّل الاختلاف إلى مصدر إثارة للفتنة، ليوجب التنابز بالألقاب واستهزاء بعض الناس من بعضهم الآخر، بل ينبغي أن يكون مصدراً للإثراء والرقيّ، فالاختلاف في الآراء والمسالك إذا كان يقوم على الأدلّة والأُسس الشرعيّة فهو مجاز ومحمود، وتترتّب عليه ثمار طيّبة في تقدّم المجتمع، وقد أبان ذلك الحقّ تعالى في القرآن الكريم.

الاختلاف بين موسى والخضر عليهما السلام.

اختلف موسى والخضر عليهما السلام في أُمور متعدّدة أوجبت تعجّب موسى عليه السلام ـوهو كليم الله تعالى ـ من بعض أفعال الخضر عليه السلام ـكقتل الغلام، وخرق السفينة، وبناء الجدار ـ وما كان الوقت صالحاً كي يُنبئ الخضر موسى عليه السلام بحكمة أفعاله، وأنّ لها مقاصد خفيّة، وفي نهاية المطاف أبان الخضر تلك المقاصد للكليم عليه السلام، ومعنى ذلك أنّ اعتراض موسى كان مشروعاً لأنّه رأى وفقاً للضوابط الشرعيّة أنّ الأعمال التي قام بها الخضر ليس لها وجه شرعيّ يُفهم لديه، ويُعلم في الوقت ذاته أنّ الخضر عليه السلام متشرّع يسير على ضوابط مرتضاة من قِبل الحقّ تعالى، غير أنّ موسى عليه السلام استفسر منه ـوله حقّ السؤال ـ وقد أُوضح في الحوار الذي جرى بين موسى والخضر عليهما السلام، ويُفهم هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾.

الاختلاف في فهم النصوص الشرعيّة.

لا يختصّ الاختلاف بالقضايا الاجتماعيّة، بل يعمّ كلّ الأُمور، ومنها فهم الأحكام الشرعيّة؛ إذ أنّ الروايات الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام تُفهَم من فقيهٍ بنحو ما ومن فقيهٍ آخر بنحو آخر، وقد ورد هذا المعنى في رواية مشهورة

عن النبيّ ﷺ : « **نَضَّرَ اللهُ عَبْداً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ، وَبَلَّغَهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، فَكَمْ مِنْ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ** »[١] ، فيمكن أن تسمع الرواية من النبيّ ﷺ فيفهم منها السامع شيئاً ، ثمّ ينقل الرواية إلى فقيه آخر فيفهم من الرواية معنىً غير المعنى الذي فُقِهَ منها من قِبل الناقل ، والنبيّ ﷺ يدعو إلى ناقل الرواية السامع لها المبلّغ لها كما وعاها ، أي لم يغيّر فيها شيئاً ، ثمّ بيّن عليه السلام أنّ المنقول له الرواية قد يفقه معنىً غير المعنى الذي فهمه الراوي ، ومعنى ذلك الاختلاف في فهم الرواية الصادرة من النبيّ ﷺ .

الاختلاف في روايات الهلال .

نحن أتباع أهل البيت عليهم السلام مسلكنا الاجتهاد في النصوص الواردة عن النبيّ ﷺ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ، وبعض الناس يتعجّب من الاختلاف بين العلماء في فهم النصوص الشرعيّة الواردة في الهلال ، فهناك نصّ مشهور ورد عن النبيّ ﷺ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام في صوم شهر رمضان وإفطاره ، « **صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ** »[٢] والنصّ من النصوص المشهورة المتداولة ، غير أنّ الفقهاء يختلفون في فهمه في المباني لركائز وأُسس اجتهاديّة ، والاجتهاد معتبر عندنا ، بل هو الأساس للتطوّر المستمرّ للفقه ومواكبة الزمان والمكان ، ولولا الحركة الاجتهاديّة من الفقهاء لكان الفقه راكداً جامداً لا يستطيع أن يلبّي حاجة الإنسان في الأزمنة والأمكنة المتعدّدة ، فالحركة الاجتهاديّة لها التأثير الذي جعل الناس ينسجمون مع الفقه .

ومن هنا لا نتعجّب إذا كان رأي بعض الفقهاء على ضوء الروايات الواردة عن

---

(١) بحار الأنوار : ٢ : ١٤٨ .

(٢) وسائل الشيعة : ١٠ : ٢٥٧ ، الباب ٣ من أبواب شهر رمضان ، الحديث ١٧ .

النبيّ ﷺ والأئمّة هو الإفطار في يومٍ مّا، ورأي فقيه آخر هو صوم ذلك اليوم؛ لأنّ أساس استنباط الحكم الشرعيّ يختلف في المبنى.

المباني الفقهيّة في ثبوت الهلال:

هناك مبانٍ فقهيّة في مسألة رؤية الهلال يثبت على أساس بعضها العيد في يومٍ مّا عند أحد المراجع ولا يثبت عند مرجع آخر، بل يكون ذلك اليوم من شهر رمضان فالمباني متعدّدة:

الأوّل: اختلاف الآفاق.

كان المبنى المشهور لدى فقهائنا (رحم الله الماضين منهم، وأيّد الله تعالى الباقين)، أنّ اختلاف الآفاق يؤثّر في رؤية الهلال، فأُفق الأحساء يختلف عن أُفق المدينة المنوّرة باعتبار اختلاف زمن غروب وشروق الشمس، والاختلاف في خطوط الطول، فهناك تفاوت بين غروب الشمس لدينا وغروبها في المدينة المنوّرة بأكثر من نصف ساعة، والمبنى المشهور لقدماء الفقهاء أنّ اختلاف الآفاق يوجب تعدّد الرؤية والعيد، وكلّ أُفق له عيده.

الثاني: وحدة الأفاق مع الاشتراك في الليل.

تبنّى المحقّق السيّد الخوئيّ ﵀ رأياً آخر في رؤية الهلال، وأوضحه في رسالته العمليّة (منهاج الصالحين)، وخلاصة رأيه أنّ اختلاف الآفاق لا يضرّ في رؤية الهلال، وأنّ الآفاق المختلفة بحكم الأُفق الواحد إذا اشتركت في جزء من الليل ولو بساعة، فحكمها واحد، أمّا إذا تغايرت كلّيّاً ـ فأصبح أُفق بلدٍ مّا بداية النهار فيه هي بداية الليل لأُفق آخر، وتحقّق اختلاف كامل ـ عندئذٍ الحكم يختلف، فإنّ لكلّ أُفقٍ عيده لعدم الاشتراك في جزء من الليل، أمّا مع الاشتراك في جزء منه بين الأُفقين أو الآفاق المختلفة، فإنّ رؤية الهلال في أُفق بعيد يشترك مع آخر في جزء من الليل ولو بساعة يثبت العيد، حتّى وإنْ قال الفلكيّون باستحالة

رؤية الهلال ، هذا مبنى السيّد الخوئيّ الذي يختلف مع مبنى المشهور من الفقهاء القدماء ، ومن يرجع إليه قد يثبت لديه العيد ، ولا يثبت لمن يرجع إلى مرجع آخر .

الثالث : الرؤية بالعين المسلّحة .

من المباني في الرؤية مبنى المرحوم الشيخ محمّد الفاضل اللنكرانيّ ، وهو من كبار الفقهاء ، وله مؤلّفات كثيرة في الفقه ، وكذلك تبنّى هذا الرأي السيّد الخامنئيّ (يحفظه الله) ، وخلاصة هذا الرأي أنّ الهلال لا يشترط أن يرى بالعين المجرّدة ، بل يكفي في رؤيته العين المسلّحة (الاستعانة بالوسائل الحديثة لرؤية الهلال كالتلسكوب) والرؤية معتبرة ويثبت بها العيد ، ولا يشترط أن تكون بالعين المجرّدة وهنا لا نتحدّث عن ولادة الهلال ، فالهلال إذا وُلد ومكث بعد ولادته ـ الولادة هي خروج الهلال من المحاق بعد الاقتران بظلّ الشمس ـ فله ثلاث حالات : إحداها عدم إمكانيّة رؤيته بالعين المجرّدة مع إمكان رؤيته بالعين المسلّحة ، والأُخرى يمكن أن يرى فيها بالعين المجرّدة ، كما أنّ الرؤية بالعين المجرّدة قد تمتنع باعتبار وجود غيوم أو كون الزاوية حرجة فلا يرى الهلال ، والثالثة أنّه يولد ، غير أنّه لا يمكن أن يرى باعتبار انخفاضه ، فإذا ولد الهلال ومكث برهة زمنيّة يمكن أن يرى ، فتارة يرى بالعين المجرّدة وأُخرى لا يمكن ذلك بل بالعين المسلّحة ، ولا يثبت الهلال عند بعض الفقهاء بذلك ، بل لا يثبت إلّا إذا رؤي بالعين المجرّدة .

الرابع : الرؤية بالعين المجرّدة .

مبنى السيّد السيستانيّ (حفظه الله) في الرؤية يعتمد على أُمور :

الأوّل : لا بدّ أن يرى بالعين المجرّدة .

الثاني : أن لا تقوم بيّنة فلكيّة باستحالة الرؤية ، فلو قامت سقطت حجّيّة البيّنة (شاهدان عادلان برؤية الهلال) ، فقيام البيّنة الفلكيّة كاسر لحجّيّة الرؤية بالعين المجرّدة .

الثالث: الاتّحاد في الأُفق، أي يشترط أن لا تكون المسافة الفاصلة بين البلدين أكثر من ثمانمائة وثمانين كيلو متر.

الرابع: أنّه إذا رآه شخص رآه الجميع، ومعنى ذلك أنّه إذا خرج جماعة يتساوون في الخبرة والنظر، ورآه بعضهم دون بعضهم الآخر، سقطت حجّيّة شهادتهم، وهذا مبنىً في غاية الصعوبة بخلاف مبنى السيّد الخوئيّ، فلا تؤثّر شهادة الفلكيّين بعدم إمكان الرؤية، ولا يشترط الاتّحاد في الأُفق، بل الآفاق المختلفة بحكم واحد إذا اشتركت في جزء من الليل، فإذا قامت الشهادة بالرؤية المجرّدة فهي حجّة عند السيّد الخوئيّ حتّى مع قول الفلكيّين بعدم إمكانيّة الرؤية.

الخامس: أن لا يحصل تعارض حكميّ بين الشهود، بأن يخرج جماعة يتساوون في حدّة النظر والخبرويّة وفي مكان واحد، فيراه بعضهم دون بعضهم الآخر، فإنّه بذلك تسقط حجّيّة شهادة من رآه.

الموقف من الاختلاف في ثبوت الهلال.

لذا ينبغي أن نفهم أنّ الاختلاف في ثبوت العيد وعدم ثبوته أمر طبيعيّ، فقد يثبت العيد لبعض المؤمنين ولا يثبت لبعضهم الآخر الذي يتّبع مرجعاً آخر لاختلاف الضوابط الشرعيّة واختلاف المباني.

قد يقول بعض الناس: لماذا لا تتّحد الكلمة؟ إنّ اتّحاد الكلمة حسن طيّب، غير أنّ الناس لا يرجعون لمن يريد أن يوحّد الكلمة ليعملوا برأيه وإنّما يعملون برأي مراجع وطالب العلم، والعالم لا بدّ أن يبيّن للناس آراء مراجعهم دون رأيه.

علاقة التقليد بثبوت الهلال.

إنّ القول باختلاف العيد باختلاف المباني الفقهيّة، قد يتوهّم منه أنّ المسألة ترجع إلى التقليد، غير أنّ الأمر ليس كذلك على إطلاقه.

ولإيضاح الإجابة على السؤال القائل هل للتقليد دخل في ثبوت العيد وعدمه نشير إلى جهتين :

الأُولى: ارتباط ثبوت الهلال بالتقليد كما في مسألة العين المسلّحة ، فإذا كان المرجع يرى أنّ الهلال لا يثبت بالعين المسلّحة فلابدّ من رؤيته بالعين المجرّدة ولا تكفي العين المسلّحة في ثبوت الهلال ، أمّا إذا كان المرجع يرى ثبوته بالعين المسلّحة فسوف يثبت بنحو أسهل . وكذلك يرتبط ثبوت الهلال بالتقليد في حالة اختلاف الآفاق ، وأيضاً في حالة ادّعاء الرؤية البصريّة ، غير أنّها تتعارض مع عدم إمكانيّة الرؤية فلكيّاً ، وحينئذٍ لا يثبت الهلال ، أمّا لو قال الفلكيّون يُرى بصعوبة ، ثمّ جاءت شهادة بالرؤية ستكون الشهادة حجّة على مبنى السيّد السيستانيّ ؛ لأنّ الفلكيّين لم يقولوا باستحالة الرؤية وإنّما قالوا بصعوبتها .

الثانية: عدم ارتباط ثبوت الهلال بالتقليد في بعض حيثيّاتها كعدالة الشهود ، فقد يطمئنّ بعض العلماء بعدالة بعضهم ولا يحصل اطمئنان لدى البعض الآخر ، فيثبت العيد للمطمئنّ . وقد يحصل اطمئنان بالشهادة على وفق تشخيص موضوعيّ لا يرجع إلى التقليد ، فالتقليد في أخذ المبنى ، أمّا في تطبيقه على الموضوع الخارجيّ فقد يختلف ، كما إذا قال الفلكيّون لا يرى ثمّ جاءت الشهادة ، فإنّ الأخذ بها مخالفة للمبنى القائل بأنّ شهادتهم كاسرة للبيّنة بخلاف ما إذا قيل بصعوبة الرؤية ثمّ قامت الشهادة ، فإنّها ستكون حجّة .

والخلاصة : أنّ المسألة فيها أبحاث دقيقة ومبانٍ فقهيّة متعدّدة ، وينبغي للمؤمن أن لا يتعجّل إذا ثبت الهلال عند جمع من الناس أو على ضوء المباني الفقهيّة أن يرى أنّ ذلك مخالف للوحدة ، فالسير على وفق الضوابط الشرعيّة المعتبرة يؤدّي إلى قبول التعدّد والاختلاف دون غضاضة .

السحر بمنظور شرعيّ

قال تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ * فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾(١)

الفساد في الأرض من المسائل التي ابتليت بها المجتمعات الإنسانيّة، وله أنماط متعدّدة، من أسوأها السحر، وهو أنواع، منها ما يُفرّق به بين الأخ وأخيه، والزوج وزوجه، فللسحر تأثير سيّئ على البشريّة، لذا أهدرت الشريعة الإسلاميّة دم الساحر، وجعلت حكمه القتل، وهو حكم المفسد في الأرض.

السحر والغاية من الخلق.

خلق الله تعالى الخلق لأجل السعادة والوصول إلى الكمال، ويتحقّق الكمال بالألفة والمودّة والحبّ، قال الإمام الباقر عليه السلام: «**وَهَلِ الدِّينُ إِلّا الْحُبُّ**»(٢)، فحصر الإمام عليه السلام الدين في الحبّ، بينما الساحر يقوم بعمل يضادّ ما يحقّق سعادة

---

(١) يونس ١٠: ٧٩ ـ ٨٢.

(٢) المحاسن: ١: ٢٦٣. الكافي: ٨: ٨٠.

الإنسان، ويتنافى مع مقصد الشريعة، خصوصاً فيما يتعلّق بالأُسرة بين الزوج وزوجه.

الإسلام يحارب السحر.

حاربت الشريعة الإسلاميّة السحر والساحر محاربة شديدة لئلّا يتفشّى هذا الفساد وينتشر بين الناس؛ لأنّ انتشاره يؤدّي إلى عواقب وخيمة، منها سوء العلاقات الاجتماعيّة ليس بين الزوج وزوجه فحسب، بل بين الأقرباء من الزوجين أيضاً، فتسوء العلاقات الاجتماعيّة، وتنشأ الضغينة في النفوس بدلاً من الوئام، والبغضاء بدلاً من الحبّ، من هنا حسم المشرّع هذا الداء بعقوبة شديدة للساحر هي القتل لئلّا ينتشر ذلك الفساد، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَنْ تَعَلَّمَ شَيْئاً مِنَ السِّحْرِ، قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً، فَقَدْ كَفَرَ، وَكَانَ آخِرَ عَهْدِهِ بِرَبِّهِ وَحَدُّهُ أَنْ يُقْتَلَ، إلّا أَنْ يَتُوبَ**»(١)، السحر بمثابة الكفر في هذا الحديث، ثمّ أبان عليه السلام حدّ الساحر.

حقيقة تأثير السحر.

قد يتصوّر بعض الناس أنّ السحر لا يؤثّر، غير أنّ ذلك ليس بسديد، فالسحر على أنماط شتّى، بعضه يؤثّر وبعضه لا يؤثّر، وهو كالعين قد تصيب في بعض الأحايين وقد لا تصيب، ليست كلّ عين مؤثّرة، كما أنّ السحر حقّ، ولكن ليس كلّ سحر يؤثّر في المسحور، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «**الْعَيْنُ حَقٌّ، وَالرُّقَىٰ حَقٌّ، وَالسِّحْرُ حَقٌّ**»(٢)، يبيّن الإمام عليه السلام في هذا الحديث أنّ السحر حقّ، وليس كلّ أنماط السحر لا تؤثّر في المسحور، بل أنّ بعض أنواعه تُحدث وبالاً ووباءً في المسحور. وهناك من يتصوّر جواز ممارسة قليل من السحر والأخذ بشيء من أجل تحقيق مصلحة

---

(١) وسائل الشيعة: ١٧: ١٤٨، الباب ٢٥ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٧.

(٢) نهج البلاغة: ٥٤٦ (صبحي الصالح) من حِكمه عليه السلام: الحكمة ٤٠٠.

أو درء مفسدة .

موقف النبيّ صلى الله عليه وآله من السحر .

بَيْد أنّ الشارع المقدّس ردع ردعاً تامّاً عن السحر ، ولم يفتح باباً يُسوغه ، وقد ورد أنّ امرأة أقبلت إلى رسول الله عليه السلام فقالت : يا رسول الله ، إنّ لي زوجاً وله علَيَّ غلظة ، وإنّي صنعت شيئاً لأعطفه علَيَّ ـ أي ليُرقّ علَيَّ ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **أُفٍّ لَكِ كَدَّرْتِ دِينَكِ ، لَعَنَتْكِ الْمَلاَئِكَةُ الْأَخْيَارُ** ـ ثلاث مرّات ـ **لَعَنَتْكِ مَلاَئِكَةُ السَّمَاءِ ، لَعَنَتْكِ مَلاَئِكَةُ الْأَرْضِ** »[1].

بعض الأزواج طباعه سيّئة ، وهذا خلق مذموم في الشريعة الإسلاميّة ، وله عواقب وخيمة منها ضغطة القبر ، كما جاء في الروايات ، بَيْد أنّ علاج الغلظة وسوء الطبع للزوج ليس باقتراف المحظور شرعاً وعمل السحر ، وقد ردّ النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك ، وأبان أنّ هذا الأُسلوب يجعل الدين كدراً غير نقي ، ومن يقوم بذلك خلط العمل الصالح بالسيّئ فنقص دينه ، واستحقّ لعن الملائكة ، فهو صلى الله عليه وآله لم يسمح للمرأة أن تقترب من السحر بعمل بعض الأعمال التي تعطف قلب زوجها عليها وتُرقّق طباعه .

معالجة الخلافات الزوجيّة .

لا يجوز للمرأة المسلمة الارتباط بالسحرة والمشعوذين لأجل إصلاح علاقتها بزوجها ، وإنّما ينبغي لها أن تسير في المسار الطبيعيّ ، والطريق السويّ في نصح زوجها ، وبيان ما يريده الشارع من التعامل الطيّب بين الزوج وزوجه ، وأنّ الحياة تقوم على المودّة والمصالح المشتركة ، بمعنى أنّ كلّ طرف يتنازل عن بعض حقوقه لصالح الطرف الآخر لتسود العلاقات الطيّبة بين الناس ، خصوصاً بين الزوجين ،

---

(١) بحار الأنوار : ٧٦ : ٢١٤ .

فلا يتشدّد كلّ منهما في التمسّك بحقوقه تجاه الآخر، بل لا بدّ من المرونة والتنازل فيما بينهما، ولا يختصّ هذا بالعلاقة الزوجيّة فحسب، بل يعمّ العلاقات الأُخرى بين الناس، لذا أمرت الشريعة الإسلاميّة بالصلح ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾[١]، وطُبّق في كلّ الأُمور والقضايا بلحاظ أنّ حكم القانون في كثير من الأحيان يجعل العلاقات جافّة، لعدم التنازل عن الحقوق في القانون، والشارع يريد الإحسان ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾[٢]، ﴿**وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٣]، بمعنى أن يكون الإنسان مصدر الإحسان للطرف الآخر، ومن أوْلى بالإحسان من الزوجة إلى زوجها، والزوج إلى زوجته، والولد إلى والده، والوالد إلى ولده، والأخ إلى أخيه، وكلّ ذلك يتحقّق بالمرونة والوئام.

أمّا إذا اتّخذت الزوجة الجانب المنحرف ولجأت إلى أعمال السحر، أو قام الزوج بنفس العمل، فإنّ علاقتهما تتصدّع تدريجيّاً حتّى تصل إلى ما لا تحمد عقباه.

الرقية في مواجهة السحر.

بعد أن أبان الشارع المقدّس أنّ حدّ الساحر القتل، وأوضح أنّ السحر يؤثّر في المسحور، أرشد إلى الرُقية طريقاً صحيحاً وشرعيّاً للشفاء والحفاظ على تماسك البيت العائليّ. والسلوك الخاطئ في اللجوء إلى السحرة للإضرار بأحد الزوجين، كما أنّ السحر قد لا يكون من أهل الزوجة أو الزوج أو الأقارب، وإنّما يحصل من أطراف بعيدة تترصّد للزوجين للإضرار بعلاقتهما من حيث لا يشعران، لذا لا ينبغي أن تتأثّر العلاقات الأُخرى بين الأقارب بما يحصل للزوجين.

---

(١) النساء ٤: ١٢٨.

(٢) البقرة ٢: ٨٣.

(٣) آل عمران ٣: ١٣٤، ١٤٨. المائدة ٥: ٩٣.

الوقاية من السحر:

هناك كثير من الأعمال والأوراد في كتب الأدعية تفيد الإنسان بنحو عامّ ، خصوصاً للوقاية من السحر ، كأدعية الصباح والمساء ، وأوراد حفظ الإنسان من التأثيرات السلبيّة للسحرة ، والوقاية من تأثيرات الشياطين ، وهناك شياطين في صورة إنس ، يفرّقون بين المرء وزوجه ، ولأجل ذلك وردت أدعية وأعمال للوقاية ، أهمّها ثلاثة :

الأوّل: قراءة القرآن الكريم.

القرآن كلّه حرز من الشياطين ، غير أنّ الروايات أكّدت على قراءة بعض السور والآيات للاحتراز بها ، وأبانت أنّها تؤثّر تأثيراً بالغاً على الإنسان ، مثل سور القلاقل : ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾[١]، ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾[٢]، ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾[٣]، ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾[٤]، خصوصاً قراءة المعوذتين ، حيث وردت روايات تبيّن أنّ على الإنسان أن يقي نفسه من السحرة والشياطين بتكرار المعوذتين ،كما أنّ آية الكرسيّ من أعظم الأعمال التي تؤثّر وتجعل للإنسان حصانة تقيه أعمال السحرة والشياطين .

تأثير آية الكرسيّ.

هناك كثير من المؤمنين يواظب على قراءة آية الكرسيّ ، لكنّه يقرأها قليلاً ،

---

(١) الكافرون ١٠٩ : ١.

(٢) الإخلاص ١١٢ : ١.

(٣) الفلق ١١٣ : ١.

(٤) الناس ١١٤: ١.

وتأثيرها في قراءتها كثيراً صباحاً ومساءً، فمن قرأها خمس مرّات تكفّل الله بحفظه من عمل الشياطين والسحرة، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**ومن قرأها ـ آية الكرسيّ ـ خمس مرات كتب الله اسمه في ديوان الأبرار، واستغفرت له الحيتان في البحار، ووُقي شرّ الشيطان**»[1]، وقد ذكر بعض العلماء أنّ من المجرّبات أن تقرأ سبع مرّات في الصباح والمساء، وهي من الأذكار المفيدة لكلّ شيء، والمواظبة عليها يقي الإنسان من الشياطين ويحفظه من كلّ سوء.

الثاني: الحوقلة.

الحوقلة هي أحد الأذكار التي أكّدت عليها الروايات في الصباح والمساء سبع مرّات، أو عشر مرّات، أو مائة مرة، ولعلّ اختلاف العدد يرجع إلى اختلاف الناس في قدراتهم وأنفسهم، وقد وردت بكيفيّات متعدّدة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَفِي دُبُرِ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، دَفَعَ اللهُ عَنْهُ سَبْعِينَ نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، أَهْوَنُهَا الرِّيحُ وَالْبَرَصُ وَالْجُنُونُ، وَإِنْ كَانَ شَقِيّاً مُحِيَ مِنَ الشَّقَاءِ وَكُتِبَ فِي السُّعَدَاءِ**»[2]، هي ذكر مبارك يحقّق للإنسان الابتعاد عن الشيطان، ويكون حرزاً

---

(١) جامع أحاديث الشيعة: ١٥: ٩٢.

قال صلى الله عليه وآله: «**من قرأ آية الكرسي مرّة محا اسمه من ديوان الأشقياء، ومن قرأها ثلاث مرّات استغفرت له الملائكة، ومن قرأها أربع مرات شفع له الأنبياء، ومن قرأها خمس مرّات كتب الله اسمه في ديوان الأبرار، واستغفرت له الحيتان في البحار، ووقي شرّ الشيطان، ومن قرأها سبع مرّات أغلقت عنه أبواب النيران، ومن قرأها ثماني مرّات فتحت له أبواب الجنان، ومن قرأها تسع مرّات كفى هم الدنيا والآخرة، ومن قرأها عشر مرّات نظر الله اليه بالرحمة، ومن نظر الله اليه بالرحمة فلا يعذّبه**».

(٢) بحار الأنوار: ٨٣: ١٣٢.

وسياجاً من عمل السحرة والأشرار.

الثالث: الصدقة.

العالَم الذي نعيشه جزء منه مادّيّ محسوس ومرئيّ والجزء الآخر غير مادّيّ، وهو الجزء الأعظم، وهناك الكثير من الأعمال الطيّبة التي تؤثّر على الجانب اللّامحسوس، فتنعكس آثارها في الحسّ، والصدقة من أهمّها فلها تأثير في دفع البلاء، وقد يمتحن الإنسان لأنّه لم يتصدّق، فتؤثّر بعض الأعمال عليه، ويمكن الوقاية منها بالصدقة، قال الصادق عليه السلام: «**صَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ تَدْفَعُ سَبْعِينَ نَوْعاً مِنَ الْبَلَاءِ**»[١].

(١) ثواب الأعمال: ١٤٣.

فلسفة الصوم العباديّة والاجتماعيّة

قال تعالى :

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(١).

للصوم في شهري رجب وشعبان أهمّيّة كغذاء روحيّ يرفع الإنسان إلى السموّ المعنويّ ، وسوف نركّز في هذا البحث على العلّة التي من أجلها فرض الله الصوم ، ويتطلّب منّا ذلك الرجوع إلى الروايات للنبيّ صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام التي تعرّضت لحِكَم الصوم ، لنستقي من مَعِينها الزُّلال .

وقبل البدء في الروايات نلفت النظر إلى أنّ العلّة التي ذكرتُها يُقصد بها الحكمة ؛ لأنّ العلماء يقولون : إنّ علل الأحكام الحقيقيّة لا يعلم بها إلّا الله ، وقد بيّن الله تبارك تعالى في القرآن أنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، لكنّنا إذا فرضنا أنّ شخصاً لا يفعل الفحشاء والمنكر فلا يعني ذلك أنّه لا يجب عليه أن يصلّي ؟ لأنّ النهي عن الفحشاء والمنكر حكمة للصلاة وليست بعلّة ؛ لأنّ العلّة يدور معها الأمر وجوداً وعدماً ، وإذا انتفت العلّة انتفى معلولها ، أمّا الحِكمَة فإنّها وإن انتفت لا ينتفي الوجوب .

---

(١) البقرة ٢ : ١٨٣ .

الحِكمَة من الصوم:

نذكر هنا بعض الحِكَم الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام التي تلازم الصوم، روى الفضل بن شاذان عن إمامنا الرضا عليه السلام رواية جميلة بيّن فيها بعض حِكَم الصوم:

الأُولى: الجوع والعطش وارتباطه بالآخرة.

قال عليه السلام في جواب من سأله: لِم أُمروا بالصوم؟ «**لِكَيْ يَعْرِفُوا أَلَمَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، فَيَسْتَدِلُّوا عَلَىٰ فَقْرِ الْآخِرَةِ**»[١]، أي أنّ الله تعالى أمرنا بالصوم لكي نستشعر ألم الجوع والعطش، ونستدلّ بذلك على العذاب الموجود في عالم الآخرة، وأنّ الإنسان بحاجة إلى التزوّد لذلك العالم، قال تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[٢]، وليس هناك زادٌ أفضل من التقوى التي تتناسب مع الجزاء الأُخرويّ لذلك العالم.

الثانية: الصوم يورث الخشوع والتواضع.

ثمّ قال عليه السلام جواباً عن السؤال المتقدّم: «**وَلِيَكُونَ الصَّائِمُ خَاشِعاً ذَلِيلاً، مُسْتَكِيناً مَأْجُوراً، مُحْتَسِباً عَارِفاً، صَابِراً**»[٣]، أي أنّ الصوم يورث الخشوع الذي يعتبر مرتبة

---

(١) بحار الأنوار: ٦: ٧٩.

(٢) البقرة ٢: ١٩٧.

(٣) بحار الأنوار: ٦: ٧٩ و ٨٠.

«**فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِالصَّوْمِ؟ قِيلَ: لِكَيْ يَعْرِفُوا أَلَمَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، فَيَسْتَدِلُّوا عَلَىٰ فَقْرِ الْآخِرَةِ، وَلِيَكُونَ الصَّائِمُ خَاشِعاً ذَلِيلاً، مُسْتَكِيناً مَأْجُوراً، مُحْتَسِباً عَارِفاً، صَابِراً لِمَا أَصَابَهُ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، فَيَسْتَوْجِبَ الثَّوَابَ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الانْكِسَارِ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ وَاعِظاً لَهُمْ فِي الْعَاجِلِ، وَرَائِضاً لَهُمْ عَلَىٰ أَدَاءِ مَا كَلَّفَهُمْ، وَدَلِيلاً فِي الْآجِلِ، وَلِيَعْرِفُوا شِدَّةَ مَبْلَغِ ذَلِكَ عَلَىٰ أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ فِي الدُّنْيَا، فَيُؤَدُّوا إِلَيْهِمْ مَا افْتَرَضَ**»

رفيعة من القرب الإلٰهيّ ، وهو خصيصة للعلماء ، قال الله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾(١) ، والخشية تساوق في بعض إطلاقاتها الخشوع ، غير أنّ الخشوع هو شدّة الخشية من الله ، والصوم يجعل الإنسان خاشعاً متواضعاً ذليلاً مستكيناً لله تعالى وللحقّ ، فلا يتكبّر على الحقّ ، بل يذعن له ويطبّقه في حركاته وسكناته .

الثالثة : الصوم يُعلّمنا الصبر .

وقال عليه‌السلام : « **صَابِراً لِمَا أَصَابَهُ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ ، فَيَسْتَوْجِبَ الثَّوَابَ** » ، لابدّ أن يتعرّض الإنسان في حياته لعقبات شديدة ومواقف عصيبة ، لا يتأتّى له تجاوزها إذا لم يصبر ، لذا اهتمّت الروايات اهتماماً بالغاً بالصبر ، قال الإمام الصادق عليه‌السلام : « **الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ** »(٢) ، والصوم يتكفّل بترسيخ الصبر في نفس الإنسان .

الرابعة : السيطرة على الغرائز .

وقال عليه‌السلام : « **مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الانْكِسَارِ ، عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ وَاعِظاً لَهُمْ فِي الْعَاجِلِ** » السيطرة والتحكّم في الغرائز والشهوات المختلفة لا يتأتّى إلّا من خلال الصوم الذي يكبح جماح الشهوة والنفس الأمّارة بالسوء ، وهذا امتحان كبير لنا جميعاً ، خصوصاً الشباب الذين قد تمرّ أمامه امرأة فيُشبع عينيه بالنظر الحرام إليها ، وهو يعلم أنّ نظره محرّم ، وهو سهم من سهام الشيطان كما ورد في الروايات ، لكنّه ينظر إلى الحرام ، وقد يؤتمن على أمانة ويخونها ، أو يبيع ويشتري وهو يغشّ

« **اللهُ تَعَالىٰ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ** » .

(١) فاطر ٣٥ : ٢٨ .

(٢) الكافي : ٢ : ٨٧ .

الناس ، وغير ذلك من المعاصي ؛ لأنّ الشهوة تدعوه إلى التعدّي على القوانين الإلٰهيّة ، لكنّه بالصوم يستطيع التحكّم والسيطرة على شهواته ، وننوّه ههنا إلى أنّ ما يُعرض في هذا الشهر على القنوات الفضائيّة بمثابة امتحان لقوّة إيماننا وسيطرتنا على غرائزنا ؛ إذ بأيدينا نحقّق أكبر الانتصارات على الشهوات والهوى ، وذلك ما يعطينا العظة والعِبرة في أخلاقنا وسلوكنا ويربطنا بالآخرة دائماً .

الخامسة : ترويض النفس على آداء التكاليف الشرعيّة .

قال عليه‌السلام : « **وَرَائِضاً لَهُمْ عَلَى أَدَاءِ مَا كَلَّفَهُمْ ، وَدَلِيلاً فِي الْآجِلِ** » يروّض الصوم المؤمن على التحمّل والقدرة الفائقة على أداء ما كلّفه الله ، ويبعث في نفسه العزيمة وقوّة الإرادة على تحصيل الرضا الإلٰهيّ ، لذا أكّد أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام على الرياضة الروحيّة . قال الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام : « **وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوىٰ** »(١) ، وفي نصّ آخر يقسم الإمام بالله على ترويض نفسه على تقوى الله ، مع مقامه الشامخ ، وما أحوجنا أن نتعلّم من ذلك ، وأن نقوم بين يدي الله تعالى في الأسحار ، ونوطّن أنفسنا على ترك لذّة النوم ، والقيام بمناجاة الله تعالى ، وذلك هو الطريق الموصل إلى رضوانه .

السادسة : مواساة الفقراء .

قال عليه‌السلام : « **وَلِيَعْرِفُوا شِدَّةَ مَبْلَغِ ذَلِكَ عَلىٰ أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ فِي الدُّنْيَا ، فَيُؤَدُّوا إِلَيْهِمْ مَا افْتَرَضَ اللهُ تَعَالىٰ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ** » ، يحقّق الصوم أعلى قيم التكافل الاجتماعيّ في نظر الإسلام ، فهو يُذيق الغنيّ ألم الجوع الذي يتضوّر منه الفقير ، فيندفع من داخله ليرفع حالة البؤس عنه ، ويبذل كلّ ما لديه من أجل سعادة

(١) بحار الأنوار : ٤٠ : ٣٤١ .

الآخرين ، من خلال أداء الحقوق الشرعيّة ـ كالخمس والزكاة ـ وما افترضه الله على المؤمنين ، وأيضاً يفتح له آفاقاً للتفكير في الفقراء والمعوزين في بلده وفي العالم ، ليسعى لمساعدتهم حسب إمكانيّاته ، ولعلّ شعورنا بهؤلاء المحتاجين يدفعنا إلى تكفّل شؤونهم الماديّة ، ولو بقليل على مستوى عائلة واحدة وأكثر ، أو دعوة مجموعة منهم في هذا الشهر الكريم على الإفطار أو السحور كي يشعروا أنّهم جزء لا يتجزّأ من المجتمع الذي يحبّهم ويعطف عليهم ، وبهذه الطريقة نحافظ عليهم من الانحراف ، ونوجّه طاقاتهم وقدراتهم الكبيرة لخدمة المجتمع وتنميته ، والسعي نحو رُقيّه المطّرد .

الأبعاد المعنويّة والاجتماعيّة للصوم

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١]

مراتب الصوم المعنويّة:

الصوم جُنّة من النار، وهو ركن من الأركان، ودِعامة من الدعائم التي بُني عليها الإسلام، وله فوائد متعدّدة، وقد أبانت الروايات الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ما يصل إليه الصائم بصومه من درجات عند الحقّ تعالى، وهي على مراتب متفاوتة:

الأُولى: الوصول إلى رضا الله.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إِنَّ الصَّائِمَ مِنْكُمْ لَيَرْتَعُ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ- وَتَدْعُو لَهُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطِرَ**»[٢]. هذه درجة من الدرجات التي يصل إليها الصائم، وهي درجة الرضا من الله تعالى عنه، فيكون في الجنّة، والتعبير بأنّ الصائم في الجنّة

---

(١) البقرة ٢: ١٨٣.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠: ٤٠٦، الباب ١٧ من أبواب الصوم المندوب، الحديث ٣٨.

يراد به حصوله على رتبة في عالم الدنيا بصومه، هي أن يرتع في رياض الجنّة، وورد مثل ذلك في القرآن الكريم بشأن من يأكل مال اليتيم أنّه في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[1]، فمن صام فهو في الجنّة، أي رتبته المعنويّة الجنّة يرتع في رياضها، ويتنعّم في منازلها عند الله تعالى إلى أن يفطر. إذن الصوم يوصل الصائم مرتبة الرضوان.

الثانية: السير في تحقيق صوم الجوارح.

من المراتب التي يصل إليها الصائم ما أشارت إليه الروايات، فعن إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في ليلة المعراج، أنّه عليه السلام سأل الله تعالى: **يَا رَبِّ مَا أَوَّلُ الْعِبَادَةِ؟** أي ماذا ينبغي أن يُعبد به الله أوّلاً، فقال الله عزّ وجلّ مجيباً لنبيّه صلى الله عليه وآله: **أَوَّلُ الْعِبَادَةِ الصَّمْتُ وَالصَّوْمُ**[2]. هنا اقتران بين الصمت والصوم، الصامت يكُفّ لسانه ويسيطر عليه، وهذه أوّل عبادة يصل إليها الإنسان بقلبه، وفسّر بعض العرفاء الصمت بأنّه الإعراض عمّا سوى الحقّ تعالى والتوجّه إلى الله تعالى، واستشهد بقوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُم مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[3]، أي أنّ الصوم هنا لا يراد به الإمساك عن المفطرات، وإنّما يراد به ما أُشير إليه في بعض الروايات. قال إمامنا الصادق عليه السلام: «**إِذَا أَصْبَحْتَ صَائِماً فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ مِنَ الْحَرَامِ وَجَارِحَتُكَ**

---

(١) النساء ٤: ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ٧٤: ٢٧.

وتتمّة الحديث: «**قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا مِيرَاثُ الصَّوْمِ؟ قَالَ: الصَّوْمُ يُورِثُ الحِكْمَةَ، وَالحِكْمَةُ تُورِثُ الْمَعْرِفَةَ، وَالْمَعْرِفَةُ تُورِثُ الْيَقِينَ، فَإِذَا اسْتَيْقَنَ الْعَبْدُ لَا يُبَالِي كَيْفَ أَصْبَحَ بِعُسْرٍ أَمْ بِيُسْرٍ**».

(٣) الذاريات ٥١: ٥٠.

وَجَمِيعُ أَعْضَائِكَ مِنَ الْقَبِيحِ»[١] .

وهناك مرتبة أعظم من هذه المرتبة تتّحد مع ما ذكرناه آنفاً في الصمت ، وهو أن يجعل قلبه صائماً ممّا عدا الله ، ولا يتوجّه إلّا إليه .

الآثار المعنويّة للصوم :

ثمّ إنّ النبيّ ﷺ سأل الباري جلّ وعلا : « **يَا رَبِّ ، وَمَا مِيرَاثُ الصَّوْمِ ؟** » أي ما هي الآثار المعنويّة التي يحصل عليها الصائم وهو من حقّق أوّل العبادة بصمته وصومه ؟

فأُجيب بأُمور :

الأوّل : الحكمة .

قال الباري تعالى : « **يُورِثُ الحِكْمَةَ** » . أوّل درجة ينالها الصائم الحكمة ، وهي وضع الأُمور في مواضعها ؛ إذِ الحكيم هو العاقل الذي يضع الأشياء في محلّها ، وتعني هذه الرتبة سيطرة الإنسان على الهوى فلا يستجيب لهواه ، وإنّما يسير على ضوء معطيات العقل ، ويضع الأشياء في مواضعها دون استجابة لنداء الغرائز .

الثاني : المعرفة .

يترتّب على الحكمة المعرفة ، قال تعالى للنبيّ ﷺ : « **وَالحِكْمَةُ تُورِثُ الْمَعْرِفَةَ** » . فيصل الحكيم إلى رتبة أُخرى هي المعرفة ، ومعناها معرفة بالحقّ تعالى ومعرفة بالخلق ، أي يستطيع الصائم أن يعرف كيف يكون عبداً لله من ناحية ، وكيف يتعامل مع الخلق بما يريده الحقّ تعالى من ناحية أُخرى .

---

(١) وسائل الشيعة : ١٠ : ١٦٥ ، الباب ١١ من أبواب آداب الصائم ، الحديث ١٢ .

الثالث : اليقين .

وتورث المعرفة اليقين للصائم قال الباري جلّ وعلا لنبيّه ﷺ : « **وَالْمَعْرِفَةُ تُورِثُ الْيَقِينَ** » . من عنده معرفة يرتقي في درجاتها إلى أن يصل إلى اليقين ، ويتحقّق لديه ثبات في الحكم ، فإذا عَرِف شيئاً ثبت عليه ، وهو ما يُعبّر عنه العلماء بالعلم القطعيّ الذي لا يشوبه شكّ ، فإذا وصل الإنسان تلك الدرجة أصبح مطمئنّاً ، يرتاح في كلّ خطوة من خطواته لمعرفته ويقينه بما سيتّجه إليه ، ويحقّق اليقين فوائد للإنسان ، قال الله تعالى لنبيّه ﷺ في الحديث القدسيّ الآنف : « **فَإِذَا اسْتَيْقَنَ الْعَبْدُ لَا يُبَالِي كَيْفَ أَصْبَحَ بِعُسْرٍ أَمْ بِيُسْرٍ** » .

إنّ أكثر من يصاب بالأمراض العقليّة والاضطراب وعدم الاطمئنان يستطيع أن يتخلّص من ذلك بالصوم ؛ لأنّه يُسهم في اطمئنان النفس ، ووصول العبد إلى درجة من المعرفة واليقين ، فلا يقلق ولا تؤثّر عليه الظروف الخارجة عن قدرته ، فإذا أُبتلي بالمصائب يبقى متّصفاً بالرشد ؛ إذ من لوازم اليقين العمليّ عدم التأثّر بالظروف التي تلمّ به حال خروجها عن إرادته ، والتي ذكرها تعالى عن نبيّه يعقوب عليه السلام في نصحه لأبنائه ، قال تعالى : ﴿**إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ**﴾[(١)] ؛ إذ أنّ هناك ظروفاً قاهرة تخرجهم عن القدرة في التصرّف ، والإنسان يُطوّع الأُمور لصالحه إذا أمكنه ذلك ، غير أنّه قد يفقد صوابه ، ولا يستطيع أن يجعل الظروف لصالحه ، وعليه أن يبقى على يقين في سيره إلى الله تعالى ، وأن يُسلّم أمره له .

هذه مراتب ينالها الصائم تدريجاً ، في البدء يحقّق الدرجة الأُولى من درجات العبادة ، ثمّ يتدرّج في المراتب إلى أن يصبح حكيماً عارفاً متيقّناً ، ويترتّب على اليقين آثار إيجابيّة تعود بالخير على الصائم .

---

(١) يوسف ١٢ : ٦٦.

الأثر الاجتماعيّ للصوم.

وهناك آثار إيجابيّة تترتّب على الصوم تعود على المجتمع لا يعلم بها إلّا الله تبارك تعالى، وأهمّها أن يكون الصائم إيجابيّاً من الناحية العمليّة، وهو ما يشاهد في شهر رمضان، فهناك كثير من الدعوات التي وجّهها المصلحون وأهل الخير للإسهام في رفع المستوى الاقتصاديّ للفقراء والمعوزين في كلّ بقعة من بقاع الأرض، حيث يتواجد الفقراء والمحتاجون، الذين هم في أمسّ الحاجة إلى إسهام عمليّ يرفع مستواهم الاقتصاديّ، غير أنّ الاستجابة لذلك لا تتحقّق على النحو المشاهد في شهر رمضان، وقد وضعت الروايات برنامجاً عمليّاً لحلّ هذه المشكلة، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في علّة الصوم، «**لِكَيْ يَعْرِفُوا أَلَمَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ**»[(١)] يتعرّف الصائم على ألم الجوع والعطش بنفسه، فإذا ذاق ألم الجوع والعطش استشعر حاجة الفقراء، وبادر للإسهام في حلّ مشكلتهم، لمعايشته المشكلة عمليّاً.

الصوم يحقّق العدالة العمليّة.

يعيش الصائم ما يريده الحقّ من العدالة بنحو عمليّ، وذلك من أعظم أنواع التربية التي يمرّ بها الصائم، قال إمامنا الرضا: «**وَلِيَكُونَ الصَّائِمُ خَاشِعاً ذَلِيلاً**» من يعيش الكبرياء وتتوافر لديه النعمة المادّيّة قد لا يشعر بالآخرين، أمّا الصائم فإنّه يتفاعل إيجابيّاً مع أهل العوز والفقر، «**وَلِيَكُونَ الصَّائِمُ خَاشِعاً ذَلِيلاً، مُسْتَكِيناً مَأْجُوراً، مُحْتَسِباً**» يثيب الله تعالى الصائم ويجعل له قدرة على التحمّل في حلّ الأزمات، ويكون ذلك دليلاً على شدائد الآخرة، فيستعد لها لعلمه أنّه عالم مليء بالشدائد والصعاب وحساب دقيق يحتاج للتزوّد ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ**

---

(١) بحار الأنوار: ٦: ٧٩.

التَّقْوىٰ ﴾[1]، مع ما في الصوم من الانكسار عن الشهوات، فيكون «**وَلِيَكُونَ ذَلِكَ وَاعِظاً لَهُمْ فِي الْعَاجِلِ، وَرَائِضاً لَهُمْ عَلَى أَدَاءِ مَا كَلَّفَهُمْ، وَدَلِيلاً فِي الْآجِلِ**»، ثمّ قال عليه السلام: «**وَلِيَعْرِفُوا شِدَّةَ مَبْلَغِ ذَلِكَ عَلَىٰ أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ فِي الدُّنْيَا، فَيُؤَدُّوا إِلَيْهِمْ مَا افْتَرَضَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ**» يعلم المرء في الآخرة بحاجته وفقره إلى الله تعالى، أمّا في الدنيا فيحتاج إلى درس عمليّ يعيش به واقع الفقير، ومن الحِكَم المترتّبة على الصوم أن يعيش الصائم الحاجة إلى الطعام ويتفاعل إيجابيّاً مع المحتاجين، وهو ما أوضحته الروايات، قال الصادق عليه السلام في علّة الصيام: «**فَأَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ خَلْقِهِ وَأَنْ يُذِيقَ الْغَنِيَّ مَسَّ الْجُوعِ وَالْأَلَمِ لِيَرِقَّ عَلَى الضَّعِيفِ وَيَرْحَمَ الْجَائِعَ**»[2]، أمّا إذا لم يذُق الإنسان الجوع فلا يمكنه التفاعل مع المعوزين والفقراء، أو قد يتفاعل بنحو ضعيف.

التفاعل الايجابيّ في شهر رمضان.

تكثر الخيرات في كلّ مجتمع يصوم أفراده، فيتبرّع الصائمون بجزء من أموالهم، ويتفاعلون مع الفقراء من أقاربهم والبعيدين عنهم، وهذا التفاعل الإيجابيّ في شهر رمضان يريده الباري تعالى أن يستمرّ دائماً، ويمنح الصوم الإنسان حكمة عمليّة تدفعه لمساعدة الفقراء؛ لأنّ الصائم يكفّ عن الطعام والشراب، ويتأثّر نفسيّاً، ويرتفع معنويّاً ليتفاعل إيجابيّاً مع من يحتاج.

(١) البقرة ٢: ١٩٧.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠: ٧، الباب ١ من أبواب وجوب الصوم، الحديث ١.

مراتب الصوم في البُعد المعنويّ

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١)

أخبر النبيّ ﷺ عن الله تعالى في الحديث القدسيّ أنّه قال: «**الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(٢)، وقُرأت: «**وَأَنَا أُجْزَىٰ بِهِ**».

آثار البعد المادّيّ والمعنويّ في الإنسان:

لكي نتعرّف على الأهمّيّة للصوم لا بدّ أن ننظر إلى ما تحدّث به القرآن الكريم عن الإنسان كموجود له بُعدان:

الأوّل: البُعد المرئيّ المحسوس، وهو البعد المادّيّ.

الثاني: البُعد غير المرئيّ وغير المحسوس، وهو البعد الروحانيّ المعنويّ.

وكلٌّ من هذين البعدين تترتّب عليه آثار ومزايا خاصّة، أشار القرآن الكريم إليها:

أوّلاً: الجانب المعنويّ: وهو منسوب إلى الله تعالى، أُشير إليه في القرآن الكريم

---

(١) البقرة ٢: ١٨٣.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠: ٤٠٠، الباب ١ من أبواب الصوم المندوب، الحديث ١٥.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(١)، أي بعد سلسلة من المراحل المادّيّة المتكاملة هناك بُعد آخر روحانيّ عبّر عنه الباري تعالى بأنّه إنشاء آخر، ثمّ مدح نفسه بعد هذا الإنشاء فقال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ وبعده: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

وفي آية أُخرى قال: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾(٢).

خصائص الجانب المعنويّ:

أوّلاً: النفخ في الإنسان من روح الله، قال تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ﴾ هناك وجود في الكائن الإنسانيّ منسوب إلى الله يستحقّ أن تسجد له الملائكة، وإن كان السجود للإنسان ببعديه المادّيّ والمعنويّ، إلّا أنّه يظهر من خلال آيات القرآن أنّ السبب في أمر الله تعالى الملائكة أن تسجد لآدم بعده المعنويّ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(٣).

ثانياً: تفضيل وتكريم الإنسان على غيره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(٤) نسبة هذا التفضيل إلى الله تعالى باعتبار أنّ الوجود غير المرئيّ

---

(١) المؤمنون ٢٣: ١٤.

(٢) السجدة ٣٢: ٧ ـ ٩.

(٣) الحجر ١٥: ٢٩.

(٤) الإسراء ١٧: ٧٠.

وغير المحسوس يُنمى إلى الله تعالى، وهذا البعد المعنويّ للإنسان تحدّث عنه القرآن الكريم بأنّه بُعدٌ لا حدّ له في ناحية الكمال في عالم الإمكان، بمعنى أنّ الإنسان كلّما تقدّم أشواطاً في هذا البعد كلّما انجذب إلى الله وتجلّت الكمالات الإلـهيّة على نفسه القدسيّة ببعده اللّامرئيّ وببعده الروحانيّ.

ثانياً: الجانب المادّيّ: وقد تحدّث عنه القرآن الكريم في عدّة من آياته، منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً**﴾[1]، وأيضاً: ﴿**وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفاً**﴾[2] فيه ضعف بالجنبة المادّيّة، وضعفه ينمى إلى وجوده المادّيّ وليس الروحانيّ، ﴿**كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَآهُ اسْتَغْنَىٰ**﴾[3]، ﴿**وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً**﴾[4]، أي هناك عجلة سببها البعد المادّيّ، ﴿**وَآتَاكُم مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[5].

خصائص الجانب المادّيّ:

للجانب المادّيّ خصائص متعدّدة أهمّها:

أوّلاً: يتّسم بالظلم.

ثانياً: يتّسم بالجحود والكفران للنعم والآلاء.

هذه خصائص وسمات الجانب المادّيّ للإنسان، وما أقبح هاتين الخصيصتين،

---

(١) المعارج ٧٠: ١٩ و ٢٠.

(٢) النساء ٤: ٢٨.

(٣) العلق ٩٦: ٦ و ٧.

(٤) الإسراء ١٧: ١١.

(٥) إبراهيم ١٤: ٣٤.

ظلم مع كفران ﴿**إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ**﴾(١)، يأس وقنوط، ﴿**إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ**﴾(٢)، فإذا كان يرفل في النعم التي أعطاه الله تعالى إيّاها، سرعان ما تراه جذلاناً فرحاً فخوراً على غيره، وهذه أيضاً من سمات الإنسان، ومن سماته الملازمة له طوال حياته، قال تعالى: ﴿**قُل لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْأَنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُوراً**﴾(٣)، أي أنّ الإنسان حتّى لو امتلك الخزائن لا يخلو من شحّ ينتمي إلى الجنبة المادّيّة ﴿**وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُوراً**﴾، كما أنّ البُعد المرتبط بالكرم والجود والعطاء ينتمي إلى الجنبة غير المرئيّة والمعنويّة، فإذاً تعرّفنا على خصائص وسمات البعدين في إشارات قرآنيّة أفصحت عنهما.

دور الصوم في ربط الإنسان ببعده الحقيقيّ.

أوجد الله تعالى برامج للإنسان تشدّه إلى بعده الحقيقيّ، من أعظم تلكم البرامج، الصوم الذي يستطيع به أن ينشدّ إلى وجوده الحقيقيّ الباقي الذي لا يعتريه فناء وزوال.

إنّ الصوم ليس عبادة ظاهريّة يراها الإنسان، بل عبادة معنويّة؛ إذ لا يوجد في الصوم غير النيّة والإمساك عن المفطرات، وكلاهما أمر معنويّ، ولذلك كانت جَنبة الإخلاص والارتباط بالله تعالى في الصوم أكثر وأقوى من سائر العبادات، وذلك ما أوضحه الله في الحديث القدسيّ: «**الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»، أي أجعل جزاءه علَيّ، لكونه منسوباً إليّ، أو نقرأ الحديث هكذا: «**الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزىٰ بِهِ**»، أي أنا جزاءه، باعتبار أنّ الصوم يُسانخ الوجود المعنويّ المنسوب لله تعالى، وهذا المعنى يجعل الإنسان إلٰهيّاً في سلوكه، فتنعكس عليه صفات الباري تعالى

---

(١) هود ١١: ٩.

(٢) هود ١١: ١٠.

(٣) الإسراء ١٧: ١٠٠.

الجماليّة والجلاليّة، ويصبح كريماً لأنّ الباري كريمٌ، ورؤوفاً لأنّ الله يتّصف بالرأفة، ورحيماً كما أنّ الله يتّصف بالرحمة، ولعلّ هذا هو المقصود من كون الله تعالى جزاء الصوم.

شرائط الصوم الحقيقيّ:

الصوم الذي يحقّق هذه الصفات وتنعكس به صفات الحقّ على الصائم له شروط، أشارت إليها الروايات:

الأوّل: التغيير.

بأن لا يكون الصوم يمثّل الإمساك دون أن يكون الإمساك متّصلاً بالله تعالى، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**وَلَا يَكُونُ يَوْمُ صَوْمِكَ كَيَوْمِ فِطْرِكَ**»(١)، أي لا تجعل وضعك وحالك وسلوكك في أيّام صومك هو نفس الحال الذي أنت عليه في أيّام إفطارك؛ لأنّ ذلك يعني أنّ الصوم لم يُحدث شيئاً في ذاتك وسلوكك، ولا بدّ من وجود تغييرٍ يحدث من خلال الصوم، لكونه يعطي إضافة جديدة طابعها التغيير في حياة الإنسان.

الثاني: الارتقاء.

ينعكس الصوم على تصرّفات الإنسان فيرتقي بنفسه في سيطرته على جوارحه، بل على جوانحه أيضاً، وهذا ما أكّدته الروايات، قال عليه السلام: «**إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ وَلِسَانُكَ** ـ بل أكثر من ذلك ـ **وَبَطْنُكَ وَفَرْجُكَ**»(٢)، أي لا بدّ أن تكون الجوارح الأُخرى صائمة، بحيث يمسك الصائم بزمام جوارحه، فلا تتعدّى الحدود

---

(١) وسائل الشيعة: ١٠: ١٦١، الباب ١١ من أبواب آداب الصائم، الحديث ١.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٦٥، الباب ١١ من أبواب آداب الصائم، الحديث ١.

والقوانين التي قنّنها وحدّدها الله تعالى ، فإذا صام ولم ينظر ولم يسمع ولم يأخذ الحرام ، فهذه مرتبة أعلى من المرتبة السابقة ، والمرتبة السابقة تشير إلى الجانب النظريّ ، وهذه إلى الجانب العمليّ التطبيقيّ في الصوم.

الثالث: الارتباط بالله.

وهو ما يُعبّر عنه بصوم الخواصّ ، وينعكس على الجانب المعنويّ للإنسان ، بحيث يُصبح لدى الصائم اتّصال بالله ، بنحوٍ يكون قلبه وفؤاده مع الله ، وإذا وصل الإنسان إلى هذه المرتبة يستطيع أن يتحكّم في الخواطر الشيطانيّة ، ولا يدع مجالاً لها كي تتغلغل في داخل نفسه ، وعند ذلك لا يُهِمُّ بعمل السوء ، فضلاً عن اقترافه ، أي لا يُهِمُّ تفكيراً بعمل السوء ، وهذه من المراتب العليا ، التي لا يتاح الوصول إليها إلّا باجتياز المراتب الدنيا والسفلى.

كيفيّة الوصول إلى الجانب المعنويّ.

لا يتأتّى الوصول إلى الجانب المعنويّ للإنسان إلّا عبر فهم البرامج العباديّة ، والتي من أهمّها فهم أسرار الصوم ، والتطبيق الدقيق للوصول إلى إدراك الجانب المعنويّ والروحانيّ للإنسان ؛ لأنّ الوصول إلى هذا الجانب يُزيل تلك الصفات السيّئة ؛ ذلك أنّ كلّ صفة من الصفات تقابلها أُخرى ، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً**﴾(١) ، وإذا تحقّق لدى الإنسان الصوم بواقعيّته التي أشرنا إليها ، عند ذلك لن يكون هلعاً ولا جزعاً ، ولن يمنع ما أفاضه الله عليه ، بل يكون كريماً بما عنده ، لذلك نجد تطبيقاً في الروايات من رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقد كان جواداً ، وكان جوده أسرع « **مِنَ الرِّيحِ**

---

(١) المعارج ٧٠: ١٩ ـ ٢١.

الْمُرْسَلَةِ»[١] كما عبّرت الروايات ، وذلك في شهر رمضان ، أي عطاء بلا حدود من لدُنه ﷺ ، وهو ما يتناسب مع الصوم في رمضان ؛ لأنّ الإنسان عنده ضعف ، لكنّه إذا أدرك قدرة الصوم تحقّقت لديه المنعة والقوّة ، وكذلك لدى الإنسان طغيان ، لكنّه إذا صام وأدرك ما يحقّقه الصوم زال طغيانه وارتبط بالله تعالى ، ولديه عجلة وتسرع وعندما يصوم يرتبط بالله تعالى بنحو طبعيّ ، فيكون عنده تمهّل وتأنّي وتفكير دقيق في عواقب الأمور ، وعنده ظلم وكفران ، وبالصوم يكون عادلاً وشاكراً لأنُعم الله ، أمّا من عنده يأس وقنوط فإنّه إذا صام يكون راجياً لله ، ويزول قنوطه ويأسه ليتبدّل إلى توكلّ على الله وانتظار لأمره تعالى ، ومن يفرح كثيراً بالنعم التي لا تدوم يزول فرحه بالصوم ؛ لأنّه يرى أنّ جميع النعم التي أنعمها الله عليه سيحوّلها إلى ما أراد الله منه ، ومن عنده فخرٌ سيرى أنّ النعم التي يفخر بها هي من الله ، وستصرف في طريقه تعالى ، ومن يقتّر على نفسه يصبح عالماً بحقيقة الصوم مدركاً أنّ الإنفاق في سبيل الله هو الطريق الموصل لكمال نفسه وكمال مجتمعه وتألّق روحه ، وسيكون مصداقاً حقيقيّاً للصفات التي أشارت إليها الآيات الأُخرى ، ومحلاًّ لتقدير الملائكة وتكريم الله تعالى له .

---

(١) بحار الأنوار : ٢٢ : ٤٩٩ . قال العبّاس للرسول ﷺ : « يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنْتَ أَجْوَدُ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ » .

الصوم رقيّ نحو درجات الكمال

قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١)

النتائج المترتّبة على الصوم :

للصوم حكم ومصالح متعدّدة ، أهمّها إيصال الصائم إلى تقوى الله تعالى ، وقد بيّنت الروايات بشيء من التفصيل كيف يتاح للصائم أن يستفيد من صومه ، ويحقّق نتائج باهرة هي :

الأوّل : الوصول إلى أعلى الدرجات .

قال النبيّ صلى الله عليه وآله في حواره مع الصحابيّ الجليل جابر : « **يا جَابِرُ ، هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ مَنْ صَامَ نَهَارَهُ ، وَقَامَ وِرْداً مِنْ لَيْلِهِ ، وَعَفَّ بَطْنَهُ وَفَرْجَهُ ، وَكَفَّ لِسَانَهُ ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَخُرُوجِهِ مِنَ الشَّهْرِ** »(٢) .

---

(١) البقرة ٢ : ١٨٣ .

(٢) وسائل الشيعة : ١٠ : ١٦٢ ، الباب ١١ من أبواب آداب الصائم ، الحديث ٢ .

شروط الوصول للدرجات العالية :

أبان النبيّ ﷺ في هذا الحديث بعض الشرائط لمن يريد أن يرتقي درجات :

الأُولى : اقتران الصوم بالعبادات الأُخرى .

لا يكتفي الصائم بالصوم وحده بل عليه أن يقرنه ببعض أعمال البرّ والطاعة ، ومن أهمّها القيام بين يدي الله تعالى بالصلاة فيقوم ورداً من الليل .

الثانية : العفاف عن المحرّمات .

أن يعيش العفاف في البطن والفرج ، ومعنى الحديث أن لا يأكل الحرام ، ولا يمارس الحرام بفرجه ؛ إذ أنّ بعض الصائمين لا يستفيد من صومه باعتبار أنّ طعامه جاء من طرق غير مشروعة فلم يعفّ بطنه ولم يحصل على المراد كما جاء في الرواية .

الثالثة : السيطرة على الجوارح .

السيطرة على الجوارح حكمة للصوم ، وقد خصّ النبيّ ﷺ جارحة اللسان وذلك لأهمّيّة ما يصدر من ألفاظ ، قال ﷺ : « **وَكَفَّ لِسَانَهُ** » .

الثاني : خروج الصائم من ذنوبه .

ثمّ أبان ﷺ أنّ من حقّق هذه الشرائط خرج من ذنوبه كما ينقضي الشهر ، خروج الشهر أمر تكوينيّ ؛ إذ الزمان لا يتوقّف ، ولا بدّ أن ينتهي الشهر ، وكذلك من حقّق هذه الشرائط من الحتم أن يصل إلى درجة من النزاهة والطهارة ، فتصبح ذاته صفحة بيضاء ، لا تؤثّر فيها الذنوب والآثام التي اقترفها ، بل تكون الطاعات هي الراجحة والمؤثّرة .

الثالث : التعوّد على الالتزام الدائم.

لقد لفت الحديث انتباه جابر بن عبدالله الأنصاريّ ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله : « يا رَسُولَ اللهِ ، مَا أَحْسَنَ هَذَا الْحَدِيثَ » ، الحديث حسن وجميل ، إلّا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نبّه جابراً إلى أهمّيّة الشروط ، فقال : « **يا جابِرُ ، وَمَا أَشَدَّ هَذِهِ الشُّرُوطَ** » ، أي أنّ الشروط وإنْ كانت سهلة لكنّها شديدة ؛ وذلك أنّ من حِكم الصوم تعويد الصائم على مبدأ الالتزام الدائم والمستمرّ ، وهو ما أبانه إمامنا الصادق عليه السلام فيما ينبغي للصائم أن يصل إليه بصومه ، فقال عليه السلام : « **إِذَا أَصْبَحْتَ صَائِماً فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ مِنَ الْحَرَامِ ، وَجَارِحَتُكَ ، وَجَمِيعُ أَعْضَائِكَ ، مِنَ الْقَبِيحِ ، وَدَعْ عَنْكَ الْهَذْيَ ، وَأَذَى الْخَادِمِ ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارُ الصَّائِمِ ، وَالْزَمْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّمْتِ وَالسُّكُوتِ إِلّا عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ صَوْمِكَ كَيَوْمِ فِطْرِكَ ، وَإِيَّاكَ وَالْمُبَاشَرَةَ وَالْقُبَلَ وَالْقَهْقَهَةَ بِالضَّحِكِ ، فَإِنَّ اللهَ يَمْقُتُ ذَلِكَ** »(١). يشير الحديث إلى الكلام الذي لا تترتّب عليه فائدة ، وأنّ الله يحبّ للإنسان أن يتحدّث بما يعود عليه بالنفع ، وأن يذكر الله تعالى بلسانه ، فيقرأ القرآن ، لا أن يتكلّم بكلام لا فائدة فيه ، فذلك ضياع للوقت ، مع أنّ كثيراً من الناس يتحدّث بما يعود عليه بالضرر ، وينهى الإمام عليه السلام الصائم عن الكلام الذي لا فائدة فيه ، فكيف بالكلام في أعراض الناس بالغيبة والنميمة والكلام البذيء ؟!

الرابع : الهيبة والوقار.

ثمّ قال الإمام الصادق عليه السلام : « **وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارُ الصَّائِمِ** » للصائم هيبة ووقار ، وذلك لانعكاس الطاعة على روحانيّة العبد السائر في طريق الله تعالى ، فمن يصلّي صلاة الليل له نور يضيء ، قال تعالى : ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن**

---

(١) وسائل الشيعة ١٠: ١٦٥ ، الباب ١١ من أبواب آداب الصائم ، الحديث ١٢.

نُورٍ ﴾[١] ، كذلك الصائم له هيبة ووقار ، إلّا أنّ ذلك ليس لكلّ صائم ، فمن لم يلتفت إلى شرائط الصوم لن يستفيد من ذلك .

الخامس : التعوّد على قلّة الكلام .

ثمّ قال عليه السلام : « **وَالْزَمْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّمْتِ وَالسُّكُوتِ إِلّا عَنْ ذِكْرِ اللهِ** ، » ، والرواية تحثّ على الصمت والسكوت إذا لم يكن الحديث نافعاً ، « **وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ صَوْمِكَ كَيَوْمِ فِطْرِكَ** » .

السادس : الصبر عن الشهوات .

ثمّ بين عليه السلام ما ينبغي للصائم أن يلتفت إليه في قضايا الجنس ، خصوصاً للمتزوّجين الجدد والشباب ، فقال عليه السلام : « **وَإِيَّاكَ وَالْمُبَاشَرَةَ وَالْقُبَلَ** » .

السابع : التقليل من اللهو والضحك .

نهى عليه السلام عن كثرة الضحك والقهقهة ، هناك من يقهقه ويضحك كثيراً ، ويلهو عن برامج رمضان ، المزح المباح هو المتعارف ، أمّا الزائد فقد نُهي عنه ، خصوصاً للصائم ؛ لأنّ له هدفاً ويريد أن يصل إلى غاية ولن تتحقّق تلك الغاية لمن يلهو كثيراً .

هدف الصوم .

ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله : « **يقول الله عزّ وجلّ : من لم تصم جوارحه عن محارمي فلا حاجة لي في أن يدع طعامه وشرابه من أجلي** »[٢] ، الذي لم يستفد من صومه

---

(١) النور ٢٤ : ٤٠ .

(٢) كنز العمّال : ٨ : ٥٠٨ ، الرقم ٢٣٨٦٧ .

ويسيطر على جوارحه فلا ينظر إلى الحرام ، ولا يتكلم بالحرام ، ولا يسمع الحرام ، فإنّ الله تعالى لا يريد من الإنسان أن يُجوّع نفسه دون حكمة ، بل لغاية وهدف ، وإلّا لكان ذلك نقضاً للغرض وهو قبيح عقلاً ، ولأن الصوم رياضة روحانيّة يستطيع بها الصائم أن يسيطر على جوارحه .

تحقيق هدف الصوم .

يختبر بعض الصائمين نفسه ليرى مدى استفادته من صومه ، فيتحدّث ويراقب نفسه ، ليعرف الصدق في حديثه ، وكم ذكر الله تعالى فيما صدر منه ثمّ يحمد الله تعالى أنّه وصل إلى حالة أفضل ممّا كان عليه قبل الصوم . إذن الصوم يحقّق الرقيّ المعنويّ والسموّ الروحانيّ .

وفي الحديث المشهور عن الفريقين أنّ النبيّ ﷺ رأى امرأة صائمة تسبّ جاريتها ، فقدّم لها الطعام فامتنعت ، وقالت : يا رسول الله ، إنّي صائمة ، فقال النبيّ ﷺ : **كَيْفَ تَكُونِينَ صَائِمَةً وَقَدْ سَبَبْتِ جَارِيَتَكِ ؟ إِنَّ الصَّوْمَ لَيْسَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَقَطْ**[١] ، وإنّما جعل الله تعالى ذلك حجاباً عن سواهما من الفواحش ، من الفعل والقول ، ليس معنى الصوم الامتناع عن المفطرات فحسب ، فهناك أفعال وأقوال تفطر الصائم ليس بمعنى أنّه يجب عليه قضاء الصوم ، بل بمعنى أنّه يصبح كالفاطر ، لم يحقّق الغاية من صومه . إذن الصوم وسيلة للوصول إلى الغاية ، هي السيطرة على الجوارح والقرب من الله تعالى .

الاُمور التي تساعد للوصول إلى الهدف :

هناك اُمور هامّة اُكّد عليها في الروايات تساعد الصائم كي يصل إلى هدفه :

---

(١) وسائل الشيعة : ١٠ : ١٦٣ ، الباب ١١ من أبواب آداب الصائم ، الحديث ٣.

الأوّل: قيام الليل.

أكّد القرآن الكريم على قيام الليل قال تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً﴾(١)، إلّا أنّه أُكّد عليه بنحو أعظم للصائم في شهر رمضان.

الثاني: المواظبة على قراءة الأدعية.

الأدعية للصائم برامج عمل تجعله يلتفت إلى ما ينبغي عليه أن يحقّقه بصومه، ولها فوائد وحكم تترتّب عليها، منها أنّ الصائم يستشعر الجنبة الإنسانيّة لديه، فيحسّ بإنسانيّته، وقد أشارت بعض الأدعية إلى ذلك: «**اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلىٰ أَهْلِ الْقُبُورِ السُّرُورَ، اللَّهُمَّ أَغْنِ كُلَّ فَقِيرٍ**»(٢)، الدعاء هنا لكلّ فقير، وليس لفقراء المسلمين فحسب، «**اللَّهُمَّ أَشْبِعْ كُلَّ جَائِعٍ، اللَّهُمَّ اكْسُ كُلَّ عُرْيَانٍ، اللَّهُمَّ اقْضِ دَيْنَ كُلِّ مَدِينٍ**»، والدعاء لإشباع كلّ جائع، وكسوة كلّ عريان، وقضاء دين كلّ مدين، وليس للمسلمين الذين يشترك معهم الصائم في العقيدة، بل لكلّ جائع، وعريان، وذلك لحكمة غاية في الأهمّيّة، هي أنّ من يدعو لا بدّ أن يخطو خطوة إلى الأمام وإلّا لم يقم بدوره؛ لأنّ من دعا ولم يدفع صدقة، ولم يسهم في مشروع خيريّ، لم يستفد من دعائه.

---

(١) المزمّل ٧٣: ٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ٧: ٤٤٧، عن البلد الأمين: ٢٢٢ و ٢٢٣.

روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**مَنْ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلىٰ أَهْلِ الْقُبُورِ السُّرُورَ، اللَّهُمَّ أَغْنِ كُلَّ فَقِيرٍ، اللَّهُمَّ أَشْبِعْ كُلَّ جَائِعٍ، اللَّهُمَّ اكْسُ كُلَّ عُرْيَانٍ، اللَّهُمَّ اقْضِ دَيْنَ كُلِّ مَدِينٍ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ عَنْ كُلِّ مَكْرُوبٍ، اللَّهُمَّ رُدَّ كُلَّ غَرِيبٍ، اللَّهُمَّ فُكَّ كُلَّ أَسِيرٍ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ كُلَّ فَاسِدٍ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اشْفِ كُلَّ مَرِيضٍ، اللَّهُمَّ سُدَّ فَقْرَنَا بِغِنَاكَ، اللَّهُمَّ غَيِّرْ سُوءَ حَالِنَا بِحُسْنِ حَالِكَ، اللَّهُمَّ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**».

الاستفادة من الأدعية في التغيير :

لا يكفي الدعاء وحده ، بل لا بدّ للداعي كي يستفيد من دعائه أن يحقّق اُموراً :

الأوّل : العمل بالأسباب .

قال الصادق عليه السلام : « **إنَّ نَبيّاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَرِضَ فَقَالَ: لَا أَتَدَاوىٰ حَتّىٰ يَكُونَ الَّذِي أَمْرَضَنِي هُوَ الَّذِي يَشْفِينِي ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: لَا أَشْفِيكَ حَتّىٰ تَتَدَاوىٰ ، فَإِنَّ الشِّفَاءَ مِنِّي** »[١] ، أي لا بدّ للإنسان أن يستفيد من الوسائل المتاحة في الوصول إلى ما يدعو الله تعالى أن يحقّقه ، وفي رواية اُخرى : « **أَعْقِلَها وَتَوَكَّلْ** »[٢] .

الثاني : المساهمة في تغيير المجتمع .

على الإنسان أن يتعلّم من الأدعية العمل الجادّ في تغيير المجتمع لئلّا تكون الأدعية لقلقة بلسانه ، وألفاظاً جوفاء ، لا تنعكس على الواقع العمليّ للداعي ، والدعاء في شهر رمضان المبارك : « **اللّهُمَّ أَغْنِ كُلَّ فَقِيرٍ** » يستدعي الإسهام في رفع الفقر والعوز عن الفقراء في القرية والمدينة ، حتّى ممّن لا يتمكّن من الإسهام الماليّ عليه أن يساعد بأن يكون واسطة خير في إيصال المساعدات إليهم ، أو نشر كتاب يتحدّث عن مأساة الفقراء ، ليسهم إعلاميّاً ، فإنّ الناس إذا اطّلعوا على المعلومة الصحيحة شاركوا في الأعمال الخيّرة ، وأصبح للدعاء أثر يترتّب عليه ، غير أنّ بعض من يدعو يرى أنّه لم تتحقّق له إجابة ، ولا يلتفت إلى أنّ الدعاء لا بدّ أن يقترن بالعمل ، والسير إلى الأمام في الجانب العمليّ . قال تعالى : ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[٣] .

---

(١) وسائل الشيعة : ٢ : ٤٠٩ و ٤١٠ ، الباب ٤ من أبواب الاحتضار ، الحديث ٧ .

(٢) التوحيد : ٣٦٢ (الهامش) . سنن الترمذي : ٤ : ٧٧ .

(٣) سورة العصر : ١٠٣ .

التكامل المعنويّ هدف لتشريع الصوم

قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]

الصوم رياضة روحيّة يمارسها الإنسان لترسيخ ملكة التقوى في ذاته ، وهي رياضة شرعيّة تترتّب عليها فوائد جمّة ، أهمّها تقوية الإرادة لدى الصائم ليستطيع من خلالها أن يترك ما تشتهيه نفسه ويحقّق ما يرضي ربّه .

مراحل الوصول إلى الكمال :

أبان العرفاء في كتبهم أنّ الوصول إلى الكمال يحتاج إلى ثلاث مراحل :

الأُولى : مرحلة التفكّر .

والمراد بهذه المرحلة أنّ يلتفت الإنسان إلى هذا العالم المادّيّ ويُقارن بين الأشياء ليصل إلى مرحلة من اليقين العمليّ بزوال هذه الدنيا واضمحلالها ، فيسير في الطريق الذي يستطيع أن يُحقّق شخصيّته ويطمئنّ بأنّ سلوكه ينسجم مع مبدئه ، وهو ما يريده الحقّ تعالى ، وهذه المرحلة سهلة ممتنعة ، والسهل الممتنع هو الشيء

---

(١) البقرة ٢: ١٨٣.

الذي تدركه بيسر ، بَيْد أنّك تجد العناء والمشقّة في الوصول إليه ، فيصعب على الإنسان أن يجعل نفسه على ما ينبغي أن تكون عليه ، فمن ذا الذي لا يعلم بزوال هذه الدنيا ؟! غير أنّ القليل من الناس هو من يرتّب أثراً لعلمه بذلك ، فينعكس على سلوكه في حركاته وسكناته ، ومرحلة التفكير جدٌّ هامّة باعتبارها المرحلة الأُولى الممهّدة للوصول إلى ما بعدها .

الثانية : مرحلة الإرادة .

هذه المرحلة ذكرها الفيلسوف الكبير الشيخ الرئيس ابن سينا ، وهو ممّن له باع طويل في مجال السلوك والتربية الروحيّة ، وله نظرات قيّمة في الإرادة ، قال في كتابه (الإشارات والتنبيهات) : « الإرادة هي ما يعتري المستبصر باليقين البرهانيّ من الرغبة في اعتلاق العروة الوثقى ، فيتحرّك سيره إلى القدس لينال من روح الاتّصال ، فما دامت درجته هذه فهو مريد » ، وفي هذه المرحلة يحصل لدى الإنسان يقين بأمر برهانيّ أنّه أصبح ينظر إلى ضرورة الوصول إلى درجة قُرب عند الله تعالى ، ويمكن أن نعبّر عن الإرادة بتعبير أسهل من تعبير الشيخ الرئيس ، فنقول : إنّها ضرورة إيصال الإنسان نفسه إلى مرحلة أُخرى بعد إدراكه المرحلة الأُولى ، وهي انتقاله عن هذا العالم وزوال العالم بأكمله . فإذا أدرك هذه المرحلة بالتفكّر انتقل إلى مرحلة الإرادة ، التي ينبغي له فيها أن يجعل ذاته بمكان محدد في عالم المعنى ، ويتفاوت البشر في إراداتهم ، فمن كانت إرادته أقوى وصل إلى محلّ أرفع ، ومن كانت إرادته أضعف وصل إلى درجة أقلّ .

الثالثة : مرحلة العزم .

العزم هو أن يجعل الإنسان نفسه على طبق ما يريده الشارع المقدّس ، وهي مرحلة عمليّة بحتة ، أما مرحلة الإرادة فهي أقرب إلى الإدراك النظريّ وبداية الإدراك

العمليّ، وقد أوضح الإمام الخمينيّ ﵀ في كتابه (شرح الأربعين حديثاً) العزم بأنّه وصول الإنسان إلى درجة التأسّي بالنبيّ ﷺ، وجعل حركاته وسكناته وفق سيرته الشريفة، ثمّ فصّل السيّد الإمام في بيان العزم بأن يوطّن الإنسان نفسه على ترك المعاصي وأداء الواجبات، ويتّخذ قراراً بذلك، ويتدارك ما فاته في أيّام حياته، ويسعى أن يجعل من ظاهره إنساناً عاقلاً وشرعيّاً، أي يحكم العقل بأن يسير على وفق مقتضيات العقل العمليّ، وأيضاً يحكم الشارع المقدّس بأنّه ملتزم بأداء ما افترضه الله عليه وترك ما نهاه عنه، ويصبح بذلك إنساناً عاقلاً وشرعيّاً، فالشرع والعقل يحكمان بوصوله إلى درجة الإنسانيّة، وهذا تعبير دقيق من السيّد الإمام ﵀ في أنّ حكومة العقل الشرعيّ والعقل النظريّ بالوصول إلى درجة الإنسانيّة لا يتأتّى إلّا بالمرحلة العمليّة في سير الإنسان على وفق ما يريده الباري جلّت قدرته، ثمّ ذكر ﵁: أنّ الوصول إلى رتبة في عالم المعنى لا يتحقّق إلّا بالالتزام بما أمر الله به وترك ما نهى عنه، وذلك بالتأسّي بالرسول ﷺ ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾(١)، وما لم يَسِر الإنسان على وفق ما يريده الله ويلتزم به فلن يحصل على شيء في عالم المعنى، وإن حصل على مراتب في عالم الدنيا؛ لأنّ الوصول إلى الدرجة المعنويّة يتطلّب سير الإنسان وفق ما يريده الحقّ تعالى.

الجانب التطبيقيّ للمراحل الثلاث.

وبعد وضوح المراحل الثلاث نرى أئمّة أهل البيت ﵈ أبانوا أنّ الصوم يحقّق طيّ هذه المراحل على أنحاء ثلاثة:

الأوّل: فهم حقيقة الصوم.

قال إمامنا الرضا ﵇ في حديث رائع في علّة وجوب الصوم: «**لِكَيْ يَعْرِفُوا**

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٢١.

أَلَمَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ ، فَيَسْتَدِلُّوا عَلَىٰ فَقْرِ الْآخِرَةِ »[١] ، وفي هـذه المـرحـلة يـحصل الإنسان بالصوم على إدراك نظريّ من خلال جوعه وعطشه أنّه فقير ، يحتاج إلى ما يتقوّى به ليستمدّ قوته ويحفظ وجوده ، وعالم الآخرة ليس بماديّ فيحتاج فيه إلى الله تعالى ليلتذّ في عالم المعنى ويصل إلى جنّات النعيم ، وهذا بحاجة إلى رحمة الحقّ تعالى ، ومرحلة التفكّر هذه هي المرحلة الأُولى « **فَيَسْتَدِلُّوا عَلَىٰ فَقْرِ الْآخِرَةِ** » .

الثاني : إرادة الوصول للخضوع لله .

ويواصل الإمام عليه السلام في حديثه « **وَلِيَكُونَ الصَّائِمُ خَاشِعاً ذَلِيلاً ، مُسْتَكِيناً مَأْجُوراً ، مُحْتَسِباً** » ، أي أن يصل الصائم إلى الإرادة ، ويجعل نـفسه عـلى درجـة فـي عـالم المعنى هي درجة الخشوع والخضوع والاستكانة للحقّ تعالى ليصبح مثاباً من عند الله ، محتسباً لحصول الأجر منه تعالى ، وهي المرحلة الثانية . وقد جمع الإمام عليه السلام بين المرحلتين الآنفتين بـقوله : « **عَارِفاً ، صَابِراً لِـمَا أَصَـابَهُ مِـنَ الْـجُوعِ وَالْـعَطَشِ ، فَيَسْتَوْجِبَ الثَّوَابَ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الانْكِسَارِ عَنِ الشَّهَوَاتِ** » .

الثالث : العزم على التأسّي بالنبيّ .

ثمّ أبان الإمام عليه السلام المرحلة الثالثة بقوله : « **مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الانْكِسَارِ ، عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ وَاعِظاً لَهُمْ فِي الْعَاجِلِ** » ، أي يحصل الإنسان على مرحلة العزم برياضة روحيّة توصله إلى التأسّي بنحو دقيق بالمصطفىٰ صلى الله عليه وآله ، ثمّ قال : « **وَدَلِيلاً فِي الْآجِلِ ، وَلِيَعْرِفُوا شِدَّةَ مَبْلَغِ ذَلِكَ عَلَىٰ أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ فِي الدُّنْيَا ، فَيُؤَدُّوا إِلَيْهِمْ مَا افْتَرَضَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ** » ، وبهذا يصبح الإنسان منضبطاً بما أراده الشارع في سلوكه الاقتصاديّ ، بل في كلّ الأُمور ، والإمام الرضا عليه السلام يبيّن أنّ من المهمّات المؤكّدة على السـالك السـير فـيما افـترضه الله عـليه اقـتصاديّاً عـلى وفـق مـا يـريده الله

(١) بحار الأنوار : ٦ : ٧٩ .

تعالى ، « **فَيُؤَدُّوا إِلَيْهِمْ** » أي إلى الفقراء والمساكين الذين افترض لهم حقّاً في مال الإنسان ، والإمام يشرح في الحديث المراحل الثلاث ، التفكّر والإرادة والعزم .

الوصول إلى تقوى الله .

وقد قرّب الباري تعالى الطريق لنا « **وَأَنَّ الرَّاحِلَ إِلَيْكَ قَرِيبُ الْمَسَافَةِ** »[١] بأنّ الهدف من افتراض الصوم الوصول إلى تقوى الله ، والعيش مع الحقّ تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾

---

(١) مصباح الكفعمي : ٥٨٩ (دعاء أبي حمزة الثماليّ) .

الآثار التكامليّة لصيام شعبان

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**وَهَذَا شَهْرُ نَبِيِّك سَيِّدِ رُسُلِك، شَعْبَانُ الَّذِي حَفَفْتَهُ مِنْك بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ، الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يَدْأَبُ فِي صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ، فِي لَيَالِيهِ وَأَيَّامِهِ، بُخُوعاً لَكَ فِي إِكْرَامِهِ وَإِعْظَامِهِ، إِلىٰ مَحَلِّ حِمَامِهِ.**

اللَّهُمَّ فَأَعِنَّا عَلَى الاسْتِنَانِ بِسُنَّتِهِ فِيهِ، وَنَيْلِ الشَّفَاعَةِ لَدَيْهِ.

اللَّهُمَّ وَاجْعَلْهُ لِي شَفِيعاً مُشَفَّعاً، وَطَرِيقاً إِلَيْك مَهْيَعاً، وَاجْعَلْنِي لَهُ مُتَّبِعاً، حَتّىٰ أَلْقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِّي رَاضِياً، وَعَنْ ذُنُوبِي غَاضِياً، قَدْ أَوْجَبْتَ لِي مِنْك الرَّحْمَةَ وَالرِّضْوَانَ، وَأَنْزَلْتَنِي دَارَ الْقَرَارِ وَمَحَلَّ الْأَخْيَارِ»[1].

يوضّح لنا هذا المقطع من الصلوات الشعبانيّة نقاطاً هامّة، منها أنّ هذا الشهر الشريف هو شهر رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه صلى الله عليه وآله يدأب في صيامه وقيامه، أي له استمراريّة ومداومة على صيامه وقيامه، وينبغي الاقتداء به صلى الله عليه وآله ليحصل المؤمن على الثواب الكبير.

آثار صيام شهر شعبان:

بيّنت الروايات تفصيل آثار الصوم في شعبان وما له من أهمّيّة.

---

(١) مصباح المتهجّد: ٨٢٩.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «**مَنْ صَامَ شَعْبَانَ كَانَ لَهُ طَهُوراً مِنْ كُلِّ زَلَّةٍ وَوَصْمَةٍ وَبَادِرَةٍ.** قَالَ أَبُو حَمْزَةَ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا الْوَصْمَةُ ؟ قَالَ: **الْيَمِينُ فِي الْمَعْصِيَةِ، وَالنَّذْرُ فِي مَعْصِيَةٍ**. قُلْتُ: فَمَا الْبَادِرَةُ ؟ قَالَ: **الْيَمِينُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالتَّوْبَةُ مِنْهَا النَّدَمُ عَلَيْهَا**»[١]

بيّن الإمام عليه السلام ثلاثة آثار:

الأوّل: الوقاية من الذنوب.

إنّ الصوم في شعبان ينفع من الذلّة والوصمة والبادرة، والذلّة هي الذنوب التي توجب المهانة والذلّة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِن رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**﴾[٢]، أي أنّ الذنب يوجب المهانة والذلّة، والصوم يرفع ذلك.

الثاني: التكفير عن الوصمة.

وهي اليمين في المعصية، من حلف بالله تعالى عاصٍ، كما يمارس ذلك بعض من يمتهن التجارة في البيع والشراء، فيقسم بالله كذباً، وإذا أراد أن يتوب ويتخلّص من آثار القسم، عليه أن يصوم في شعبان، والوصمة أمر يلزم الإنسان ويصعب عليه الانفكاك عنه.

الثالث: الوقاية من البادرة.

هي اليمين في الغضب؛ إذ أنّ بعض الناس إذا غضب فقد جزءً من عقله، لذلك يستصغر عظمة الحقّ تعالى فيقسم به ثمّ لا ينفذ قسمه فيحنث؛ لأنّه أقسم على أمر غير قابل للتنفيذ أو يرجع عليه بالضرر والإضرار، ويستطيع أن يتلافى أثر ذلك

---

(١) وسائل الشيعة: ١٠: ٤٨٨، الباب ٢٨ من أبواب الصوم المندوب، الحديث ٧.

(٢) الأعراف ٧: ١٥٢.

القسم الذي استصغر فيه عظمة الحقّ تعالى فيرجع إلى رشده ، ويتوب إليه تعالى بالصوم في شعبان ، فله الأثر الكبير في مسار الإنسان ورقيه المعنويّ والماديّ على الأصعدة المختلفة .

صلابة الإرادة من آثار الصوم .

يقوّي الصوم المستحبّ في شهري رجب وشعبان إرادة الإنسان ويشدّ عزيمته ، ليصبح من ذوي الإرادات الصلبة ، وللإرادة أهمّيّة كبيرة ، ولإيضاح ذلك نشير إلى أنّ العلماء والفلاسفة فرّقوا بين الإنسان والحيوان بالناطقيّة ، وهي إدراك الكلّيّات ؛ إذ الحيوان لا يدرك الكلّيّات ولا يستوعبها ، أمّا الإنسان فيدرك الأُمور الكلّيّة ويترتّب على ذلك الرقيّ والازدهار ، بخلاف الحيوان فلا يرتقي ولا يتطوّر ، فالنمل والنحل لم يتطوّرا منذ ملايين السنين رغم وجود الإحساس والفهم البسيط لهما ، أمّا الإنسان فيتطوّر بناطقيّته باستمرار .

وأشار العرفاء إلى معنى ثانٍ تبعاً للروايات ، وهو أنّ حقيقة الإنسان ليست بناطقيّته بل بإرادته ، ودلّلوا على ذلك ببعض آي القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾(١) ، وعليه فإنّ الإنسان إذا لم يسر في طريق الله تعالى فهو أدنى مرتبة من الحيوان ، وأنّ الفارق بينه وبينه هو امتلاك إرادة صلبة يستطيع بها أن يسخّر قدراته وقواه لتصبّ فيما يعود عليه بالنفع في آخرته ، تلك هي حقيقة الإنسان ، قال الإمام الصادق عليه السلام في العقل أنّه « **ما عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ ، وَاكْتُسِبَ بِهِ الْجِنَانُ** »(٢) ، أي ربح به المرء الحياة الخالدة والمقامات الكبيرة في الآخرة ، وذلك يرتبط بالإرادة .

---

(١) الفرقان ٢٥ : ٤٤.

(٢) الكافي : ١ : ١١.

صلابة الإرادة طريق التكامل المعنويّ.

وقد بيّنت الروايات أنّ الإرادة إذا قويت كملت إنسانيّة الإنسان، وهيمن بها على جوارحه وجوانحه وتحكّم فيها، قال الإمام الرضا عليه السلام في علّة وجوب الصوم: «**لِكَيْ يَعْرِفُوا أَلَمَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، فَيَسْتَدِلُّوا عَلىٰ فَقْرِ الْآخِرَةِ، وَلِيَكُونَ الصَّائِمُ خَاشِعاً ذَلِيلاً، مُسْتَكِيناً مَأْجُوراً، مُحْتَسِباً عَارِفاً، صَابِراً لِمَا أَصَابَهُ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، فَيَسْتَوْجِبَ الثَّوَابَ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الانْكِسَارِ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ وَاعِظاً لَهُمْ فِي الْعَاجِلِ، وَرَائِضاً لَهُمْ عَلىٰ أَدَاءِ مَا كَلَّفَهُمْ، وَدَلِيلاً فِي الْآجِلِ، وَلِيَعْرِفُوا شِدَّةَ مَبْلَغِ ذَلِكَ عَلىٰ أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ فِي الدُّنْيَا، فَيُؤَدُّوا إِلَيْهِمْ مَا افْتَرَضَ اللهُ تَعَالىٰ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ**»[(١)].

قوله عليه السلام: «**فَيَسْتَدِلُّوا عَلىٰ فَقْرِ الْآخِرَةِ**» إيضاح لما نتحدّث عنه؛ ذلك أنّ الإنسان إذا عرف فقره استغنى؛ لأنّه وصل إلى الله تعالى.

جاء في أدعية الإمام الكاظم عليه السلام: «**وَقَدْ نَادَاكَ بِعَزْمِ الْإِرَادَةِ قَلْبِي**»[(٢)]»، أي وصل إلى درجة الطموح وأصبحت إرادته صلبة لا تريد إلّا الله تعالى.

اكتساب الخضوع والخشوع.

قوله عليه السلام: «**وَلِيَكُونَ الصَّائِمُ خَاشِعاً ذَلِيلاً**»، يصبّ هذا في المحور الذي نتحدّث عنه وهو أن يكتسب المرء الخضوع والخشوع لله تعالى ليفلح، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾[(٣)]، وإذا خضع المؤمن خشيةً من مقام الله تعالى وصل إليه، ولا يتأتّى ذلك إلّا بإرادة تتحقّق بالعبادة والصوم.

---

(١) بحار الأنوار: ٦: ٧٩ و ٨٠.

(٢) مصباح المتهجّد: ١٦٢.

(٣) المؤمنون ٢٣: ١ و ٢.

ترويض النفس على الصبر.

قوله عليه السلام: «**مَأْجُوراً**» يحصل على الأجر في الدار الآخرة بالأعمال التي يقوم بها احتساباً، فهناك غنائم لا حدّ لها ولا حصر.

قوله عليه السلام: «**عَارِفاً**»، الصوم يرتقي بالصائم معنويّاً وعرفانيّاً لصبره، فيعرف ربّه والمعرفة تحتاج إلى صبر؛ إذْ لا يستطيع المرء أن يكون عالماً إلّا بالصبر، قال عليه السلام: «**صَابِراً لِمَا أَصَابَهُ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ**»، فهو يقاوم ويحتاج إلى إرادة ليدع الإغراءات، ولا يتحقّق ذلك إلّا برياضة وصبر، وقد فُسّر الصبر بالصوم في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ**﴾[١]، فيستوجب الثواب ويسيطر على شهواته، ويقيد أهوائه بإرادته، قال عليه السلام: «**مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الانْكِسَارِ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ وَاعِظاً لَهُمْ فِي الْعَاجِلِ**»، أي أنّه يحصل على استذكار دائم بالصوم.

قوله عليه السلام: «**وَرَائِضاً لَهُمْ عَلىٰ أَدَاءِ مَا كَلَّفَهُمْ، وَدَلِيلاً فِي الآجِلِ،**»، إنّها رياضة تستوجب أداء التكليف، وذلك أنّ الرياضة تمارس في الأُمور المادّيّة فيتدرّب بعضهم الساعات الطوال تدريباً شاقّاً في كرة القدم أو في كمال الأجسام أو في المصارعة الحرّة ليصبح محترفاً؛ إذْ أنّ الاحتراف يرتبط بالرياضة، والمعنويّة منها أسرع إيصالاً من المادّيّة، ويستطيع المرتاض أن يؤدّي التكليف بسهولة ويسر يتمكّن بها من ترك الشهوات والإتيان بالواجبات لصبره بصومه.

حقيقة الصوم.

قال عليّ عليه السلام: «**الصِّيَامُ اجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ**»[٢]، أي أنّ حقيقة الصوم هي اجتناب المحارم، كما يمتنع عن الطعام والشراب؛ ذلك أنّ ترك الطعام والشراب ترك

---

(١) البقرة ٢: ٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ٩٣: ٢٩٤، عن كتاب الغارات: ٢: ٣٤٣.

لذّة مؤقّتة والحرام كذلك ، فمن يستسهل الغيبة ويتحدّث عن الآخرين بما لذّ له وطاب إذا ارتاض كفّ نفسه وقطع حديثه عن الآخرين بإرادته ، وأدّى به الصوم إلى اجتناب المحارم .

نيل شفاعة المصطفى صلى الله عليه وآله .

الصوم المستحبّ يربّي الإرادة ، لذا على الشباب أن يغتنم الأجر الجزيل والثواب الكبير والعطايا التي لا حدود لها ، فهناك منح يحصل عليها الصائم في شعبان ، منها ضمان شفاعة المصطفى صلى الله عليه وآله يوم القيامة ، قال صلى الله عليه وآله : « **شَعْبَانُ شَهْرِي ، وَرَمَضَانُ شَهْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَمَنْ صَامَ شَهْرِي كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »(١) ، ومعنى ذلك التوفيق للخيرات .

السيطرة على الجوارح .

للصدّيقة الزهراء عليها السلام تعبير جميل ورد في الصوم الواجب ، بيّنت فيه غاية الصوم ، وهو يشمل المستحبّ منه . قالت عليها السلام : « **مَا يَصْنَعُ الصَّائِمُ بِصِيَامِهِ إِذَا لَمْ يَصُنْ لِسَانَهُ وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَجَوَارِحَهُ** »(٢) ، أي ما الفائدة أن يجوع المرء دون أن ينظر إلى الغاية من صومه! وهي الوصول إلى السيطرة على الجوارح ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ كُلُّ أُوْلٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾(٣) ، ومن لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجميع جوارح بدنه فلا يسمع إلّا حلالاً ، ولا يرى حراماً ، فإنّه لم يستفد من صومه ، وذلك وإنْ كان أمر من الصعوبة بمكان مع الإغراءات الكبيرة ، إلّا أنّ الصوم يحقّق مكنة في السيطرة على الجوارح ، والنبيّ صلى الله عليه وآله كان يدأب في صيام هذا الشهر وقيامه

---

(١) بحار الأنوار : ٩٤ : ٨٣ .

(٢) بحار الأنوار : ٩٣ : ٢٩٥ .

(٣) الإسراء ١٧ : ٣٦ .

خشوعاً ، ليعلّمنا كيف نكون خاشعين لله تعالى .

أهمّيّة الصوم في تربية الإرادة.

للصوم أهمّيّة فائقة في تربية الإرادة ، وهي الفصل الحقيقيّ للإنسان عند العرفاء ، فامتيازه عن الحيوان بإرادته التي توصله إلى مقامات معنويّة باطّراد ، لذا عليه أن يلتفت إلى أهمّيّة ذلك .

شهر الله خصائص ومميّزات

قال تعالى :

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾(١)

شهر رمضان مأدبة الله تعالى التي دعا إليها عباده لضيافتهم وكرامتهم ، يستضيفهم الخالق لإكرامهم والإفاضة عليهم من خيراته وبركاته ، وله خصائص متعدّدة ذكر بعضها النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبته التي خطبها في آخر جمعة من شهر شعبان المبارك ، وهناك خصائص اُخرى له جاءت في روايات النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام :

الاُولى : شهر القرآن الكريم .

هذا الشهر الفضيل شهر القرآن الكريم ، رغم أنّ كلّ الشهور ينبغي أن يقرأ المؤمن القرآن فيها ، لكنّ ظرف القرآن ووقته يختصّ بالزيادة لتأثّر المؤمن بالتلاوة له فيه ، واستيعاب بعض المعاني ومضاعفة الأعمال ، فإذا قرأ المؤمن القرآن الكريم ورجع إلى التفاسير فقه من معاني القرآن ما لا يصل فهمه إليه في غيره من الشهور ، لكونه شهر القرآن ، ومن أراد أن يصل إلى فهم معاني القرآن الكريم عليه اغتنام هذا الشهر ، قال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ، إنّ الإكثار من التلاوة ، ومراجعة تفاسير القرآن الكريم ، والاستماع إلى دروس القرآن المسجّلة يتيح للمؤمن فهم

---

(١) البقرة ٢ : ١٨٥ .

معانيه، ويترتّب على ذلك الأجر الكبير والثواب الجزيل، قال ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ كَمَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ**»(١)، البسملة وحدها تعدل ختمة كاملة للقرآن الكريم. نعم، دلّت بعض الروايات على أنّ من قرأ سورة التوحيد ثلاث مرّات فكأنّما ختم القرآن، قال ﷺ: «**وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَدْ خَتَمَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ**»(٢)، لكنّ الأمر مختلف في شهر رمضان؛ إذ يتضاعف الثواب فيه ليصل إلى من قرأ آية واحدة فله ثواب من ختم القرآن كاملاً في غيره من الشهور، إنّ هذا من الأُمور الغيبيّة التي لا تصل إليها أفهامنا، ونسلّم بها لكونها وردت عن النبيّ ﷺ، حيث ينعكس أثر الزمن فيتضاعف الأجر، فللزمن تأثير كما أنّ للمكان تأثير، فمن صلّى في المسجد الحرام ركعة فله ألف ألف ركعة، أي مليون ركعة، إنّ فهمنا قد لا يصل إلى عمق هذا المعنى، غير أنّنا نؤمن به لكونه ورد عن الصادق المصدوق، وهذه خصائص وآثار لا يعلم بها إلّا الله تعالى أفصحت عنها روايات النبيّ ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.

الثانية: غفران الذنوب.

إنّ من خصائص هذا الشهر الفضيل غفران الذنوب، فمهما بلغت ذنوب الإنسان وخطاياه فإنّه إذا تاب إلى الله تعالى بالإقلاع عنها، والرجوع إلى الله تعالى، يغفرها جميعاً. نعم، هناك ذنوب لا يكفي فيها التوبة دون عمل ما تستوجبه، فمن سرق أموالاً لا يغفر له إلّا بإرجاعها إلى أصحابها، ومن اغتاب فعليه أن يستحلّ ممّن اغتابه إذا استطاع، فيذهب إليه قائلاً: أبحني وسامحني، إلّا إذا علم بترتّب مفسدة على ذلك لشكاسة في خلق من اغتابه، وكان التحلّل يزيد الطين بلّة، فيكفي

---

(١) بحار الأنوار: ٩٣: ٣٤١، ٣٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ٣٩: ٢٥٨.

الاستغفار له.

إنّ الله تعالى هو أهل المغفرة، ورمضان زمانها، وسمّي رمضان برمضان لأنّه يرمض الذنوب أي يحرقها.

الثالثة: شهر الرحمة.

في كلّ ليلة من هذا الشهر يفتح الله تعالى أبواباً من رحمته تختلف عن الأبواب الأخرى التي فتحت في الليلة السابقة، قال صلى الله عليه وآله: «**إنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تُفَتَّحُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَلَا تُغْلَقُ إِلىٰ آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْهُ**»[١].

إنّ سعة عالم الغيب كبيرة، والله تعالى واسع الرحمة، واسع الجود والكرم، ومن أقبل على الله تعالى أقبل الله تعالى عليه، وقد ورد أنّه لو يعلم العبد ما في شهر رمضان ـ أي لو فتحت نافذة على عالم الغيب، واطّلع العباد على خصائص هذا الشهر الفضيل وما فيه من رحمة ـ لودّ الناس أنّ السنة كلّها رمضان.

وقد أوضحت الروايات هذا المعنى، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ إِلىٰ قَابِلٍ، إلّا أَنْ يَشْهَدَ عَرَفَةَ**»[٢]، بل ورد أنّ جبريل عليه السلام نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله ودعا أمامه، وطلب منه صلى الله عليه وآله أن يؤمّن على دعائه، وفي ذلك أسرار، فدعاء الملائكة مستجاب؛ لأنّهم لا يعصون الله تعالى ما أمرهم، فيستجيب دعائهم، لكن جبريل عليه السلام طلب تأمين النبيّ صلى الله عليه وآله على دعائه، وتأمينه صلى الله عليه وآله استجابة للدعاء وهذه خصيصة أُخرى، فالنبيّ صلى الله عليه وآله هو أكمل من الملائكة وأعظم خلق الله تعالى، وإذا طلب الملك منه صلى الله عليه وآله أن يؤمّن على الدعاء، فمعنى ذلك أنّ من طُرد وأُبعد عن رحمة الله تعالى صعب عليه أن يرجع إليها، ومعنى تأمين النبيّ صلى الله عليه وآله

(١) مستدرك الوسائل: ٧: ٤٢٢.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠: ٣٠٥، الباب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان، الحديث ٦.

أنّه من أُبعد فلن يستفيد من بركات هذا الشهر، ولن يقبل من الله تعالى. قال ﷺ: «**أَيُّها النَّاسُ، إنَّ جَبْرَئِيلَ اسْتَقْبَلَنِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِيهِ فَمَاتَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ**»(١).

وفي حديث آخر: «ارتقى رسول الله ﷺ على المنبر درجة، فقال: **آمِينَ**، ثمّ ارتقى الثانية فقال: **آمِينَ**، ثمّ ارتقى الثالثة فقال: **آمِينَ**، ثمّ استوى فجلس، فقال أصحابه: على ما أمّنت؟ فقال: **أَتَانِي جَبْرَئِيلُ فَقَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، فَقَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، فَقَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ**»(٢).

إنّ هذه خصيصة عظيمة لشهر رمضان، وقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام لأولاده في وصيّته لهم اختلاف شهر رمضان عن غيره من الشهور، وأنّه شهر العمل وبذل الجهد وليس كما يتصوّر بعض الناس بأنّه شهر النوم والأكل لما لذّ وطاب من الأطعمة بل هو شهر مضاعفة الجهد لنيل الرضوان، قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(٣).

وصيّة الإمام الصادق عليه السلام لأولاده.

«**فَأَجْهِدُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ تُقَسَّمُ الْأَرْزَاقُ، وَتُكْتَبُ الْآجَالُ، وَفِيهِ يُكْتَبُ وَفْدُ اللهِ الَّذِينَ يَفِدُونَ إِلَيْهِ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ الْعَمَلُ، فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ**»(٤).

---

(١) بحار الأنوار: ٩٣: ٣٤٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ٧: ٤٢٥ و ٤٢٦.

(٣) آل عمران ٣: ١٣٣.

(٤) وسائل الشيعة: ١٠: ٣٠٥، الباب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان، الحديث ٦.

الرابعة: تقسيم الأرزاق وكتابة الآجال.

خصائص هامّة:

الأولى: أنّ الله تعالى يقسّم الأرزاق ويكتب الآجال، وينبغي أن يدعو الإنسان لنفسه بالصحّة وطول العمر والبركة، ويدعو للمؤمنين ليحصل على آثار الدعاء.

الخامسة: كتابة وفد الله تعالى.

وفيه يكتب وفد الله تعالى الذين يفدون إليه حجّاجاً، لذا وردت أدعية ترتبط بالحجّ؛ لأنّ الإنسان إذا وفّق وكان من الحجّاج نال خيرتين: خيرة شهر رمضان وخيرة الحضور في عرفة.

السادسة: عيد المؤمنين وأيّام فرحهم.

من خصائص هذا الشهر أنّه فرح المؤمنين الذين يعرفون حرمته، فالذين يعرفون حرمة هذا الشهر الفضيل لهم توق وشوق إليه، وحزن وألم على فراقه وانقضائه؛ لأنّه شهر الخيرات والبركات. قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «

الْحَمْدُ للهِ الَّذي هَدانا لِحَمْدِهِ، وَجَعَلَنا مِنْ اَهْلِهِ، لِنَكُونَ لاِحْسانِهِ مِنَ الشّاكِرينَ، وَلِيَجْزِيَنا عَلىٰ ذٰلِكَ جَزاءَ الْمُحْسِنينَ.

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذي حَبانا بِدينِهِ، وَاخْتَصَّنا بِمِلَّتِهِ، وَسَبَّلَنا في سُبُلِ إِحْسانِهِ، لِنَسْلُكَها بِمَنِّهِ اِلىٰ رِضْوانِهِ، حَمْداً يَتَقَبَّلُهُ مِنّا، وَيَرْضىٰ بِهِ عَنّا.

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ، شَهْرَ رَمَضانَ، شَهْرَ الصِّيامِ، وَشَهْرَ الْاِسْلامِ، وَشَهْرَ الطَّهُورِ، وَشَهْرَ التَّمْحيصِ، وَشَهْرَ الْقِيامِ»[١].

---

(١) الصحيفة السجّاديّة: ٢٠٩ و ٢١٠ (دعاؤه عليه السلام إذا دخل شهر رمضان).

إنّ كلّ واحدة من هذه الخصائص تحتاج إلى شرح ، غير أنّ تسليم الإمام عليه‌السلام على الشهر : « **السَّلامُ عَلَيْكَ يا شَهْرَ اللهِ الْاَكْبَرَ ، وَيا عيدَ أَوْلِيائِهِ** »(١) يوضّح لنا المعاني الكبيرة ، والمؤمن إذا أقبل عليه شهر رمضان عاش الأُنس والمحبّة والشوق إلى هذا الشهر العظيم لكونه عيد أوليائه ، لذا قال عليه‌السلام : « **السَّلامُ عَلَيْكَ يا اَكْرَمَ مَصْحُوبٍ مِنَ الْاَوْقاتِ ، وَيا خَيْرَ شَهْرٍ فِى الْاَيّامِ وَالسّاعاتِ.**

السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ قَرُبَتْ فيهِ الْآمالُ ، وَنُشِرَتْ فيهِ الْاَعْمالُ.

السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ قَرينٍ جَلَّ قَدْرُهُ مَوْجُوداً »(٢).

إنّه شهر جليل القدر ، عظيم المنزلة عند الله تعالى ، وليس بقرين عادي ، وذلك لاقترانه ببركات لا يعلمها إلّا الله تعالى ، وعظمته من تعظيم الله تعالى له ، العظيم ما عظّمه الله تعالى ، والحقير ما حقّره الله تعالى.

ثمّ قال عليه‌السلام : « **وَاَفْجَعَ فَقْدُهُ مَفْقُوداً** » ، فأيّامه إذا انقضت ولياليه إذا تصرّمت ، فكأنّ المؤمن فقد ولداً بارّاً ، فافتجع بذلك.

ثمّ قال عليه‌السلام : « **السَّلامُ عَلَيْكَ ما كانَ اَطْوَلَكَ عَلَى الْمُجْرِمينَ ، وَاَهْيَبَكَ في صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ** »(٣).

هذه خصائص لشهر رمضان وردت بأحاديث متواترة ، تحتاج إلى عالم يكشف النقاب عن أسرارها ، وقد رويت من العامّة والخاصّة.

السابعة : انحصار قدرة الشيطان.

غلّ الشياطين ، فالشياطين لا تستطيع التأثير على الصائمين المؤمنين ، وفهم ذلك يحتاج إلى تأمّل طويل ، قال صلى‌الله‌عليه‌وآله : « **إِذَا اسْتَهَلَّ رَمَضَانُ غُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، وَفُتِّحَتْ**

(١ ـ ٣) الصحيفة السجّاديّة : ٢٩٥ و ٢٩٦ (دعاؤه عليه‌السلام في وداع شهر رمضان).

أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ »(١) .

ليس للشيطان سلطان على أولياء الله تعالى ؛ ذلك أنّ الشيطان تنحصر قدرته في قوّته الإعلاميّة ، إنّه إعلاميّ محترف يمارس الدور الذي تمارسه بعض الدول لقلب الحقائق ، فهي تمتلك آلة إعلاميّة ضخمة لها قدرة على قلب الحقائق بشكل كبير ، قال تعالى : ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي**﴾(٢) ، أي لا سلطان له إلّا على تزيين الأشياء وتجميلها ، والناس يصدّقونه ماشين خلفه كما يتأثّرون بالإعلام في العصر الحديث ، أمّا في شهر رمضان فلا يستطيع الشيطان أن يزيّن الأشياء لكون المؤمن له ارتباط وثيق بالله تعالى ، فقلبه في حرز من الشيطان ، لا يتمكّن من قلبه ، وذلك معنى كون الشيطان مصفّداً أي لا يؤثّر على قلب الصائم المؤمن .

ثمّ قال ﷺ : « **وَقَدْ وَكَّلَ اللهُ بِكُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ سَبْعَةً مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، فَلَيْسَ بِمَحْلُولٍ حَتّىٰ يَنْقَضِيَ شَهْرُكُمْ هَذَا** »(٣) تعبير دقيق قد لا نفهم معناه إلّا بإمعان النظر وملاحظة تأثّر بعض الناس بالإغراء المادّيّ أو بالإغراء الجنسيّ أو بالأمراض المعنويّة كالحسد ، فكلّ شخص لديه نقاط ضعف ، ولعلّ الرواية تشير إلى نقاط الضعف الكثيرة ، فالسبعة من أعداد الكثرة ، أي أنّ الشياطين تصفّد بحيث لا تستطيع النفوذ من خلال نقاط الضعف رغم كثرتها لوجود اللطف الإلـهيّ الخاصّ لهذا الشهر الفضيل ، وهي خصيصة عظيمة .

وفي حديث آخر : « قال الله تعالى لجبريل عليه السلام : **انْزِلْ عَلَى الْأَرْضِ فَغُلَّ مَرَدَةَ**

---

(١) مستدرك الوسائل : ٧: ٤٢٦.

(٢) إبراهيم ١٤: ٢٢.

(٣) وسائل الشيعة : ١٠: ٣٠٤ ، الباب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ، الحديث ٣.

الشَّيَاطِينِ عَنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ **لَا يُفْسِدُوا عَلَيْهِمْ صِيَامَهُمْ وَإِيمَانَهُمْ**»[١].

بركات شهر الصيام.

وهناك خصائص أُخرى لهذا الشهر الفضيل فُرّقت في الأحاديث، فلم تذكر في حديث واحد وإنّما جاء بعضها في خطبة النبيّ، قال ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ**»، أي أنّه بالإضافة إلى غفران الذنوب فيه بركة ورحمة، البركة هي الاستفادة الكبيرة من الشيء بأقصى ما يمكن، ذلك أنّ بعض الناس يرزق المال والولد والجاه، غير أنّه لا يستفيد من ذلك، وبعضهم الآخر رغم قلّة أمواله لكنّه يبارك له فيها ويبارك له في عمره، فيستفيد من القليل كثيراً ويترتّب على أمواله وعمله وعمره آثار لا حدود لها.

إنّ شهر رمضان بركة تترتّب عليه آثار لا حدود لها بشرط أن يعرف المرء كيفيّة الاستفادة من هذا الشهر الكريم.

ثمّ قال ﷺ: «**شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ، وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ، وَلَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ**» كلّ ليلة فيه هي أفضل من سائر الليالي، وساعاته هي أفضل من سائر الساعات في غيره، وفي كلّ ساعة وفي كلّ يوم وليلة يتصف الزمان بهذه الصفات والخصائص.

وكي يتّضح ذلك لا بدّ من الالتفات إلى سعة الكرم والجود وعظم المغفرة لله تعالى، ومقارنة ذلك مع فعل بعض العباد، فإذا دعاك شخص له أموال كثيرة يريد أن يكرمك يضع مائدة ضخمة، وعند خروجك من منزله لا يكتفي بما قدّم لك، بل يحمّلك بالهدايا لواسع فضله وكرم نفسه، إنّ هذا حال الكريم في الدنيا المخلوق الضعيف لله تعالى، فما بالك بمن الكرم ذاته، جاء في بعض الأدعية:

---

(١) بحار الأنوار: ٩٣: ٣٥٠.

« **يَا مَنْ أَعْطىٰ مَنْ سَأَلَهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً ، يَا مَنْ أَعْطىٰ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَلَمْ يَعْرِفْهُ** »(١) ، فهو تعالى يعطي من لم يسأله ، فكيف بمن سأله ؟ وكيف بمن دعاه ؟ إنّه واسع الكرم المعطي لاستضافته ، فيعطي ما لا عين رأت ، ولا اُذن سمعت ، ولا خطر على خيال بشر ، ومن استجاب لدعاء الله تعالى له أعطاه بلا حدود .

ثمّ قال صلى الله عليه وآله : « **هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلىٰ ضِيَافَةِ اللهِ ، وَجُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَةِ اللهِ** » ، ويترتّب على ذلك آثار :

الاُولى : أنفاسكم فيه تسبيح .

إنّ من استجاب لدعوة الله تعالى ، فإنّ نفسه تسبيح ، فهو ناج لأنّ أثر التسبيح النجاة ، قال تعالى : ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾(٢) .

الثانية : النوم عبادة .

ومن نام ليستعيد قواه كمن جلس يذكر الله تعالى .

الثالثة : قبول العمل .

ثمّ قال صلى الله عليه وآله : « **وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ** » . إنّ العمل قد تختلّ شرائط قبوله فتكتمل ببركات هذا الشهر .

الرابعة : استجابة الدعاء .

ثمّ قال صلى الله عليه وآله : « **وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ ثَقَّلَ اللهُ مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخِفُّ الْمَوَازِينُ** » : إنّ الدعاء مستجاب ، وعلينا أن نكثر منه ومن الاستغفار والصلاة على محمّد وآله لتثقل الموازين(٣) .

---

(١) مصباح المتهجّد : ١ : ٣٥٦ .

(٢) الأنبياء ٢١ : ٨٧ .

(٣) وسائل الشيعة : ١٠ : ٣١٣ و ٣١٤ ، الباب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ، الحديث ٢٠ .

صوم رمضان زادٌ في تقوى الرحمن

قال تعالى :

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(١)

الحِكَم والمصالح من العبادات.

بيّنت بعض آي القرآن الكريم والروايات أنّ العبادات التي افترضها الله تعالى لها حِكَم ومصالح مترتّبة عليها، وبعض العلماء جعل لكلّ العبادات حكمة واحدة ومصلحة فاردة، هي رفع مستوى الإنسان من حضيض عالم المادّة إلى أوج عالم المعنى، غير أنّ الذي يظهر من الروايات وآي القرآن الكريم أنّ هذه الحكم والمصالح مختلفة، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾(٢)، أي أنّ الصلاة تترتّب عليها ثمرة، هي الانضباط القانونيّ بتعبيرنا الحديث، وعدم التعدّي والتجاوز لحدود الله تعالى، وعدم الوقوع في الظلم للنفس أو للغير، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾(٣).

---

(١) البقرة ٢: ١٨٣.

(٢) العنكبوت ٢٩: ٤٥.

(٣) الطلاق ٦٥: ١.

ارتباط التقوى بالولاية لله.

أمّا الصوم، فإنّ القرآن الكريم يؤكّد على اختلاف أثره عن الصلاة، وأثره المباشر هو التقوى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(١).

ومعنى التقوى يختلف عن الوقوع في المعصية، وعن الظلم للنفس أو للغير، وإذا أردنا أن نعطي تعريفاً لها من خلال اللوازم والآثار المترتّبة عليها، نجد أنّها تعني الوصول إلى مقام الولاية لله تعالى، فالمتّقي يصبح من أولياء الله، والوليّ في اللغة هو الذي لا يكون بينه وبين من يواليه واسطة، ويسعى الوليّ إلى نصرة وليّه ومساعدته، والأخذ بيده لما فيه الخير والصلاح، وتترتّب محبّة بين الوليّ والمولى تؤدّي إلى قُرب المولى من الوليّ وتؤهّله للوصول إلى مقام الولاية لله تعالى، لذا عبّر القرآن الكريم بتعبير جميل عن التقوى بأنّها خير الزاد، لأنّها تحقّق للإنسان ما يستفيده للوصول إلى الهدف، فمن أراد أن يسافر تزوّد لسفره بكلّ ما يحتاجه، كي يصل إلى مقصده مرتاحاً، كذلك هناك هدف للإنسان في عالم المعنى، هو القرب من الله تعالى، والأعمال التي يأتي بها الإنسان تُسهم بنحوٍ ما في إيصاله إلى الله، غير أنّ بعضها تُمهّد لبعضها الآخر، وأعظم الأعمال التي تُوصل الإنسان إلى التقوى، كما يظهر من القرآن والروايات هو الصوم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(٢).

الآثار المترتّبة على التقوى.

للتقوى آثار متعدّدة لسنا بصدد بيان جميعها، وإنّما نريد أن نؤكّد على أنّها توصل الإنسان إلى مقام الولاية لله تعالى، حيث لا يكون بينه وبين الله حجاب، ويصبح

---

(١) و (٢) البقرة ٢: ١٨٣.

مولى لله تعالى، والله وليّه، وقد أبان القرآن الكريم الآثار المترتّبة على التقوى نذكر بعضاً منها:

الأوّل: وصول الإنسان إلى جنّات النعيم في عالم الآخرة، وزوال آثار الآثام والذنوب، التي اقترفها في الحياة الدنيا. قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾(١).

الثاني: إنّها الغاية للعبادة، ويعني ذلك أنّ نهاية ما يصل الإنسان في عباداته إليه هو القرب من الله تعالى، والآية التي استهللنا الحديث بها ـ وكذلك الروايات ـ تؤكّد على أنّ الصوم هو العبادة التي يترتّب عليها هذه المرتبة من تقوى الله، أي الوصول إلى مقام الولاية في أعلى مراتبها. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(٢)، أي أنّ الغاية من العبادات هي وصول الإنسان إلى التقوى، ويعني ذلك أنّه اجتاز العقبات ووصل إلى مقام الولاية.

الثالث: زوال الحزن والألم والخوف عن نفسه، ليصبح مع الله تعالى ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾(٣)، وأولياء الله هم ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(٤). إذن الذي يتحقّق من تقوى الله هو وصول الإنسان إلى مقام ولاية الله.

الرابع: أنّ وصول الإنسان إلى مقام الولاية يعني زوال الحجب بينه وبين الله

---

(١) المائدة ٥: ٦٥.

(٢) البقرة ٢: ٢٤.

(٣) يونس ١٠: ٦٢.

(٤) يونس ١٠: ٦٣ و ٦٤.

تعالى . قال تعالى : ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[١] ، أي أنّ الله تعالى يتولّى إخراج المؤمن الذي أصبح وليّاً له من كلّ ظلمة ، عكس من لم يصل إلى هذا المقام وكان من أولياء الشيطان ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[٢] .

الخامس: هو أثر هامّ يرتبط برتبة معنويّة ، تتحوّل فيها الأعمال الصغيرة إلى كبيرة وعظيمة عند الله تعالى ؛ إذ الإنسان قد يقوم بين يدي الله ويصلّي ركعتين في جوف الليل ، فتصبح الركعتان ركعات لا حدّ لها ولا حصر للتقوى ، ولذلك ورد عن الصائمين : « **وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ** »[٣] ، وقد أفصح القرآن الكريم عن هذا المعنى . قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٤] .

السادس: هو من أهمّ الآثار التي ذكرها القرآن ، وهو الفرج بعد الشدّة والرزق الوفير ، قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[٥] ، ولا يراد بالرزق هنا المادّيّ فقط ، بل يعم المعنويّ أيضاً .

آثار التقوى في كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

عندما نرجع إلى ما ورد عن أئمّتنا عليهم السلام في التقوى ، نجد تركيزاً من لدُن إمامنا عليّ عليه السلام في أكثر خطبه وكلماته القصار عليها ؛ لأنها المبدأ الذي يترتّب عليه الآثار ، كي يأخذ بأيدي الناس إلى مقام الولاية ، الذي هو أعظم فائدة وغنيمة يحصل عليها

(١) البقرة ٢ : ٢٥٧ .

(٣) وسائل الشيعة : ١٠ : ٣١٣ ، الباب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ، الحديث ٢٠ .

(٤) المائدة ٥ ٢٧ .

(٥) الطلاق ٦٥ : ٢ و ٣ .

الإنسان ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[١] ، أي أنّ الغاية من العبادة هي الوصول إلى المعرفة المترتّبة عليها ، قال عليه‌السلام وهو يحضّ الناس للوصول إلى هذا المقام : **أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ**[٢] **الَّتِي هِيَ الزَّادُ** ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ** ﴾[٣] ، **هِيَ الزَّادُ ، وَبِهَا الْمَعَاذُ : زَادٌ مُبْلِغٌ ، وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ** » : أي أنّ الإنسان إذا تزوّد بالتقوى بلغ إلى الهدف ، ووصل إلى الغاية ، وإذا اتّخذ الإنسان معاذاً لعصمته بالتقوى أصبح قادراً على الوصول إلى النجاح والفوز والظفر .

ثمّ قال عليه‌السلام : « **دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ** » : أي الرسل والأنبياء والأئمّة عليهم‌السلام ، فهم الذين سمعوا داعي التقوى ، بعد أن دعاهم اللهُ إليها فوعوها ، وهم أسمع من بلّغ عن الله تعالى ، « **دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ** » ، والنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وعى معنى التقوى بحقّانيّتها ، لذا أشار إلى صدره المبارك وقال : « **التَّقْوَى هَاهُنَا** »[٤] ، أي أنّ الذي وصل إلى ذلك المقام هو خير واعٍ لحقّانيّة التقوى .

« **فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا ، وَفَازَ وَاعِيهَا** » ، وقال عليه‌السلام : « **عِبَادَ اللهِ ، إِنَّ تَقْوَى اللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللهِ**

---

(١) الذاريات ٥١ : ٥٦ .

(٢) نهج البلاغة : ١ : ٢٢٣ ، من خطبة له عليه‌السلام جاء فيها : « **أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ ، وَبِهَا الْمَعَاذُ : زَادٌ مُبْلِغٌ ، وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ ، فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا ، وَفَازَ وَاعِيهَا .**

عِبَادَ اللهِ ، إِنَّ تَقْوَى اللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللهِ مَحَارِمَهُ ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ ، حَتَّىٰ أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ ، فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ ، وَالرِّيَّ بِالظَّمَإِ ، وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ ، فَبَادَرُوا الْعَمَلَ ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ ، فَلَاحَظُوا الْأَجَلَ ، ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ ، وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ ، فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ ، وَلَا تُؤْسَىٰ جِرَاحُهُ » .

(٣) البقرة ٢ : ١٩٧ .

(٤) أمالي الشيخ الطوسي : ٥٣٦ .

مَحَارِمَهُ » : أي لا يقترفون مَحْرَماً من المحارم مادامت التقوى عندهم ، وهي البرهان الذي يشير إليه القرآن الكريم في قضيّة يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء .

« **وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ** » : ﴿**إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً**﴾(١) .

« **حَتّىٰ أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ** » : أي اتّخذوا ورداً من الليالي يقومون فيه بين يدي الله بالعبادة .

« **وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ** » : أي اتّخذوا بعض الأيّام من السنة يصومون فيها لله صيفاً وشتاءً ، خريفاً وربيعاً ، فهم يظمأون ويجوعون لله .

« **فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ** » : فهو يستطيع أن يستلذّ بالأطعمة والأشربة ، ولكن أبدل تلك اللذّة بلذّة أُخرى ، هي نصب في الظاهر لكنّه أحلى من العسل المصفّى ، والشهد الرائع لأولياء الله .

« **وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ** » : هناك آمال لها بريق للإنسان تدعوه لاتّخاذ عكس هذا الاتّجاه ، والارتباط الوثيق بالدنيا والزخرف الكاذب ، والمتّقي هو الذي يُكّذب تلك الآمال وينظر إلى جهة أُخرى ، قال عنها الإمام عليه السلام : « **فَلَاحَظُوا الْأَجَلَ** » ، إلى المعاد وإلى عالم الآخرة ، لأنّه هو الهدف والغاية ، هكذا تكلّم علي عليه السلام .

آثار التقوى في خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله .

تحدّث النبيّ صلى الله عليه وآله في آخر جمعة من شهر شعبان عن بعض الآثار التي يحصل عليها الصائمون ، فقال : « **أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ ، وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ** »(٢) ، الشهيق والزفير ثوابهما نفس ثواب تسبيح الله ، النوم يصبح عبادة لله تعالى ، وكأنّ النائم الصائم يدعو الله ويناجيه رغم أنّه نائم ، وبعد أن انتهى النبيّ صلى الله عليه وآله من خطبته

---

(١) الإنسان ٧٦: ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ٩٣: ٣٥٧.

حثّ الناس على الكرم من خلال البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الله وإطعام الطعام، وعند ذلك قام له بعض الناس فقال: «**يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَيْسَ كُلُّنَا يَقْدِرُ عَلىٰ ذٰلِكَ؟ فَقَالَ** عليه السلام: **اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»، لا بدّ أن تتعوّد على العطاء ولو بجزء من التمرة؛ لأنّ في ذلك سرّ من أسرار الله يوصل الإنسان إلى مقام حميد، بعد ذلك قام إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام وسأل النبيّ صلى الله عليه وآله سؤالاً دقيقاً وفي غاية الأهمّيّة، فقال: «**مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هٰذَا الشَّهْرِ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هٰذَا الشَّهْرِ الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»، أي أن الإنسان لا يكتفي بالوصول إلى مقام التقوى، بل يسعى أن يكون ورعاً، يبتعد عن كلّ ما فيه شُبهة، كما ورد في الحديث: «**حَلَالٌ بَيِّنٌ، وَحَرَامٌ بَيِّنٌ، وَشُبُهَاتٌ بَيْنَ ذٰلِكَ**»(١)، والمتّقي يكون من الورعين الذين لا يحومون حول الحمى كما عبّر صلى الله عليه وآله لئلّا يوشك أن يقع فيه، ولذا قال الإمام العارف بكلمات الله عليه السلام ذلك، أما النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد عبّر عن التقوى بأنّها رئيس الأخلاق «التقى رئيس الأخلاق»، أي أن المتّقي أخذ بكلّ المعاني فأصبحت لديه القيادة والسيطرة والأخذ بزمام الأمور.

---

(١) الكافي: ١: ٦٨.

الخصائص التكوينيّة للتكامل في شهر رمضان

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]

بيّن النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبة له في شهر شعبان مقاصد متعدّدة للصوم، قال صلى الله عليه وآله: «شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ، وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ، وَلَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ...

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ فَطَّرَ مِنْكُمْ صَائِماً مُؤْمِناً فِي هَذَا الشَّهْرِ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عِتْقُ رَقَبَةٍ، وَمَغْفِرَةٌ لِمَا مَضىٰ مِنْ ذُنُوبِهِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَيْسَ كُلُّنَا يَقْدِرُ علىٰ ذَلِكَ؟ فَقَالَ عليه السلام: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ. اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ حَسَّنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خُلُقَهُ كَانَ لَهُ جَوَازاً عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ، وَمَنْ خَفَّفَ فِي هَذَا الشَّهْرِ عَمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ خَفَّفَ اللهُ عَلَيْهِ حِسَابَهُ، وَمَنْ كَفَّ فِيهِ شَرَّهُ كَفَّ اللهُ عَنْهُ غَضَبَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ أَكْرَمَ فِيهِ يَتِيماً أَكْرَمَهُ اللهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ وَصَلَ فِيهِ رَحِمَهُ وَصَلَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ قَطَعَ فِيهِ رَحِمَهُ

---

(١) البقرة ٢: ١٨٣.

قَطَعَ اللهُ عَنْهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَمَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِصَلاةٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ أَدّىٰ فِيهِ فَرْضاً كَانَ لَهُ ثَوَابُ مَنْ أَدّىٰ سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الشُّهُورِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيَّ ثَقَّلَ اللهُ مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخِفُّ الْمَوَازِينُ ، وَمَنْ تَلا فِيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ»(١).

خصائص شهر رمضان :

لشهر رمضان خصائص تبرزه وترفعه عن غيره من الشهور ، نستعرضها تباعاً :

الأُولى : التأثير الزمانيّ لشهر رمضان.

يختلف زمنه عن سائر الأزمنة ، فكلّ آن من آناته يختلف في جوهره عن غيره من الأزمنة التي تمرّ على الإنسان ، لذا فإنّ العمل فيه يتضاعف بأضعاف لا يحصيها إلّا الله تعالى ، وقد ذكر بعض العلماء أنّ سبب المضاعفة يرجع إلى أمرين :

الأوّل : أنّ ذلك خاصّيّة لشهر رمضان يختلف تكويناً عن غيره.

الثاني : تأثير العمل الجماعيّ ، ويرتبط ذلك بأعمال المؤمنين في هذا الشهر الفضيل ، فكلّ خير اجتمع عليه جماعة تضاعف ثوابه ، وإذا اجتمع الناس في الصلاة جماعة ، فالثواب لا يحصيه إلّا الله تعالى والملائكة غير قادرين على إحصائه ، وكذلك الأمر في شهر رمضان ، فالمؤمنون في أقطار الأرض يجتمعون متوجّهين إلى الله تعالى فيؤثّر كلّ منهم بعمله في قبول عمل الآخر ، لذا كانت أيّامه أفضل الأيّام ، ولياليه أفضل الليالي ، وساعاته أفضل الساعات.

الثانية : التأثير المعنويّ لشهر رمضان :

قوله صلى الله عليه وآله : « **أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ ، وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ** ». بيّن النبيّ صلى الله عليه وآله التأثير

---

(١) بحار الأنوار : ٩٣ : ٣٥٧.

المعنويّ لشهر رمضان من خلال إبراز أمرين :

الأوّل : الأنفاس تسبيح .

من عظمة هذا الشهر أنّ أنفاس الصائم تسبيح وتنزيه لله تعالى ،كأنّه يقول سبحان الله ، والتسبيح هنا قهريّ لا يشعر به الصائم ، أي أنّ الله تعالى يكتب استنشاقه للهواء تسبيحاً ، والتعبير غاية في الروعة يدلّل على نجاة الصائم من عذاب الله ، قال تعالى : ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾(١) التسبيح خاصّيّته النجاة ليست ليونس وحده ، فكلّ مؤمن ينجو ببركات التسبيح والتنزيه لله تعالى ، والصائم مسبّح لله تعالى فهو ناجٍ .

الثاني : النوم عبادة .

الصائم في حالة عبادة بنحو قهريّ أيضاً ، « **وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ** » ، فإذا خلد إلى الراحة ونام كُتب عند الله تعالى من العابدين ، كأنّه يقرأ القرآن ويذكر الله تعالى ، ولا يتحقّق ذلك في غير شهر رمضان . نعم ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « **مَنْ تَطَهَّرَ ثُمَّ أَوَى إِلىٰ فِرَاشِهِ بَاتَ وَفِرَاشُهُ كَمَسْجِدِهِ** »(٢) ، إلّا أنّ شهر رمضان يختلف ، فمن نام على غير وضوء فيه كان نومه عبادة عند الله تعالى .

الثالثة : التأثير الأخلاقيّ لشهر رمضان :

أكّد النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبته الآنفة على محاور في الجانب الأخلاقيّ تبرز أهمّيّته :

الأوّل : الخير في حسن الخلق .

يجمع الخلق في كلّ آنٍ وزمانٍ الخير كلّه . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **يَا أُمَّ سَلَمَةَ ،**

---

(١) الأنبياء ٢١ : ٨٧.

(٢) الكافي : ٣ : ٤٦٨.

إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ ذَهَبَ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[١]، أي أنّ الأخلاق الطيّبة تجمع لصاحبها الخير كلّه.

الثاني: الخلق الحسن يمحو الخطايا.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إِنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ يَمِيثُ الْخَطِيئَةَ كَمَا تَمِيثُ الشَّمْسُ الْجَلِيدَ**»[٢].

الأخلاق الحسنة تميث الخطايا وتذيبها قاضية على آثارها، كما تميث الشمس الجليد، إنّ من أسوأ الأُمور التي تلازم الإنسان الغضب، غير أنّ بإمكان الصائم أن يتخلّص منه إذا أدرك أسرار الصوم ويسيطر على غضبه، ويترك الذنوب.

الثالث: الخلق والأمن من العذاب.

وإذا حسّن الصائم خلقه وتعامل بمرونة حصل على أثر عظيم في عالم الآخرة، وهو الجواز على الصراط، قال صلى الله عليه وآله في خطبته: «**أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ حَسُنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خُلُقُهُ كَانَ لَهُ جَوَازاً عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ**»، أي أنّه يمرّ بسهولة ويسر، وذلك ضمان من عند الله تعالى لمن حسّن أخلاقه في هذا الشهر الفضيل، وترك المعاصي فلم يغضب ولم يغتب، وترك الكذب، وتعامل بأريحيّة ومرونة، وقد بيّن النبيّ صلى الله عليه وآله مفردات لحسن الخلق، فمن كان لديه أمة أو خادم ولم يتعامل بعنف معهما خفّف الله تعالى عليه الحساب يوم القيامة، وكان له جواز على الصراط، أي له حصانة؛ لأنّ حسن الخلق يميث الخطايا.

الرابعة: التأثير القرآنيّ في شهر رمضان.

بيّن صلى الله عليه وآله أنّ من قرأ آية فيه كمن ختم القرآن في غيره، قال صلى الله عليه وآله: «**وَمَنْ تَلَا فِيهِ آيَةً**

(١) وسائل الشيعة: ١٢: ١٥٥، الباب ١٠٢ من أبواب الصوم المحرّم، الحديث ٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨: ٣٧٥.

مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ»، ما أعظمها من منحة لتالي القرآن الكريم.

الخامسة: خصوصيّة الورع في شهر رمضان.

قال ﷺ: «**يَا أَبَا الْحَسَنِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

إنّ أفضل عمل يقوم به الصائم اجتناب الحرام؛ ذلك أنّ الهدف من الصوم إيصال الإنسان إلى الاستقامة، وقد سأل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام النبيّ ﷺ عن أفضل الأعمال فأجابه ﷺ: بأنّه الورع عن محارم الله تعالى؛ إذِ الصوم غايته التقوى.

الطريق نحو الورع.

قد يبدو للمرء أنّ الورع سهل لكنّه من الصعوبة بمكان، كما بيّن ذلك النبيّ ﷺ لجابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال ﷺ: «**يا جَابِرُ، مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانَ فَصَامَ نَهَارَهُ، وَقَامَ وِرْداً مِنْ لَيْلَتِهِ، وَحَفِظَ فَرْجَهُ وَلِسَانَهُ، وَغَضَّ بَصَرَهُ، وَكَفَّ أَذَاهُ، خَرَجَ مِنَ الذُّنُوبِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.**

قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا أَحْسَنَ هَذَا مِنْ حَدِيثٍ. قَالَ: **مَا أَشَدَّ هَذَا مِنْ شَرْطٍ**»(١).

قوله ﷺ: «**وَقَامَ وِرْداً مِنْ لَيْلَتِهِ**»، أي قام بصلاة النافلة في ليله، وقد ذكر العلماء صلاة ألف ركعة في هذا الشهر الفضيل، وأكّدوا على أهمّيّتها؛ لأنّ صلاة النافلة تكمل ما نقص في الفريضة، وقد تجعل الصلاة مقبولة فيقبل ما سواها.

قوله ﷺ: «**وَكَفَّ أَذَاهُ**» عن غيره، أي صان جوارحه، ولم يقترف حراماً، عندئذٍ

---

(١) بحار الأنوار: ٩٣: ٣٧١.

خرج من ذنوبه كخروج الشهر واستحقّ الجنة ، وقد فرح جابر بالحديث فقال : « مَا أَحْسَنَ هَذَا مِنْ حَدِيثٍ » ؟ إذ الصائم يحصل على ثواب الله الجزيل بأُمور يسيرة ، صيام النهار ، وقيام شطر من الليل ، وكفّ الأذى عن الغير باجتناب الحرام ، فتصوّر جابر أنّ ذلك من السهولة بمكان ، غير أنّ النبيّ ﷺ لفت انتباهه إلى شدّة الشروط ، وصعوبة الاستقامة ، وأهمّيّة الورع ، وتحقيق التقوى .

المجاهدة نحو التورّع .

إنّ اجتناب الحرام قد يكون سهلاً لعدم التمكّن منه ، لكنّه إذا سَهُل اقترافه صعُب تركه حينئذٍ ، فمن حصل على مال من الحرام كالربا فابتعد عنه بورعه ، كان الورع عن محارم الله تعالى أفضل عمل له في شهر رمضان ، أمّا إذا لم يكن كذلك فإنّه يسدر في غيّه ، ويرتكب الحرام ، ويستسهل الغيبة والتحدّث عن الآخرين بمنقصة ، مع أنّ ذلك كبيرة ومحاربة لله تعالى ، فلا يجوز استنقاص المؤمن حتّى إذا اختُلف معه . نعم ، لك أن تناقشه ضمن حدود وضوابط يبيحها القانون ، ولا يجوز التعدّي عنها فيهرف المرء بما لا يعرف ، ويتحدّث بما شاء ، فإنّ ذلك يسقطه في النار .

الصوم طريق نحو التقوى .

الصوم هو التقوى والورع عن محارم الله ، وقد شرح الأئمّة عليهم السلام ذلك . قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **الصِّيَامُ اجْتِنَابُ الْـمَحَارِمِ** »[١] ، أي أن يجتنب الصائم المحارم ، وليس أن يدع الأكل والشراب ويفعل ما يشاء ، ويتحدّث بما يريد ، فالصوم استقامة وسير على وفق ضوابط شرعيّة لها أهمّيّة قصوى وفائقة ، وعلى أساس ذلك يحاسب عند الله تعالى . إنّ كثيراً من الناس لا يرعوي ولا يرتدع ويتحدّث عن الآخرين

---

(١) بحار الأنوار : ٩٣ : ٢٩٤ .

منتقصاً إيّاهم بما لذّ له وطاب، ويرى ذلك تفكّهاً، مع أنّه يسقطه عند الله تعالى وينعكس عليه بآثار سلبيّة في الحياة الدنيا، فيسلب التوفيق ويرجع إلى الوراء، ويدمّر الجانب المعنويّ من شخصيّته.

هدف تشريع الصوم.

إنّ الكثير من الأعمال لا قيمة لها عند الله تعالى، فالعمل ليس بكمّه بل بكيفه، ولا يتحقّق القبول إلّا بالإخلاص، واقتران العمل بتقوى الله تعالى، وإذا لم يتوافر ذلك فهو هباء. قال تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً**﴾[1]، أمّا إذا اقترن بالتقوى تُقبّل ونما، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[2]، وذلك حصر. نعم، جاء في قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُم مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ**﴾[3] أنّ ذلك يختصّ بالأجر في الدنيا، فيعطى غير المتّقي أجره فيها، ولا يصل إلى الآخرة لاختصاص الأجر الأُخرويّ بالمتّقين. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾.

---

(١) الفرقان ٢٥: ٢٣.

(٢) المائدة ٥ ٢٧.

(٣) آل عمران ٣: ١٩٥.

مكتسبات شهر رمضان

قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١)

شهر رمضان المبارك شهر الخيرات والبركات ؛ ذلك أنّ المؤمن يحرز في هذا الشهر الفضيل مكتسبات متعدّدة نشير إلى بعضها على سبيل الاختصار لأهمّيّتها ، ونفعها الدائم ، وانعكاسها الإيجابيّ على حياة الإنسان .

من أهمّ المكتسبات التي تحقّق للمؤمن في هذا الشهر الفضيل :

الأوّل : الارتباط الوثيق بالقرآن الكريم .

تزداد في شهر رمضان المبارك تلاوة القرآن ، ويكثر التمعّن والتدبّر في آياته ، وذلك مطلب أسمى ، يتيح للمرء أن يوثّق علاقته بالله تعالى عبر التحدّث معه ، من أراد أن يتحدّث مع الله عليه أن يتلو القرآن الكريم ، غير أنّ هذا الانعكاس الإيجابيّ لا ينبغي أن يزول بانقضاء الشهر ، بل على المؤمن أن يبقى على تواصل دائم مع القرآن الكريم عبر قراءة بعض آياته في كلّ يوم ، ولا ينبغي له أن يقطع

---

(١) البقرة ٢ : ١٨٣ .

ارتباطه بالقرآن الكريم تلاوة وتدبّراً ويقتصر في ذلك على شهر رمضان فحسب، بل عليه أن يجعل رمضان انطلاقة تستمرّ إلى شهر رمضان التالي، إنّ هذا الربط الوثيق أتاح للمؤمن إدراك الكثير من الفوائد والآثار الطيّبة المترتّبة على تلاوة القرآن، وعليه أن يبقى متواصلاً مع قراءته وتفسيره والتدبّر في آياته.

الثاني: الإخلاص في العبادة.

قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾(١)، حقيقة الإخلاص أن يأتي المؤمن بالعمل لا يريد به إلّا الله تعالى، يتجرّد عن كلّ رغباته ولا يريد غير الحقّ تعالى، عندئذٍ يترتّب على ذلك الكمال الإنسانيّ وبلوغ الآمال، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَنْ أَخْلَصَ بَلَغَ الْآمَالَ**»(٢) الإخلاص يُوصل المخلص إلى آماله؛ ذلك أنّ المرء إذا أخلص لله تعالى العبادة وصل إلى ما يريده الله تعالى منه؛ لأنّ الله تعالى لا يريد من العبد إلّا أن يخلص العبادة، وإذا تحقّق منه ذلك تحقّقت آماله في الدنيا والآخرة، وكلّ أمل يتوق إليه ـ إذا أخلص لله تعالى ـ يتحقّق له، أكان الأمل دنيويّاً أم أُخرويّاً، فلا يبقى أمل لا يتحقّق لمن أخلص العبادة لله تعالى، لأنّه وصل إلى معرفة الحقّ وأدرك ثمرة العبادة، ولم يرتبط بشيء غير الله تعالى، والصوم يحقّق هذا المكتسب، قال الرسول صلى الله عليه وآله: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ هُوَ لَهُ غَيْرَ الصِّيَامِ هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(٣)، وقرأت الرواية: «**وأنا أُجزَىٰ بِهِ**» وكلا المعنيين صحيح:

الأوّل: معناه أنّ الله تعالى يجزي بالصوم جزاءً لا حدود له.

والثاني: معناه أنّه ليس هناك جزاء للصوم إلّا الله تعالى، والله هو جزاء الصوم،

---

(١) البيّنة ٩٨: ٥.

(٢) غرر الحكم: ٨٠٤٣.

(٣) الخصال: ١: ٤٥.

أي أنّ الصائم إذا تجرّد عن كلّ شيء ما عدا الله تعالى ، أصبح ربّانيّاً وإلـهيّاً لا يرى إلّا الله تعالى . قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **ما رَأَيْتُ شَيْئاً إلّا وَرَأَيْتُ اللهَ فِيهِ أَوْ قَبْلَهِ أَوْ مَعَهُ** »[١] ، وإذا بلغ الصائم درجة الإخلاص كان الحقّ تعالى هو الجزاء الأوفى ، وليس هناك جزاء إلّا أن يتحوّل الصائم المخلص إلى كونه ربّانيّاً في سلوكه إلـهيّاً في مساره .

الثالث : الصبر .

تحدّث القرآن الكريم عن الصبر في آيات متعدّدة ، منها ما جاء في حضّ المصطفى صلى الله عليه وآله عليه . قال تعالى : ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾[٢] . إنّ أُولي العزم من الرسل ، وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليهم السلام ديدنهم الصبر ، ولم يبلغوا ما أرادوا إلّا به ، ويترتّب على الصبر أنّ الله تعالى يجزي الصابر بغير حساب ، أي دون معادلة ، أي ليس هناك مكافئة بين الصبر والجزاء ، بل هناك عطاء لا حدود له للصابر ، ومكافئة من الله تعالى دون حساب . قال تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٣] ، ولن يبلغ المرء ما يريده في أيّ مجال من المجالات دون صبر ، فإن أراد علماً لن يتاح له إلّا بالصبر ، وإذا أراد احترافاً في فنّ أو صنعة فلن يتاح له إلّا بالصبر ، وإذا أحبّ أن يربّي أُسرته تربية صالحة لن يتحقّق له ذلك إلّا بالصبر ، وإن أراد أن يعيش وئاماً مع زوجه فالصبر مفتاحه ، وإن أراد تكيّفاً وانسجاماً مع الطيف المتعدّد من المجتمع لن يتأتّى له ذلك إلّا بالصبر ، فالصبر الذي تعلّمه في الشهر الفضيل نبراس يضيء دربه في المجالات المختلفة وعلى الصعد المتعدّدة ، وقد فسّر الصوم بالصبر جاء ذلك في تفسير

---

(١) شرح الأسماء الحسنى : ١ : ١٨٩ .

(٢) الأحقاف ٤٦ : ٣٥ .

(٣) الزمر ٣٩ : ١٠ .

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[١]، ولا شكّ أنّ الصوم سبب يعطي نتيجة هي الصبر؛ لأنّ الصائم إذا ترك الحلال طوعاً بإرادته كان أقدر على ترك الحرام ومقاومة الإغراءات والشهوات باختياره، فيتعلّم هذا الدرس العظيم الذي يثري حياته على جميع الأصعدة وفي جميع المجالات. نعم، لقد تعلّم الصائم الصبر، وعليه أن لا ينسى هذا المكتسب ولا يفرّط فيه لكونه من أعظم مكتسبات الصوم، وهناك الكثير من الآثار الإيجابيّة في تعامل المجتمع تترتّب على الصوم، يلمس ذلك في حديث الناس مع بعضهم، فالصائم بالرغم من الجوع والعطش لكنّه يمثّل صموداً واستقامة بصبره الذي ترتّب على صومه.

الرابع: الخلق الكريم.

جاء ذلك ثمرة أشار إليها المصطفى ﷺ في خطبته المشهورة عندما قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ حَسُنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خُلُقُهُ كَانَ لَهُ جَوَازاً عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ**»[٢]: الخُلق الكريم أن يعفو المرء عمّن ظلمه، ويحسن لمن أساء إليه، فلا يسيئ إليه ولا يعفو عنه فحسب بل يحسن إليه. إنّ الصوم مدرسة الأخلاق، وقد رأيت بعض الأُمور الإيجابيّة كانعكاسات له، رأيت أحد الصائمين عندما حصلت مشادّة بينه وبين ممرّضة، لم يرد عليها لكنّه لم يعرف أثر الصوم إلّا بنظرة قاصرة، فتحدّث إلى شخص آخر، فقال: لو كان الأمر في الليل ولم أك صائماً لرددت الصاع صاعين عليها لكنّي صائم، ولا أُريد أن أجرح صومي، إنّه لم يعرف الهدف من الصوم، وتصوّره يختصّ بفترة أدائه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، إلّا أنّ الأمر ليس كذلك، بل على الصائم أن يتخلّق بالخلق الكريم طوال الشهر،

---

(١) البقرة ٢: ٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ٩٣: ٣٥٧.

بل طوال حياته ، وليس في برهة زمنيّة هي وقت الصوم ، ومع ذلك فقد أثّر الصوم فيه بمقدار استطاع أن يكبح جماح غضبه ، ولم يردّ على الممرضة ، غير أنّه لو أدرك غاية الصوم التي بيّنها الشارع ـ وهي التقوى ـ لعلم أنّ ذلك يشمل العمر كلّه ، فالشارع المقدّس يريد من الصائم أن يكتسب الأخلاق ويحسن خلقه لمن أساء إليه ، ولا يقصر ذلك على الشهر الفضيل في برهة زمنيّة محدودة ، بل عليه أن يلتفت أنّ ذلك ميراث الصوم ، فيتعامل مع الناس بالأخلاق الكريمة ، هكذا تعامل النبيّ صلى الله عليه وآله مع ألدّ من يحقد عليه ، وهو جاره اليهوديّ الذي أساء إليه ، عاده لمّا مرض ، وهذه الصلة ليست لمن قطع الإحسان ، بل لمن أساء ، وذلك معنى الخلق الكريم الذي هو ميراث الصوم ، حريٌّ بالصائم أن يتعامل بالخلق الكريم مع الأعداء وليس مع الأُسرة أو الأصدقاء ، بل مع أعدائه الذين يسيئون إليه وليس مع الذين لا يسيئون.

إنّ على الصائم أن يظهر الخلق الكريم كميراث ومكتسب من مكتسبات الصوم ، وقد علّمتنا الأحاديث ذلك ، وأن لا ننفكّ عن الخلق الكريم ، ففي الروايات «**إنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ ذَهَبَ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»[1] ، أي ليس هناك خير لم يحصل عليه من حسنت أخلاقه ، فمن تحلّى بمكارم الأخلاق حاز خيري الدنيا والآخرة ، قال الإمام الصادق عليه السلام : «**إِنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ يَمِيثُ الْخَطِيئَةَ كَمَا تَمِيثُ الشَّمْسُ الْجَلِيدَ**»[2] ، أي أنّ الخطايا لها آثار ، غير أنّ الأخلاق الحسنة تقضي على آثارها فلا يعود للذنوب آثار سلبيّة تنعكس على المذنب لا في دنياه ولا في أُخراه ؛ ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**»[3] ، وعلى الصائم أن لا يفرّط بهذا المكتسب الكبير الذي حصل عليه في الشهر الفضيل ، بل يجعله

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق : ٥٨٨.

(٢) بحار الأنوار : ٦٨: ٣٧٥.

(٣) وسائل الشيعة : ١٢: ١٥٢ ، الباب ١٠٤ من أبواب الصوم المحرّم ، الحديث ٢٠.

لصيقاً به ليتعامل مع الناس بمرونة ووئام ، لينال فوزاً من عند الله تعالى .

مكتسبات غيبيّة :

وهناك مكتسبات أُخر لا يعلم بها إلّا الله تعالى ، أشارت إليها بعض الأحاديث منها : ما ورد من أنّ الصائم لو أُعطي الدنيا وما فيها لما وفى ذلك حقّه ، ويراد بالصائم من تعلّم الخلق الحسن ، فلم يُسِئ إلى الناس ، لمعرفته حقيقة الصوم ، وقد شرح النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك عندما تحدّثت امرأة عن جاريتها فاغتابتها ، وتكلّمت بكلام سوء عن خادمتها ، فقدّم صلى الله عليه وآله طعاماً لها ، وقال لها : «كلي » ، فقالت : إنّي صائمة ، فالتفت إليها النبيّ صلى الله عليه وآله قائلاً : **كَيْفَ تَكُونِينَ صَائِمَةً وَقَدْ سَبَبْتِ جَارِيَتَكِ ؟ إِنَّ الصَّوْمَ لَيْسَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَقَطْ**[1] ، أي أنّ الصوم ليس ترك الأكل والشراب ، بل ترك الحرام ، فلا يمكن للصائم أن يتحوّل إلى عقرب تؤذي الناس وتسيئ إليهم ، والمرأة أساءت لخادمتها فأخبرها النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ هذا إفطار وليس بصوم ؛ إذْ لا بدّ أن يحجب الصائم نفسه عن الحرام ، فتلك هي حقيقة الصوم ، لذا لو أعطى الله تعالى الصائم الدنيا وما فيها ما وفّاه جزاء صومه ، إنّ على الصائم أن لا يفرّط في مكتسبات الصوم الكبيرة والعظيمة .

---

(١) وسائل الشيعة : ١٠ : ١٦٣ ، الباب ١١ من أبواب آداب الصائم ، الحديث ٣.

زكاة الفطرة في أبعادها الواقعيّة

قال تعالى :

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً ﴾(١)

هذه الآية المباركة تشير الروايات عن أهل البيت عليهم السلام أنّها تتحدّث عن زكاة الفطرة التي سوف نبحثها من خلال أبعادٍ أربعة :

الأوّل : البعد العقديّ في البعث نحو أداء الزكاة.

بأدنى تأمّل في الآية التي استهللنا بها الحديث : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ نجد أنّها قَرنت بين العبادة والإنفاق ، واستفاد العلماء من هذا الاقتران نكتة رائعة وجميلة ، مفادها أنّ اقتصاد العالم الحديث قائم على نمطين : الرأسماليّة والاشتراكيّة أو الشيوعيّة ، النمط الرأسماليّ يشجّع على الحرّيّة الفرديّة ، أي حرّيّة التملّك وحرّيّة الإنفاق ، وعكسه النمط الاشتراكيّ أو الشيوعيّ الذي يرى الملكيّة المطلقة للدولة ويُلغي ملكيّة الفرد ، أمّا الإسلام فله نمط خاصّ من الملكيّة الوسط التي لا تعني أنّه يقترب من النظريّة الرأسماليّة أو الاشتراكيّة أو الشيوعيّة في بعض التصوّرات ، لكنّه يركّز على نمط خاصّ من الملكيّة عبّر عنها

---

(١) المزّمّل ٧٣ : ٢٠.

الشهيد الصدر باندماج المصلحتين : المصلحة الفرديّة لذات الإنسان والمصلحة الاجتماعيّة .

وحتّى يتّضح ذلك نؤكّد على أنّ اندماج المصلحتين في النظام الرأسماليّ يقصد به التركيز على المصلحة الذاتيّة للفرد فقط ، أي أنّ المهمّ هو مصلحة الفرد ، وعليه يسوغ له أن يوسّع مصلحته بكلّ نحو من أنماط التوسّع ، حتّى وإن كان على حساب الآخرين ، باستغلالهم وسحقهم بما يحقّق مصالحه الشخصيّة ، وعكس ذلك الاقتصاد الاشتراكيّ أو الشيوعيّ ، حيث تُقدّم المصلحة الاجتماعيّة دون نظر إلى المصلحة الذاتيّة للفرد .

أمّا الإسلام فيريد من الإنسان أن يُراعي مصلحته الشخصيّة والفرديّة في نفس الوقت الذي يراعي فيه المصلحة الاجتماعيّة ، ويجعل إنفاق الإنسان وبذله للآخرين يصبُّ في مصلحته ، أي أنّ المصلحة الذاتيّة تكمن في إعطاء الآخرين ، ولذلك تقول الآية : ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم**﴾ ، أي تعتبر الذي يُعطى للغير يرجع إلى الإنسان نفسه ، وأروع معنى لرجوع ما يُقدّمه الإنسان لغيره إليه النظريّة الإسلاميّة التي لا تنطلق من دافع ذاتيّ يعود على الإنسان بذاته فقط ، وإنّما تنبثق من قِيَم تمثّل جُزءاً من عقيدة الإنسان في النظام الذي يؤمن به ، فهي تفرض عليه أن يُنفق جزءاً من ماله ، وتعتبره حقّاً للفقير في ذلك المال الذي يملكه المقتدر ، ولذا لا يُعطيه من باب التفضّل عليه ، بل يدفع للفقير حقّه ، وقد عبّرت الآية عنه أنّه نوع من القرض لله .

إذن الإنفاق والإعطاء يرتبط بالجانب العقديّ الذي يوجّه فكر الإنسان وثقافته وسلوكه في جميع المجالات المختلفة ، خصوصاً في الجانب الاقتصاديّ ، أمّا الاقتصاد الوضعيّ ـ الرأسماليّ أو الاشتراكيّ ـ فينطلقان من دوافع ذاتيّة ، سواءً كانت فرديّة أو اجتماعيّة ، بغضّ النظر عن القيم والمثل الدينيّة .

الثاني : البعد الفقهيّ وشرائط الزكاة.

فرض الله تعالى على الصائم بعد إكمال صومه أداء زكاة الفطرة ، التي يُحدّدها العلماء بمقدار صاعٍ ، وهو أربعة أمداد والمدّ يعادل (٧٥٠ غرام) ، أي ثلاثة أرباع الكيلو ، فيجب على كلّ صائم أن يؤدّي هذا المقدار عن نفسه وعمّن يُعِيلُه ، صغيراً كان أو كبيراً ، حتّى لو وضعت الحامل ليلة العيد وجب على المعيل إخراج الفطرة عنه ، إذا أكمل المعيل الصوم وتوفّرت الشروط الثلاثة (الغنى والحرّيّة والعقل) وجب عليه إخراج زكاة الفطرة ، والمقصود من الغِنى : أن يكون الإنسان مالكاً لقوت سنته بالفعل ،أي عنده المال الذي يكفيه لسنة كاملة ، الآن أو بالقوّة ، أي ليس لديه مال يكفيه لسنة الآن ، كالموظّفين في عصرنا الحاضر ، حيث يستلم الموظّف راتبه الشهريّ الذي كلّ شهر ، وذلك يكفيه لسنة ، ويسمّي الفقهاء المالك لقوت سنته على هذا النحو الغنيّ بالقوّة ، وأمّا الحُرُّ فيراد به أنّه غير عبد وغير مملوك لغيره ، وأمّا العقل فيراد به أن يكون غير مجنونٍ.

مقدار الفطرة ونوعها.

إذا غربت الشمس من اليوم الذي يسبق العيد ، وتوافرت لدى المكلّف الشرائط التي ذكرناها ، وجب عليه أن يؤدّي زكاة الفطرة (ثلاثة كيلو غرام) من أوسط الطعام الذي يُؤكل كثيراً في المنطقة ، والذي تشتهر به من الأصناف في بلدنا الآن هو الحنطة (حبّ الهريس) والطحين والتمر ، ويجوز أن يُعطى الفقير نفس هذه الأصناف الثلاثة ، ويجوز دفع قيمتها ، فإذا أراد المكلّف أن يُخرج تمراً عليه أن يُحدّد نوع التمر من الإخلاص أو الرزيز أو الشيشي ويسأل عن قيمته في السوق حالياً ، فإذا كانت قيمة الكيلو من التمر خمسة ريالات وجب عليه إخراج خمسة عشر ريالاً عن الشخص الواحد ، فيُحصي عدد أفراد عائلته ويخرج عن كلّ شخص هذا المقدار ، والأفضل تسليمها إلى شبابنا في جمعية البرّ ، فهم ثقاة في إيصالها إلى

المستحقّ، ومن الضروريّ التأكيد على وجوب قصد الصنف المعيّن عند إخراج قيمة الفطرة، فيقصد أنّ هذا المال قيمة تمر إخلاص، والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تحبّذ إخراج التمر، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**التَّمْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ تَمْرَةٍ نَخْلَةً فِي الْجَنَّةِ**»(١). وفي رواية أُخرى: «**التَّمْرُ أَفْضَلُ**»(٢).

وأُنبّه هنا على أنّ الفقير لا يجب عليه إخراج الزكاة، لكنّه يستحبّ له حتّى لو لم يملك إلّا صاعاً واحداً، والفقير هو الذي لا يملك قوت سنته بالفعل أو بالقوّة، كما تقدّم.

الثالث: البعد الاجتماعيّ للزكاة ودوره في إغناء الفقير.

وردت روايات على أنّ الفقير يُعطى ما يكفيه ويُغنيه، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**تُعْطِيهِ مِنَ الزَّكَاةِ حَتَّى تُغْنِيَهُ**»(٣)، وفي هذا ملاحظة البعد الاجتماعيّ الذي يحقّق التكافل بين أفراد المجتمع في السعي لرفع مستوى الفقير إلى أن يصبح غنيّاً، وهذا بدوره يكون أحد العوامل القويّة لمكافحة الفقر، بشرط أن لا يجعل الفقير اتّكاليّاً يعتمد على الغير مع قدرته البدنيّة على العمل، من هنا يتقاطع البعد الفقهيّ الذي يوجب زكاة الفطرة على ضوء الشرائط السابقة مع البعد الاجتماعيّ الذي يحقّق التكافل وربط أواصر المجتمع من خلال التعاطف والتعاون الذي يؤدّي إلى احتواء

---

(١) عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «سَأَلْتُهُ عَنْ صَدَقَةِ الْفِطْرَةِ، قَالَ: **عَنْ كُلِّ رَأْسٍ مِنْ أَهْلِكَ، الصَّغِيرِ مِنْهُمْ وَالْكَبِيرِ، وَالْحُرِّ وَالْمَمْلُوكِ، وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ، كُلِّ مَنْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ، عَنْ كُلِّ إِنْسَانٍ صَاعٌ مِنْ حِنْطَةٍ، أَوْ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ تَمْرٍ، أَوْ زَبِيبٍ**، وَقَالَ: **التَّمْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ تَمْرَةٍ نَخْلَةً فِي الْجَنَّةِ**». تهذيب الأحكام: ٤: ٨٦.

(٢) عن إسحاق بن عمّار، قال: «سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام عَنْ صَدَقَةِ الْفِطْرَةِ. قَالَ: **التَّمْرُ أَفْضَلُ**». المصدر المتقدّم: الحديث ٥.

(٣) وسائل الشيعة: ٩: ٢٥٨، الباب ٢٤ من أبواب المستحقّين للزكاة، الحديث ١.

الفقير ، وكسب رضاه ، والمحافظة عليه من الوقوع في الجريمة ، كالسرقة وغيرها .

الرابع : البعد التكوينيّ في علاقة الموت بترك الزكاة.

من هنا نجد أنّنا نؤدّي عبادة الصوم ، وفي نفس الوقت فإنّ كمال الصوم لا يتأتّى إلّا من خلال إعطاء زكاة الفطرة ، كما ورد في الروايات ، بل أنّ هناك تركيزاً على أنّ من لا يُعطي هذه الزكاة ويكتفي بالصوم يُخشى عليه الموت . قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه : « **اذْهَبْ فَأَعْطِ عَنْ عِيَالِنَا الْفِطْرَةَ ، وَعَنِ الرَّقِيقِ ، وَاجْمَعْهُمْ وَلَا تَدَعْ مِنْهُمْ أَحَداً ، فَإِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَ مِنْهُمْ إِنْسَاناً تَخَوَّفْتُ عَلَيْهِ الْفَوْتَ** ؟ قُلْتُ : وَمَا الْفَوْتُ ؟ قَالَ : **الْمَوْتُ** »(١) ، لذا ينبغي لنا أن نعتني بالآثار التكوينيّة لترك زكاة الفطرة ونؤدّيها على أكمل وجه .

---

(١) وسائل الشيعة : ٩ : ٣٢٨ ، الباب ٥ من أبواب زكاة الفطرة ، الحديث ٥ .

الباب الثاني

الأُمّة الإسلاميّة

أُسس التقدّم الحضاريّ للبشريّة

القسم الأوّل

التكريم الإلـهيّ للإنسان

قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾[1]

التكريم الإلـهيّ للإنسان.

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم وجعله مركز الكون ، فكرّمه واستخلفه ، وجعل مقاليد الأُمور بيده ، وأمر الملائكة بالسجود له ، ونفخ فيه من روحه ، والغاية والهدف من ذلك إيصاله إلى السعادة والرفاهية ، ولا يتأتّيان إلّا من خلال الارتباط به تعالى عبر العبادة والسير على المنهاج الإلـهيّ.

سبب الانتكاسات الإنسانيّة.

غير أنّ الإنسان ظلم نفسه وسار في طرق أُخرى لا تؤدّي به إلى السعادة ، ولا توصله إلى الأمان ، وذلك هو السبب للمآسي والانتكاسات المتكرّرة للإنسانيّة

---

(١) الإسراء ١٧ : ٧٠.

عبر تاريخها الطويل ، أي أنّ كلّ انتكاسة سببها الانحراف عن الطريق الإلـهيّ واتّباع الهوى ، إنّ نظرة بسيطة يُدرَك منها بأنّ ما تحقّق من مآسٍ للإنسانيّة يرجع إلى ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، فالكوارث التي مرّت على الإنسان لم توجب تخلّفاً له كما حصل من ظلم الإنسان لأخيه .

ونحن إذا ألقينا نظرة بسيطة على العالم العربيّ والإسلاميّ سنرى أنّ النصيب الوافر من التخلّف بإهدار حقوق الإنسان ، فالتعذيب وقتل الأبرياء واختفاء المعارضين والسجن بلا سبب والمحاكمات الصوريّة ، أنماط متعدّدة أوجبت التخلّف وجعلت الإنسان يرزح تحت ظلم أخيه .

تقدُم الإنسان حضاريّاً .

يُدرك من بحث الأسباب المؤدّية إلى تقدّم الإنسان بأنّ الأساس الأوّل للتقدّم هو احترام الإنسان ، فإذا احتُرِمَ فالتقدّم سيحدث باطّراد وإذا انتُهكت حقوقه وظُلِم فالتخلّف والتقهقر إلى الوراء نتيجة طبيعيّة لذلك .

أهمّيّة التكريم الإنسانيّ .

أبان القرآن الكريم الكرامة للإنسان . قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ ، وأوْلى النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام التكريم عناية كبيرة .

مظاهر تكريم الإنسان .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَالْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾** »(١) ، يشير الإمام عليه السلام إلى معنى في غاية العمق ، فالملائكة ـ الذين هم

---

(١) نهج البلاغة : ٤٢ (صبحي الصالح) .

﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾(١) ـ أقلّ رتبة من الإنسان ؛ لأنّ الله تعالى جعلهم وعهد إليهم بوصيّة في الخضوع والإذعان والسجود لتكريم الإنسان ، وسجودهم يُفصح عن مستوى الإنسان عند الله تعالى .

سبب تكريم الإنسان.

تكريم الإنسان بجعل الملائكة تسجد له لم يأتِ عبثاً واعتباطاً بل لكونه خليفة لله تعالى يقوم مقام المُستخلِف ، فأسبغ الباري تعالى عليه العظمة والجلال ، قال تعالى : ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ ﴾(٢)كناية عن جعله بمستوى من الكمال يستحقّ به التجلّة والاحترام حتّى من الملائكة ، غير أنّ ظلم الإنسان لنفسه بتخطّي المنهاج الإلهيّ واختيار المنهاج المخالف لم يُؤدِّ به إلى السعادة ، واتّباع الصراط المستقيم ﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٣)، والحال أنّ السير في الصراط المستقيم وفي طريق الحقّ تعالى هو الضمانة ، غير أنّ الإنسان تصوّر أنّ اتّباع الهوى والأخذ بما لديه يوصله للسعادة ، وتلك نظرة محدودة أدّت إلى عبوديّة الإنسان لأخيه الإنسان ، أمّا العبوديّة الحقّة في معناها الواسع فهي أن يتّبع الإنسان القانون الإلهيّ ، ويدع عبوديّة غير الله تعالى ، والاتّباع للنظم والقوانين الوضعيّة ، فالقانون إنْ اُستقي من شرع الله تعالى وخضع له الإنسان فقد خُضع للقانون الإلهيّ ، وإنْ استقي من نظمٍ لا تتلاقى مع المنهاج الإلهيّ فقد تحوّل الإنسان من عبادة الله إلى عبادة غيره .

نهى الله تعالى عن عبادة الأصنام والأوثان وعن اتّباع الإنسان فيما ابتدعه واختلقه بما لا يرجع إليه تعالى ، وجعل الإنسان مركز الكون وكرّمه ، ففرض احترامه على

---

(١) الأنبياء ٢١ : ٢٦ و ٢٧ .

(٢) السجدة ٣٢ : ٩ .

(٣) الأنعام ٦ : ١٥٣ .

الملائكة ليتّضح بأنّ الطريق المؤدّي إلى تقدّم الإنسانيّة والكون باحترامه، وأنّ الحَطّ من كرامته يؤدّي إلى التقهقر والرجوع إلى الوراء.

موجبات تخلّف الإنسان:

أكثر موجبات التخلّف لدى الإنسان في طريقين:

الأوّل: ترك السير في الصراط الإلـهيّ.

من لا يتّبع أمر الله ولا يسير في صراطه بل يتّبع طريقاً آخر سيتخلّف، خصوصاً لمن تأثّر بسواقٍ متعدّدة تُقوي ذلك:

الأُولى: السلطة.

إنّ من أعظم السواقي التي تمدّ الانحراف في مجال التعدّي على حقوق الإنسان السلطة التي لا تحكم بالقانون، وتتحوّل إلى سبُع ضارٍ يغتنم أكلّ الناس ويستحوذ على ما عندهم، فيصبح الناس قُطعاناً من الماشية يُستثمرون لصالح ذلك السبع الضاري، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**»(١)، والزيغ بالخروج عن القانون الإلـهيّ والاتّباع للسلطة الظالمة.

الثاني: الترفّع الاجتماعيّ.

قد لا يكون الخلل آتٍ من تغول السلطة، بل من الترفّع بالموقع الاجتماعيّ، وهو انحراف في تطبيق القانون بمعنى أنّ التطبيق له على بعضٍ دون آخر، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى أحد عمّاله، يوصيه بعدم الترفّع، فقال عليه السلام: «**وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ**

---

(١) نهج البلاغة: ٣: ٨٤.

الْحُقُوقِ»[١] ، أي لا تكن أرفع من الآخرين إذا أصبحت أميراً عليهم فتظنّ أنّ مستواك أعظم من سائر الناس .

الثاني : الأنانيّة وبخس جهود الآخرين .

السلطة والمسؤوليّة ليست تكريماً للإنسان بقدر ما هي تكليف إلهيّ ، ومن وصل إلى سُدّة الإمارة في المشروع الإلهيّ ينبغي أن يكون له الأهليّة والجدارة ، وبقدر ما يُجسّدهما يُصبح محلّاً للأمانة ، أمّا إذا قصّر في تطبيقه لمسؤوليّته سيصبح مطروداً مذموماً لأنّه لم يطبّق القانون . قال عليه السلام : « **وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمُ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ** » ، أي أنّ الناس إخوان في الدين ، وإذا لم يكونوا من دين واحد فهم كما قال الإمام عليه السلام : « **نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ** » ، أي أنّ الإنسانيّة قاسم مشترك فيما بينهم ، وقد اهتمّ النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ـ خصوصاً الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ بهذا الجانب ، وله تطبيقات متعدّدة من لدن الإمام عليه السلام ، قوله : « **وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ** » تأكيد منه عليه السلام على مسألة جِدُّ هامّة ، وهي أنّ من وصل إلى رتبة اجتماعيّة فتصوّر أنّه وصلها بجدارته ، وأنّ المجتمع لم يسهم في إيصاله إليها ، وتلك نظريّة مغلوطة شجبها القرآن الكريم في حديثه عن قارون ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي**﴾[٢] ، والصحيح أنّ من وهبه الله تعالى وتفضّل عليه لم يكن ذلك بجهد مستقلّ ، يرجع إلى ذاته فحسب دون عوامل متعدّدة شكّلت روافد أوصلته إلى ذلك ، لعلّ من أهمّ تلكم الروافد في إيصال الإنسان إلى الرقيّ والتفوّق أخوه الإنسان الذي شاركه في المنظومة العامّة ، الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والحقوقيّة ، أي أنّ من العوامل الإلهيّة للإنسان في تقدّمه مشاركة الغير ، وأنّ أي تقدّم أُحرز وحصل ، لم يكن

---

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٢٦ .

(٢) القصص ٢٨ : ٧٨ .

بمجهوده الشخصيّ فحسب، بل لإسهام الناس دخلٌ فيه، وهذه نظريّة غاية في الأهمّيّة توصّل إليها علماء الاجتماع في العصر الحديث.

نظريّة التنمية المستدامة.

ذكر العلماء نظريّة حديثة في التنمية سُمّيت التنمية المستدامة، يُعنى بها التطوير المستمرّ الذي لا يتوقّف عند حدود، وقد أعطى الله تعالى الإنسان القدرة في التقدّم والتطوّر دون حدّ، وكلّ مجتمع يحصل على تقدّم بقدر سعيه وما يخطوه من خطوات، قال تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**﴾[١].

عوامل التقدّم الإنسانيّ.

أفضل عوامل التقدّم لدى الإنسان ما يصبّ في رفع مستوى الإنسان على الأصعدة المختلفة، والتنمية المستدامة التي بحثها العلماء موضوعها الإنسان، أي أنّ تطور أيّ بلدٍ أو مجتمع يرتبط بتقدّم الإنسان، وبقدر تقدّمه في أي مجال من المجالات يتقدّم المجتمع، فإذا حصل تقدّم اقتصاديّ لبعض أفراده أسهم ذلك في تقدّم المجتمع اقتصاديّاً، وإن حصل تقدّم ثقافيّ تطوّر المجتمع ثقافيّاً، وهكذا الحال في جميع المجالات الأُخرى. إنّ الإسهام في التنمية المستدامة تنعكس آثاره الإيجابيّة على منظومة المجتمع ككلّ؛ لأنّ الإنسان بدؤها وانتهاؤها، فإنشاء المباني الكبيرة، وإنفاق الأموال على تعليم الإنسان، يحدث رفاهية له، يُحافظ عليها من خلال القوانين التي تُشرّع لتطويرها وتنميتها.

الإنسان محور التطوّر.

الإنسان محور التطوير والنماء، وقد أبان القرآن والروايات ذلك بوضوح. قال

(١) النجم ٥٣: ٣٩.

تعالى : ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ ، أي أنّ نسق السير التكامليّ للإنسان ينصبّ على التكريم والاحترام والحفاظ على حقوقه ، وأنّ تطوره الدائم يرتبط بالمحافظة على تلكم الحقوق .

مخالفة القانون تنافي التكريم .

تتجسّد مخالفة القانون في شخصيّة معاوية ، فعندما استولى جيشه على الماء منع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وجيشه منه في صفّين ، فقال الإمام عليه السلام كلمته المشهورة « **رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ** »[١] ، أي أنّ منطق القوّة يقابل بمنطق القوّة عندما لا تجدي قوّة المنطق ، وهو ما فعله الإمام عليه السلام ، وبعد أن استولى على الماء طلب بعض أصحابه منه عليه السلام أن يعاملهم بالمثل ويمنعهم الماء ، فرفض عليه السلام طلبه ؛ لأنّ الأمر خاضع لقانون إلٰهيّ لا يمكن التعدّي عليه ، والناس والحيوان سواء في هذا القانون ، ومخالفة القانون قد توجب الغلبة على الخصم ، لكنّها تُحوّل الإنسان من خليفة لله تعالى في الأرض إلى إنسان برغماتيّ يُحافظ على مصالحه وتحقيق أهدافه دون مراعاة لكرامة الإنسان في القانون .

حفظ كرامة الإنسان .

يريد الحقّ تعالى من خليفته الحفاظ على القانون وكرامة الإنسان من الانتهاك وإنْ اعتُدي عليه ، وهذا مستوى عال في الحفاظ على كرامة الإنسان يوصل إلى تطوّر دائم دون انقطاع بالمحافظة على القانون ، وقد تجسّد ذلك كنهج عامّ في سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام .

---

(١) نهج البلاغة : ١ : ١٠٠ .

القسم الثاني

مقوّمات تطبيق القانون

قال تعالى :

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾(١)

الإنسان محور التطوّر.

كرامة الإنسان مقدّسة في الديانات السماويّة عامّة ، وفي الدين الإسلاميّ بنحو خاصّ ، وهناك نصوص متعدّدة في الكتاب والسنّة تفصح عن كرامة الإنسان ، وقد أبانت آيات القرآن أنّه الخليفة من قِبل الحقّ تعالى ، وأُمرت الملائكة بالسجود له ، ويستفاد من ذلك تكريم الإنسان ، وكونه محور التطوّر الكونيّ باعتباره مُستخلَفاً من قِبله تعالى .

موجبات التنمية المستدامة.

ما حدث للإنسان والكون من مشاكل جُلُّها يرجع إلى الإنسان الذي لم يُراعِ مبدأ الاستخلاف من قِبل الله تعالى من ناحية ، ولم يسر على وفق القانون الإلـهيّ من ناحية ثانية ، ولم يقدّس كرامة الإنسان من ناحية ثالثة ، إنّ هذه الأُمور إذا طبّقت عاش الإنسان تنمية مستدامة ، وتعرّف على ما له من حقوق وما عليه من واجبات ،

(١) سورة ص ٣٨ : ٢٦.

وانتظمت الأُمور وسار الناس في الاتّجاه السليم.

أساس التميز الإنسانيّ.

أكّد الباري تعالى استخلاف الإنسان بنحو عامّ، وبعض أفراده بنحو خاصّ ـ الخلفاء الذين ورد النصّ عليهم ـ وأبان أنّهم كسائر الناس ﴿**وَقَالُوا مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً**﴾(١)، أي ليس هناك امتياز لأنبياء الله ورسله وخلفائه عن بقيّة الناس تجعلهم فوق القانون، بل امتيازهم في التجسيد التامّ والتطبيق الكامل للقانون الإلٰهيّ.

محاور الخطاب الإلٰهيّ لداود عليه السلام :

يتحقّق التجسيد التامّ للقانون من خلال المساءلة والتواصي بالحقّ، وقد وردت عن الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام تأكيدات مكرّرة على أهمّيّة ذلك، غير أنّ النصّ الذي استهللنا به الحديث فيه إيماءات متعدّدة على أهمّيّة المساءلة؛ إذ المخاطب نبيّ من أنبياء الله العظام، امتدّ مُلكه واتّسع حكمه، وأصبحت له قدرات فائقة وكبيرة، فهو نبيّ ومَلِكٌ ﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ**﴾(٢)، ولهذا الخطاب القرآنيّ محاور متعدّدة:

أوّلاً: الالتزام بالقانون.

تبيّن الآية أنّ داود عليه السلام لا يُمثّل ذاته، وفيها إيماءة جِدُّ هامّة، تُعبّر عن رؤية إلٰهيّة تختلف عن نظريّة الرأسماليّة الحديثة في أنّ الإنسان ليس بمسؤول من قِبل قوّة غير متناهية ـ خالق الكون ومبدأه ـ له الحقّ أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، بَيْد أنّ

---

(١) الفرقان ٢٥: ٧.

(٢) سورة ص ٣٨: ٢٦

الرسالات السماويّة تفصح بأنّ المستخلَف مسؤولٌ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾، وعليه أن يُراعي القانون ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾.

ثانياً: السعي لتطبيق القانون بنحو كامل.

ورغم أنّ الخليفة منصوب من قِبل الله تعالى ويتّصف بالعصمة، ولا يخطئ للتسديد الإلٰهيّ له، وذلك ما تحدّث عنه القرآن في حقّ النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[1]، غير أنّ الله تعالى أكّد لداود عليه السلام على عدم اتّباع الهوى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾، والتأكيد يحمل معنيين:

الأوّل: أنّ النبيّ إذا حكم فعليه أن يضع قواعد للحكم ولاستمرار الخلافة، بمعنى أنّ امتدادات الحكم قد لا تكون تحت سلطته المباشرة، بل لولاةٍ يمتثلون أوامره، وليس لهم عصمة مطلقة كالنبيّ، لذا أمر الله تعالى أنبياءه عليهم السلام ـ من باب (إيّاك أعني واسمعي يا جارة) ـ بعدم اتّباع الهوى؛ لأنّ المنصوب من قِبل النبيّ يُنسب حكمه إلى النبيّ، ولا بدّ أن يُراعي المنصوب عدم اتّباع الهوى.

الثاني: يشير إلى ما أبانه العلماء من باب (أنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين)، أي أنّ على النبيّ أن يراعي في أحكامه وتوجيهاته الأكمل، فلا يصدر منه الحسن، بل الأحسن، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ إشارة إلى وجوب مراعاة الأحسن بنحو دائم ومستمرّ، ولعلّ المعنى الأوّل أوْلى بحمل آية ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ عليه.

ثالثاً: عقوبة عدم تطبيق القانون.

ثمّ انتقلت الآية مبيّنة نتيجة عدم تطبيق القانون ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن

(١) النجم ٥٣: ٣.

سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ، أي أنّ عدم الاتّباع للقانون الإلهيّ يؤدّي إلى العاقبة الوخيمة عند الله تعالى .

العلاقة بين الحاكم والمحكوم :

هذه مسألة غاية في الأهمّيّة ، ونوضّح فيها أمرين :

الأوّل : الحوار مع الحاكم .

هناك تصوّر خاطئ لدى من يحكم بالقانون الإلهيّ ، هو أنّ حكمه بالقانون الإلهيّ غير خاضع للمساءلة والحساب ، وقد شُجب هذا التصوّر من النبيّ ﷺ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ، وأمروا الجماهير من الناس بمساءلة الحاكم والمسؤول لرفع مستواه ، ولئلّا يظنّ أنّه يمثّل سلطة مطلقة لا حدود لها ؛ إذ أنّ السلطة المطلقة لله تعالى فحسب ، وقد ذكرنا آنفاً أنّ المعصوم مع أنّه لا يُخطئ ، إلّا أنّ الرعيّة لها الحقّ في الحوار معه ، لا لأجل تسديده ، بل لأجل أن تصل الرعيّة إلى مستوى من النضج ، يُتاح به مساءلة المنصوب من قِبل المعصوم في أطراف الدولة ، وليس المطلوب من كلّ شخص أن ينظر إلى ما وراء الغيب من خلال نافذة ، يُتاح له الاطّلاع على عالم الواقع ، فذلك تسديدٌ خاصٌّ بالمعصوم ، غير أنّ المنصوبين من قِبله لم يصلوا إلى هذه الدرجة ، وإذا تمكّنت الرعيّة من مساءلة المعصوم فمن الأَوْلى مساءلة غيره ، ووضعه تحت المراقبة .

الثاني : عدم التهيّب من الحاكم .

وله أهمّيّة جدُّ كبيرة . قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه في صفّين : « **وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي ، وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي** »[١] ، أي لا تتكلّموا معي

(١) نهج البلاغة : ٢ : ٢٠١ .

لهيبة مقامي وعظمة شأني وعلوّ رتبتي ، فلا يتجرّأ أحد على الحديث معي لأنّي المسؤول الأوّل في الدولة ، هذه مسألة هامّة لأنّ بعضٌ من يحكم يرى نفسه كالباري تعالى ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾[1] ، غير أنّ هذا التصوّر شُجِب في الروايات الشريفة ونُهي عنه ، وأُكِّد على الحوار والشفّافيّة مع هرم الدولة حتّى المنصوص عليه من قِبل الله تعالى ، فضلاً عن المنصوب من قِبله .

النبيّ يربّي أصحابه على الحوار .

علّم النبيّ صلى الله عليه وآله الصحابة الحوار لرفع مستواهم ، فاستشارهم في الأُمور السياسيّة والعسكريّة ، بَيْد أنّه صاحب القرار الأخير ، وهذا موجود في الدول الحديثة ، فلابدّ أن يكون مركز القرار بيد شخص لئلّا تتشتّت الأُمور ، والأمر الذي يُنَفّذ يتمّ باستشارة وحوار ، كما فعله النبيّ صلى الله عليه وآله مع أصحابه في حفر الخندق في غزوة الأحزاب ، وغير ذلك من المسائل ، فقد كان عليه السلام يستشير في الأُمور السياسيّة والاجتماعيّة والعسكريّة ، وينفّذ بعض الآراء التي تصل إليه ، لا لكونه لا يعلم بها ، فهو مسدّد ، وإنّما لرفع مستوى الأُمّة ، وإيصالها إلى النضج السياسيّ والفكريّ ليتاح للجماهير مساءلة أي إنسان بما يُحقّق تنمية مستدامة وتطوّر دائم .

الحاكم ممثّل الله في الأرض .

أخطأ كثير ممّن حكم بالدين في العالم الإسلاميّ وعند الشعوب الأُخرى الغربيّة والشرقيّة ، وأيضاً في الحضارات القديمة ، فمن حكم معتقداً أنّه مُنَصّبٌ من قِبل الله تعالى مارس الجبروت والطغيان ، مع أنّه كان ينبغي له أن يُمثّل الله تعالى في إظهار الفقر والاحتياج إليه ، وإعطاء الناس حقوقهم .

---

(١) الأنبياء ٢١ : ٢٣ .

مخالفات الحاكم الظالم.

في تراثنا الإسلاميّ المهول وغير المقبول ، قال بعض الولاة : « إنّ السواد بستان قريش »(١) ، أي أنّ له الحقّ المطلق في التصرّف في الأموال التي يجبيها كيفما يشاء دون مساءلة ، وهذه تصريحات لا تنسجم مع روح القانون والمسؤوليّة الملقاة على عاتق المسؤول من قِبل الله تعالى والدولة ، كما أنّ من حكم بالدين وباسم الكنيسة في الغرب أساء لهما ، وكذلك الحال في العالم الإسلاميّ ، الأمر سواء ، قال أحد ملوك بريطانيا : « القانون في فمي ، وكثيراً ما يكون سرّاً كامناً في صدري » ، يريد بهذا أنّه لا يستطيع أحدٌ أن يسأل عن القانون ؛ لأنّ القانون هو ما يتحدّث به.

وقال أحد القادة الأوروبيّين في خطاب له : « إنّ غليوم الأوّل قد أقام كنزاً واسع النطاق يجب علينا حفظه مقدّساً ، هذا الكنز هو المُلك المستمدّ من معونة الله تعالى ، والقائم على المسؤوليّة العظمى أمام الخالق دون سواه ، تلك المسؤوليّة التي لا يمكن لأيّ وزير أو مجلس نوّاب أن يرفعها عن عاتق وليّ الأمر ؛ لأنّها خارجة عن صلاحيّتهم ».

حقوق الإنسان في العصر الحديث.

هناك شعارات كبيرة في العصر الحديث ، فمنذ أن حدثت الثورة الفرنسيّة ، وأُعلنت وثيقة حقوق الإنسان ، كانت الشعارات برّاقة وكبيرة ولا زالت إلى يوم الناس هذا باعتبار التمدّد الهائل لسلطة الإعلام ، وكثير من الدول تتحدّث عن حقوق الإنسان وأهمّيّة مراعاتها بكلام جميل ، إلّا أنّ التطبيق على خلاف ذلك ، بمعنى أنّ الحقوق بمنأى من الناحية النظريّة عن التطبيق ، إنّ حقوق الإنسان منتهكة بذريعة الاستغلال لبعض الشعوب والسيطرة عليها.

---

(١) راجع الكامل في التاريخ : ٣ : ١٣٩.

الجمهورية الفرنسيّة وحقوق الإنسان.

القوانين الموضوعة جميلة عند قِراءتها إلّا أنّ التطبيق مختلف، فالجمعيّة الفرنسيّة هي أوّل من وضعت وثيقة حقوق الإنسان في العصر الحديث، وأُعلنت على أساسها الجمهوريّة الفرنسيّة الأُولى، وفي هذه الوثيقة نصّان جميلان:

الأوّل: «يولد الناس أحراراً متساويين في الكرامة والحقوق، مزوّدين بالعقل والضمير، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الأخوّة»، هذا النصّ أوّل من خالفه الفرنسيّون أنفسهم؛ إذ أنّ هناك مآسٍ أحدثوها في القارة السمراء والجزائر. إذن هناك فارق جوهريّ بين النظريّة والتطبيق.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث من مجازر في راوندا بين الهوتو والتوتسي، المنظر مروّع، مع أنّ بعض القادة والجنرالات من الفرنسيّين شاهدوا الناس يموتون ولم يهتموا بذلك، ولم يقوموا بمساعدتهم، وجعلوا المساعدة خاصّة بالأوروبيّين، وكان بعض أصحاب الضمير منهم يتألّم لهذا الواقع من التفرقة بين الناس في نهاية القرن العشرين، أي أنّ ما حدث في راوندا شاهدٌ على التمييز العنصريّ في حقوق الإنسان.

الثاني: «لكلّ إنسان أن يتمتّع بكافّة الحقوق والحرّيّات الواردة في هذه الوثيقة وذلك بدون أي تمييز، وخاصّة ما كان بسبب الجنس واللون والذكورة أو الأُنوثة واللغة والدين والرأي السياسيّ، أو أي رأي خلافه، أو الأصل الوطنيّ الذي نزح عنه الفرد، أو الأصل الاجتماعيّ، وحالة الغنى والفقر والمركز العائليّ، أو أي مركز خلافه» كلّ هذا مُلغى، ولنأتي إلى عالم الواقع، فهذه الوثيقة كُتبت في (١٧٨٩/٨/٢٦م)، ومرّ عليها أكثر من مائتي سنة، بينما نعيش في هذا العصر ونجد الامتيازات أكثر ممّا يتصوّره الإنسان، فهناك شعوب بأسرها ترزح تحت الفقر والجهل والمسحوقيّة على أساس تمتّع بعض أصحاب الامتيازات.

الممثّل الحقيقيّ للسلطة الإلـٰهيّة .

في الشرائع السماويّة بنحو عامّ نجد المجسّدين الحقيقيّين لهذه الشرائع كالنبيّ داود عليه‌السلام الذي ذكرناه ، والمصطفى عليه‌السلام والأئمّة من أهل البيت عليهم‌السلام وسائر الأنبياء والرسل عليهم‌السلام الذين جسّدوا قوانين السماء ، وعاش الإنسان العدالة والمساواة في كنفهم .

مأساة التطبيق الخاطئ للدين .

إنّ مآسي الإنسان قد تتأتّى من التطبيق الخاطئ للدين ، فجعل من يمثّل الدين إلـٰهاً لا يُسأل عن فعله خطأ فادح ، أودى بالبشريّة إلى الفقر والجهل والتخلّف ، كما حصل في عالمنا الإسلاميّ ، فإنّ الكثير من السلاطين حكموا باسم الدين ، مع أنّهم بمعزل عنه ، وكذا الحال في إرجاع المسؤوليّة إلى الإنسان ليكون صاحب السلطة المطلقة مع أنّه حُرٌّ بحدود ، ومسؤول من قِبل الله تعالى ، غير أنّ القوانين الحديثة أرجعت الأُمور إلى الإنسان فتغوَّل حتّى أصبح إلـٰهاً ، يرى المصالح التي ترجع إلى ذاته هي الأهمّ بالحفاظ من المصالح التي نصّ عليها القانون وكتبت وثائق وبنود .

ما أحوجنا إلى وقفة تأمّل نستنهض بها مجتمعاتنا لمراعاة القانون من ناحية ، وفهم ما لها من حقوق وما عليها من واجبات من ناحية أُخرى .

القسم الثالث

القانون مبدأ العدالة الاجتماعيّة

قال تعالى :

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ

أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾(١)

أوضحنا الأهمّيّة الفائقة للقانون، من خلال مناحٍ ثلاثة:

الأوّل: توقّف التنمية المستدامة على تكريم الإنسان، وكونه المحور الأساس في التنمية.

الثاني: المراعاة الدقيقة لتطبيق القانون.

الثالث: أنّ أي خلل في تطبيقه يُؤثّر سلباً في المجتمع فلا يتقدّم، بل يتخلّف إلى الوراء متقهقراً.

إرساء قواعد القانون:

تبيّن الروايات والأحاديث عن النبيّ ﷺ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام أنّ على الإنسان أن يلتفت إلى مراعاة القانون، وأنّ اختراقه ينشأ من الرؤية غير المشروعة الآتية من التمايز على أساس اختلاف الجنس واللون والمنصب، وما إلى ذلك، ويصعب على المجتمعات أن تتخلّى عن الامتيازات لتسير وفق القانون، وقد سعى النبيّ ﷺ جادّاً في إرساء قواعد القانون في محورين:

الأوّل: التطبيق للقانون.

لم يدع ﷺ في هذا المحور امتيازاً يؤثّر في تطبيق القانون، فمن سرق وهو شريف لن يتمكّن من الهرب من العقوبة، وإذا زنت امرأة من قبيلة شريفة نُفِّذت فيها العقوبة.

الثاني: المساواة أمام القانون.

كان ﷺ دقيقاً في إرساء المساواة في المنحى الأخلاقيّ، لا يريد للناس أن ينظر

(١) النساء ٤: ٥٨.

بعضُهم إلى بعضِهم الآخر من خلال اختلاف الرتبة ، الناشئ من اللون أو الانتماء القبليّ والثروة أو الوظيفة والمنصب ، وما إلى ذلك من الامتيازات ، لذا كان عليه السلام يُندّد بذلك أمام الآخرين ، وعندما قال أبو ذرّ في مجلس النبيّ صلى الله عليه وآله لشخص : «يا ابن السوداء» ، قال صلى الله عليه وآله : «**ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل**»[1] من جاء من أُمّ سوداء لا يختلف في الامتياز عمن وُلِد من أُمّ بيضاء ، والتمايز بتقوى الله والعلم .

المساواة في تطبيق القانون.

كان النبيّ صلى الله عليه وآله يساوي في القانون بين الجميع في المنحى التطبيقيّ ، لا يُريد للقانون أن يُطبّق على الضعفاء فحسب ، بل يريد إرساء قواعد القانون حتّى على نفسه ، مع أنّه لا يصدر منه خطأ ، إلّا أنّه صلى الله عليه وآله كان يرمي من توجيهاته وأوامره إبانة المساواة وجريان القانون حتّى على نفسه ، قال صلى الله عليه وآله : «**أيّها الناس ، إنّه قد دنا منّي خلوف من بين أظهركم ، ولن تروني في هذا المقام فيكم ، ألا فمن كنت جَلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليستَقِدْ ، ومن كنتُ أخذتُ له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عِرضاً فهذا عِرضي فليستقِدْ**» إنّه صلى الله عليه وآله لم يأخذ مالاً بغير حقّ ، ولم يكن سبّاباً ولا شتّاماً ، وإنّما كان يريد التأكيد على أنْ لا امتياز لأحدٍ أمام القانون الإلٰهيّ ، وهذه دعامة من دعائم الفكر الإسلاميّ في إرساء مبادئ القانون .

ثمّ واصل عليه السلام : «**ولا يقولنّ قائل : أخاف الشحناء من قِبَل رسول الله**» ، أي إذا أخذ أحد حقّه من رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه لا يحقد عليه ، ثمّ قال : «**ألا وإنّ الشحناء ليست من شأني ، ولا من خُلقي ، وإنّ أحبّكم إلَيّ من أخذ حقّاً إن كان له علَيّ ، أو حَلَّلَنِي**

---

(١) جامع السعادات : ١ : ٢٩٥.

فلقيتُ الله عزّ وجلّ وليس لأحدٍ عندي مظلمة »[١] يطلب النبيّ ﷺ أحد أمرين: إمّا القَود وتطبيق القانون، أو براءة الذمّة من صاحب الحقّ.

أسباب تقهقر الأُمم.

أبان النبيّ ﷺ سبب تقهقر ورجوع الحضارات السابقة إلى الوراء، وأنّه متى كان التطبيق جادّاً فالاستمرار والتطوّر للتنمية المستدامة، ومتى تخلّف تطبيق القانون بدأت الآفة تنخر جسم ذلك الرقيّ الاجتماعيّ حتّى يتهدّم ويرجع إلى الوراء ويتوقّف تماماً، قال ﷺ: «**إنّما أهلك الذين من قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ**»[٢]، أي هناك امتياز للشرف والرفعة والمنصب والوجاهة الاجتماعيّة ولا يُتاح للقانون أن يطبّق عليهم.

التطبيق للقانون في الإسلام.

طبّق الإسلام القانون على الناس سواسية، وتبيّن الروايات متى يكون القاضي مع الله تعالى ومتى يحيد عن الصواب ويخرج عن جادّة الاستقامة، وأنّ الملاك في ذلك هو مراعاة القاضي لله تعالى وتطبيقه للقانون الإلـهيّ، وبمجرّد أن يزيغ به الهوى يضلّ عن جادّة الاستقامة وينحرف عن الصواب، قال ﷺ: «**الله مع القاضي ما لم يَجُر، فإذا جار تخلّى الله عنه ولزمه الشيطان**»[٣]، القضاء مستقلّ عندنا في الشريعة الإسلاميّة كما هو الحال لدى السلطات الحديثة، والقاضي الذي يظلم يحيد عن طريق الاستقامة والسير فيما يؤدّي إلى الصواب.

---

(١) البداية والنهاية: ٥: ٢٥١.

(٢) صحيح البخاري: ٤: ١٥١.

(٣) سنن الترمذي: ٢: ٣٩٥.

الاستقامة في تطبيق القانون.

وفي المنحى الأخلاقيّ فإنّ النبيّ ﷺ لم ينهَ بعض أصحابه أو بعض الناس عن التنابز والكلام الذي يشعر بانحطاط رتبة الإنسان فحسب ، بل أبان أنّ من بدأ يفكّر بسلب حقّ الغير في خَلده فهو ضالّ ؛ إذ قد يؤدّي به الفكر إلى ارتكاب جانحة ، قال ﷺ : « **أَفْضَلُ الْجِهادِ مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهُمُّ بِظُلْمِ أَحَدٍ** »(١) ، تبيّن المقارنة بين جهاد وجهاد آخر أنّ أفضل الجهادَين الاستقامة من الناحية النفسيّة ، بمعنى أن لا يفكّر بالظلم ، بل بإرساء قواعد العدل.

عقوبة التجاوزات القانونيّة.

ثمّ أبان ﷺ أنّ من اقترف ظلماً في حقّ الغير باستغلال القانون فهو وإن لم يستطع أحد إدانته ، وفرّ من العدالة في الدنيا ، لن يهرب من محكمة الله تعالى في يوم القيامة ، قال ﷺ : «**ما من عبد يظلم رجلاً مظلمة في الدنيا ، لا يقصّه من نفسه ، إلّا قصّه الله تعالى منه يوم القيامة** »(٢) ، لا يمكن لأحد أن يفلت من القانون الإلٰهيّ ، وهناك استمرار لإرساء وتطبيق القانون بما يعمّ عالم الغيب في الآخرة ، وهروب الإنسان في الدنيا لن ينجيه من الله تعالى فهو له بالمرصاد في عالم الآخرة.

منهج القرآن في تطبيق القانون.

أكّد ﷺ تجسيد المنهج القرآنيّ مبيّناً أنّ آيات الذكر الحكيم لمصلحة الإنسان واستمرار حياته ورقيّه ، وبذلك تستمرّ التنمية بأفضل نحو ، قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ**

---

(١) المحاسن : ١ : ٢٩٢.

(٢) كنز العمّال : ٣ : ٥٠٢.

ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴾(١) طبّقه النبيّ ﷺ من خلال محور من محاورها وهو ﴿**وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾، قال ﷺ: «**لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يُصب دماً حراماً**»(٢) يستطيع الإنسان أن يرجع إلى الله ويئوب تائباً، ويقبل الله تعالى توبته، ما لم يُصب الدم الحرام، أمّا إذا أصاب الدم الحرام كان بمنأى عن السير في جادّة الصواب، وبقى مذموماً مطروداً. قال ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**»(٣) الدنيا بخيراتها أقلّ من أن يُقتل الرجل المسلم بغير حقّ. قال ﷺ: «**كلّ ذنب عسى الله أن يغفره إلّا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً**»(٤) يريد الباري تعالى للإنسان أن يؤمن به، وأن يراعي القانون الذي جعله في رتبة الإيمان بالله تعالى، ومن آمن بالله بلسانه دون أن يطبق القانون فإيمانه نظريّ بحت، لم يأخذ بُعداً تطبيقيّاً في عالم الخارج، قال النبيّ ﷺ: «**وَاللهِ الَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَرِكُوا فِي دَمِ مُسْلِمٍ، أَوْ رَضُوا بِهِ، لَأَكَبَّهُمُ اللهُ عَلىٰ مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ**»(٥)، فسفك الدم الحرام موجب لاستحقاق العقاب الإلٰهيّ.

تطبيق القانون عند الإمام عليّ عليه السلام.

أبان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حرمة دم المسلم في العهد الذي كتبه لمالك الأشتر. قال عليه السلام: «**إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعىٰ لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلَا أَحْرىٰ بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ**

---

(١) الفرقان ٢٥: ٦٨ و ٦٩.

(٢) كنز العمّال: ١٥: ٢٤، الرقم ٣٩٩٠٧.

(٣) المصدر المتقدّم: ١٩، الرقم ٣٩٨٨١.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ٤: ٣٥١.

(٥) ثواب الأعمال: ٢٧٩.

حَقِّهَا»[١]، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة.

تطبيق القانون بقاء للحكم.

نلحظ أنّ زوال الحضارات والحكومات بالظلم، وأنّ دوام الحكم وبقاءه بالعدل، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**اعْدِلْ تَحْكُمْ**»[٢] الكفر بمبادئ السماء مع إرساء قواعد القانون والعدالة الاجتماعيّة يوجب استمرار الحكم، والعكس من ذلك لو كان ثمّة إيمان نظريّ مع مجانبة للقانون في المنحى التطبيقيّ فإنّ ذلك سبب لزوال الحكم.

القسم الرابع

مقوّمات تطبيق القانون

قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٣]

معالم سلوكيّة في شخص النبيّ صلى الله عليه وآله:

النبيّ صلى الله عليه وآله رحمة مهداة لكلّ عوالم الوجود، وليس للإنسانيّة فحسب، فكلّ ما

---

(١) نهج البلاغة: ٤٤٣ (صبحي الصالح).

(٢) مستدرك الوسائل: ١١: ٣١٩.

(٣) آل عمران ٣: ١٥٩.

سوى الله تعالى يستفيد من وجوده صلى الله عليه وآله، فهو أكمل الخلق ولا يُدانى في كماله. وعندما ننظر إلى سيرته صلى الله عليه وآله نجده قدّم البشريّة في مسارها نحو التكامل أشواطاً بعيدة، فلم يُتح للإنسانيّة قبله أن تصل إلى ما وصلت إليه، وبمناسبة ذكراه العطرة نسلّط الضوء على ملامح عامّة من شخصيّته صلى الله عليه وآله في ضوء الآية المباركة التي استهللنا بها الحديث، والتي أوضحت بعض معالم شخصيّة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وسنتناولها على التوالي:

الأوّل: الرفق والرحمة.

بدأت الآية الحديث عن خصال النبيّ صلى الله عليه وآله بسمةٍ ذات أهمّيّة بالغة هي الرحمة والشفقة واللطف ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾، فكانت الرحمة واللطف في تعامله صلى الله عليه وآله مع الجميع حتّى مع من أساء إليه، فيسعى لاستنقاذ الناس وإيصالهم إلى مبادئ الخير وقيم الفضيلة، ورفع مستواهم من الجهل المحيط بهم.

وهناك نماذج متعدّدة في سيرته صلى الله عليه وآله دلّت على رحمته، نستعرض بعضاً منها:

النبيّ مع جاره اليهوديّ.

من تلك النماذج ما كان يفعله صلى الله عليه وآله مع بعض جيرانه من اليهود ممّن أساء له، ولمّا علِم صلى الله عليه وآله بمرضه حيث افتقد إساءته، فما كان منه صلى الله عليه وآله إلّا أن زاره.

موقف مع أهل مكّة.

وعندما فتح مكّة، وأصبح قادة المشركين في قبضته، وعلى رأسهم أبو سفيان، الذي أظهر العداء للإسلام والمكر للمسلمين، عفا عنه، وساوى أبا سفيان مع غيره من الناس، فقال صلى الله عليه وآله: «**مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ، وَأَلْقىٰ سِلَاحَهُ، أَوْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ، فَهُوَ آمِنٌ**»(١)، وأراد صلى الله عليه وآله أنّ الأمان يشمل الجميع حتّى من دخل بيت ألدّ أعداء

---

(١) بحار الأنوار: ٢١: ١١٧.

الإسلام سيكون آمناً ؛ إذ قد يتوهّم بعضٌ أنّ بيت العدوّ الماكر للإسلام بالسوء لا يساوي بقيّة البيوت ، ولكنّ النبيّ ﷺ ساواه بالبقيّة ، وهذا خلق كريم منه ﷺ ، فرحمة النبيّ ﷺ وشفقته كانت شاملة للجميع .

رحمة النبيّ بالبشريّة .

وعندما تتحدّث بعض آي القرآن الكريم أنّه ﷺ ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾(١)، وليس معنى ذلك اختصاص رحمته بالمؤمنين فحسب ، وإنّما لكونه مظهراً لصفات الحقّ تعالى ، والله رحمان رحيم ، فرحمانيّته تعمّ جميع عوالم الوجود ، ورحيميّته تختصّ بالمؤمنين ، أي أنّ المؤمن له مزيد عناية من الله تعالى ، والنبيّ ﷺ يتعامل بمكارم أخلاقه مع كافّة الخلق ، غير أنّ له مزيد عناية وشفقة خاصّة بالمؤمنين .

مبدأ الشفقة عند النبيّ ﷺ .

وعندما يُنظر إلى هذه الجنبة الهامّة في شخصيّته ﷺ جنبة اللطف والرحمة والشفقة في تعامله مع اُولئك المتعجرفين الذين كادوا الإسلام ، فلم يتعامل بمنطق القوّة ويستأصل شأفتهم ؛ لأنّه ﷺ يختلف عن السياسيّين ؛ إذِ السياسيّ همّه الوصول إلى مآربه تحت أي عنوان ، انطلاقاً من مبدأ الغاية تبرّر الوسيلة ، غير أنّه ﷺ وسائر الأنبياء والرسل يريدون أن يوصلوا الإنسانيّة إلى شاطئ الأمان والرحمة والتكامل ، وما دام هناك بصيص أمل يمكن للإنسان أن يتكامل من خلاله ، سوف يتعامل النبيّ ﷺ برفق ورحمة ، وهكذا كان ديدنه ، وبذلك يُعرف السرّ وراء تعامله الذي كان يقوم على مكارم أخلاقه الممدوح بها في القرآن الكريم ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(٢).

---

(١) التوبة ٩: ١٢٨.

(٢) القلم ٦٨: ٤.

الثاني: الجاذبيّة في الخُلق النبويّ.

يبتعد الإنسان عمّن لا يحسن إليه. قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَحْسِنْ إِلىٰ مَنْ شِئْتَ وَكُنْ أَمِيرَهُ**»(١) وطالما استعبد الإحسان إنساناً، فالنفوس جُبلت على حبّ من أحسن إليها، والله تعالى أودع الفطرة الإنسانيّة الميل والحبّ للمحسن، والنبيّ صلى الله عليه وآله يريد للضالّين البعيدين عن الدين الإسلاميّ أن يصلوا إلى شاطئ الخير ورحمة الإسلام الواسعة، ولن يتأتَّ ذلك إلّا من خلال مكارم الأخلاق، فلم يتعامل صلى الله عليه وآله بمعاملة النِدّ التي تُبعد الكثير عنه، كما أبان ذلك القرآن الكريم ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾.

الثالث: الصفح والعفو.

تواصل الآية الحديث عن سمات النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ**﴾.

العفو عن الآخرين حتّى من أساء خلقٌ رفيعٌ، لا يصل إليه إلّا النادر من الناس؛ لأنّ الإنسان مهما تكامل وارتقى في درجاته الأخلاقيّة فهو مُعَرّض لأن يصدر منه الخطأ إلّا من عصمه الله تعالى.

وتعامل الناس مع من أخطأ على ضروب متعدّدة أفضلها التعامل الذي يتّسم بالعفو والصفح، والنظر إلى من صدرت منه الإساءة وكأنّ الغالب على أحواله الحسن، فلا يُنظر إليه من خلال الإساءة وإنّما يُغطي على تبعته لرفع مستواه، والأخذ بيده برفق إلى مرتبة أعلى، وهذا ماكان يمارسه النبيّ صلى الله عليه وآله طبقاً لتوجيه الحقّ تعالى ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ**﴾، وليس العفو عنهم فحسب، بل ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾، والاستغفار لهم طلب من الله تعالى أن يُغطّي على تبعاتهم، ليكون صلى الله عليه وآله واسطة في الفيض الإلـهيّ الواصل إليهم.

---

(١) غرر الحكم: ٣٨٥، الرقم ٨٧٧٧.

أُسلوب النبيّ ﷺ في معالجة الخطأ.

من خُلقه ﷺ غضّ الطرف عن الإساءة ، ولم يكن ذلك في إطار المجتمع الخارجيّ فحسب ، بل كان يُجسّد العفو في سلوكه الأُسريّ ، ولعلّ ما ورد في قضيّة بعض أزواجه عندما أنبأها ببعضٍ ممّا أُنبأ به وأعرض عن بعض ، يبيّن لنا كيف كان يتعامل ﷺ مع من يسيئ ؛ ذلك أنّ بعض الناس يُبرز جميع السلبيّات للغير لمعالجة الإساءة ، بَيْد أنّه ﷺ يذكر طرفاً منها ليرفع من مستوى المسيئ ، وذلك من مكارم خُلقه العظيمة ، فهو ﷺ يُركّز على الجانب الإيجابيّ في بناء الإنسان ، ومن خلاله يتضاءل الجانب السلبيّ فيسمو الإنسان في مساره إلى الله تعالى ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾ ، فيعفو ﷺ ويصفح ويُسدل ستاراً على الإساءة التي تصدر من الغير ، ويبتهل لاستمطار الرحمة الإلٰهيّة لتشمل المسيئ ، هذه المكارم جذبت العالم إليه .

الرابع : تأصيل مبدأ الاستشارة.

لم يكتفِ النبيّ ﷺ بالتأكيد على الخلق الحسن ، بل دأب على تثبيت مبدأ الاستشارة ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ**﴾ ، ومع أنّ النبيّ ﷺ ليس بحاجة للاستشارة ، فهو أكمل الخلق ، لا يدانيه أحدٌ في فكره ورجاحة عقله ، ويرى ما لا يراه الغير بتسديدٍ من قِبل الله تعالى ، بَيْد أنّه يريد الرُقيّ بشخصيّة الإنسان ، ورفع مستوى الناس الذين يتعامل وإيّاهم وكأنّهم يماثلونه كفاءةً ، فيستشيرهم في الأُمور وهو الأعلم بعواقبها ، فلا يُلغي الأطراف الأُخرى التي تتعامل وإيّاه .

رسم معالم مستقبل الأُمّة.

إنّ استشارة الغير تجعل المستشار على جانب من الأهمّيّة والثقة بنفسه ،

والنبيّ ﷺ يرسم معالم المستقبل لمن يأتي من بعده لينصح من يتولّى أمراً من الأُمور أن لا يُلغي غيره، بل يجعل الاحترام الجمّ لمن يتعامل معه.

تطبيق مبدأ الاستشارة.

طبّق ﷺ مبدأ الاستشارة في اُمور متعدّدة، عسكريّة واجتماعيّة وسياسيّة، فاستشار بعض أصحابه أكثر من مرّة، ففي سيرته عندما أنبأه الله تعالى ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**﴾(١) علِمَ ﷺ أنّ الظفر سيتحقّق إمّا بالعِير أو بالنفير، ولكنّه ﷺ مع ذلك أجرى استشارات متعدّدة مع أصحابه لرفع مستواهم ولجعلهم يؤمنون بأهمّيّة الحرب لأعداء الله تعالى في بدر، وهذا مستوى رائع جميل في شخصه الكريم ﷺ.

---

(١) الأنفال ٨: ٧.

أُسس التقدّم والنجاح

القسم الأوّل
الشباب واستغلال أسباب التقدّم

قال تعالى :

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ *
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

هناك أُسس تُسهم في بناء الإنسان وتقدّمه ونجاحه في عالمي الدنيا والآخرة، أي في عالمي القيم والمادّة، وهذه الأُسس مفيدة للشباب وغيرهم، غير أنّها أكثر فائدة لمن هو في مقتبل عمره باعتبار أنّ فترة الشباب لها الطاقة الخلّاقة، وكلّما كبر الإنسان واشتغل بمسؤوليّات قلّ فراغه وضعفت طاقته، بينما في فترة الشباب يمكن استثمار تلك الطاقة الهائلة في البناء الذاتيّ والتقدّم الكبير.

التداخل بين روافد التقدّم الإنسانيّ.

في الماضي إذا أراد المرء أن يستعرض الأُسس التي تُسهم في تقدّم الإنسان على أكثر من صعيد، نصح الشابّ بالاهتمام بقراءة كتب الأخلاق، غير أنّ التقدّم المعرفيّ، والتجارب الكثيرة، وتداخل علوم متعدّدة، أصبح لها مدخليّة في

تقدّم الإنسان، وجعل علم الأخلاق وحده لا يلبّي ما يمكن أن يقدّم كأُسس للنجاح، وأصبح علم الأخلاق رافداً من الروافد إلى جانب علوم أُخرى لها أهمّيّة في تقدّم الإنسان وازدهاره.

عوامل التقدّم الإنسانيّ:

نشير باقتضاب إلى أنّ ما يُسهم في تقدّم الإنسان لا يقتصر فيه على مفردات محدودة، فهناك أُمور كثير تُسهم جميعها في تقدّمه يمكن أن نستعرضها بشيء من الاختزال؛ إذ أنّ كلّ مفردة منها إذا أراد الباحث أن يتحدّث عنها بنحو مستقلّ احتاج إلى كتاب ومحاضرات متعدّدة، وقد استعرضنا بعض ما له أهمّيّة في هذا المجال في أحاديث سابقة.

الأوّل: علم الأخلاق وعلم الإدارة.

ذكرنا أنّ علم الأخلاق له أهمّيّة في تقدّم الإنسان، وأنّه لا يفي بكلّ ذلك في عصرنا الراهن، فهناك متطلّبات أساسيّة يحتاجها الإنسان في تقدّمه ونجاحه، ومن أراد أن يسعَ نحو كماله فإنّ علم الأخلاق لن يلبّي الحاجة الدائمة والمستمرّة لتقدّمه، بل يحتاج إلى علم الإدارة، فالحياة لها متطلّبات كثيرة، من أهمّها إدارة الإنسان لنفسه وماله ووقته، فإذا كان لم يلمّ بشيء من علم الإدارة لن يستطيع أن ينجح في حياته، ولن يستطيع أن يتقدّم مادّيّاً ومعنويّاً. إنّ الإنسان كيان عظيم وكبير، وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك، قال:

وتحسب أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر(١)

أي أنّ الإنسان صغيرٌ في حجمه، كبير في محتواه، وله أبعاد مختلفة، كلٌّ منها

---

(١) ديوان أمير المؤمنين عليه السلام: ٥٧.

بحاجة إلى علوم شتّى تُسهم في تكامل وبناء ذلك البعد ، وقد كتب العلماء بحوثاً معمّقة لعلّ من أهمّها (كتاب الإنسان ذلك المجهول) الذي كتبه الدكتور (ألكسيس كاريل) ، فالكتاب قيّم يشرح أبعاد الإنسان الكبيرة ، ويشير إلى أنّه مهما توغّلت في أبعاده سوف تجد أنّك لا تزال على الساحل لم تصل إلى البحر ، فضلاً عن الغطس في أعماقه ، فالأبعاد المختلفة للإنسان تجعل من يريد أن يتعرّف على أُسس النجاح بنحو مختصر لن يستطيع أن يصل إلى الغاية ، وقد يخلّ الاختصار بالمطلوب ، والأمر ليس كالأكلات السريعة باعتبار أنّ الحياة تغيّرت في وتيرتها فأصبحت سريعة ويريد بعض الناس الأكلات السريعة لتنسجم مع سرعة الحياة ، فيحسب أنّ نمط التعلّم على هذا النحو ، والحال أنّ الأمر مختلف ، وعلى من يريد أن يتعلّم المعرفة المختصرة أن يعي أنّها جرعة مفيدة له بنحو مؤقّت ، والفائدة الكبيرة لمن أتقن المهارات وتشكّل له زاد يأخذه باستمرار .

الثاني : تجسيد القواعد النظريّة في الحياة العمليّة .

وأُركّز هنا على نقطة مهمّة أشار إليها علمائنا في نصائحهم لتلامذتهم ، وهي مفيدة جدّاً ، وهي أنّ العلم لا يكفي وحده ، فمن تعلّم أُسس وقواعد النجاح دون أن يجسّدها في ذاته فلن يستفيد منها ، أي أنّ المعلومة وحدها لا تكفي ولا بدّ من تفعيلها في الواقع الشخصيّ ، فما أكثر الذين يمتلكون معلومات وهم غير ناجحين في حياتهم ، فالنجاح في الحياة لا يقتصر على العلم وحده ، ولو كان العلم وحده يكفي لما وُجد مريض ، فكثير من المرضى يراجعون الأطبّاء لكنّهم لا يستطيعون أن يعالجوا أنفسهم ، فالمسألة ليست بمراجعة الطبيب بل تعود إلى معرفة الدواء وتلاؤمه وانسجامه مع المريض ، ومن ثمّ تناول الدواء بانتظام ، فمن أخذ الدواء دون أن يستعمله لم يستفد منه ، لقد أكّد العلماء على أنّ المعلومة وحدها لا تكفي ، فالمريض إذا أعطيته الدواء وعرف دواءه ولم يستخدمه

فلن يشفَ، أي أنّ أخذ الوصفة الدوائيّة دون معرفة كيفيّة استعمالها والانتظام في الاستعمال والمداومة على ذلك دون ملل لن يؤدّي إلى الشفاء.

الثالث: التدرج في التطبيق.

من أراد أن يتعلّم أُسس النجاح عليه أن لا يكتفي بالمعلومة، فهي متاحة للجميع، غير أنّ المستفيد منها قلّة، مع الالتفات إلى التدرّج في تطبيق ذلك على الذات دون إرهاقٍ لها، ولعلّ ما ورد عن النبيّ ﷺ يشرح ذلك، قال ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ**»(١)، فالدين الإسلاميّ كبير في محتواه، ولن يصل المؤمن إلى عمقه ومحتواه إلّا إذا سار برفق وتوغّل بمرونة، عندئذٍ يكون قد بنى شخصيّته على أساس إيمانيّ سليم، أمّا إذا سار بالطريقة الهوجاء فأرهق نفسه وحمّلها ما لا تستطيع فقد يصاب بالملل والسآمة وقد يصاب ببعض الأمراض ويبتعد عن الدين لعدم اعتداله، وقد أبان ﷺ ذلك لبعض من سأله عمّا يجب أن يفعله إذا أسلم. روى الجمهور عن طلحة بن عبيدالله: أنّ أعرابيّاً أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ماذا فرض الله علَيَّ من الصلاة؟ قال: **خمس صلوات**.

فقال: هل علَيَّ غيرها؟ قال: **لا، إلّا أن تتطوّع شيئاً**.

فقال الرجل: والذي بعثك بالحقّ، لا أزيد عليها ولا أنقص منها، فقال رسول الله ﷺ: **أفلح الرجل إن صدق**»(٢)، وهذه كلمة عظيمة، فالفلاح هو الفوز. قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾(٣).

وقال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلىٰ هَذَا الرَّجُلِ**»(٤)،

---

(١) الكافي: ٢: ٨٦.

(٢) صحيح البخاري: ١: ١٧ و: ٣: ١٦١. صحيح مسلم: ١: ٣١.

(٣) المؤمنون ٢٣: ١.

(٤) بحار الأنوار: ٣٠: ٣٤٣.

أي أنّه شهد للشخص بأنّه سيختم له بالحسنى ، وهو من الطيّبين الأخيار في عالم الآخرة ، والنبيّ ﷺ عندما يعطي وساماً لبعض الناس يبيّن أنّ الأمر لا يرجع إلى عمق وسعة المعرفة والاطّلاع ، بل إلى واقع عمليّ يتدرّج فيه العامل إلى أن تترسّخ مبادئ الإسلام في ذاته فقول الأعرابي : يا رسول الله ، ماذا فرض الله علَيَّ من الصلاة ؟ قال : **خمس صلوات** ، فقال : هل علَيَّ غيرها ؟ قال : **لا ، إلّا أن تتطوّع شيئاً** ، فقال الرجل : والذي بعثك بالحقّ ، لا أزيد عليها ولا أنقص منها ، رفع النبيّ ﷺ مكانته مع أنّه لا يريد أن يزيد ولا ينقص ، غير أنّ ذلك هو الأفضل الأحسن له في تدرّجه ، والمهمّ أن يقوم بما أُمر به وتكون التعاليم مفعّلة في وجوده حتّى ينجح ، وقوله ﷺ : «**أفلح الرجل إن صدق** » ، وقوله ﷺ في رواية أُخرى : « **مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلىٰ هَذَا الرَّجُلِ** » يفصح عن ذلك .

الرابع : السعي الدؤوب المستمرّ .

إنّ من نظر سيرة العلماء وحياتهم ـ خصوصاً منهم أصحاب المقامات العالية في العلم والعمل والخدمة الاجتماعيّة ـ وجد أنّ نجاحهم بُني على أُسس وقواعد كثيرة ، كالدعاء والتوكّل على الله تعالى ، والعمل المستمرّ ، والمراقبة الدائمة لشخصيّاتهم ولأُسرهم وأموالهم ، والإيغال برفق ، والسعي المستمرّ . قال تعالى : ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**﴾[١] وبذلك استطاع الناجح منهم أن يحافظ على أمواله وأولاده وشخصيّته ، فليس للإنسان غير سعيه ، والسعي الدؤوب المستمرّ هو العامل إلهام للنجاح ، وكلّ ناجح منتج في عالم التأليف والعلم أو في عالم العمل تجده كادحاً صابراً حتّى يفتح الله تعالى له الأبواب المغلقة ، فالسعي جدّ هامّ ، ومن قال إنّه سعى ولم يوفّق فاعلم أنّه لم يصبر أو لم يسترشد أو لم يأخذ

---

(١) النجم ٥٣ : ٣٩.

بخبرات الآخرين، والمسألة معادلة تدخل فيها مفاتيح متعدّدة، وسنذكر ـ إن شاء الله تعالى ـ باختصار بعض العوامل التي تُسهم في النجاح والتقدّم في عالمي الدنيا والآخرة.

الخامس: أداء الوظائف بامتياز.

يتأتّى النجاح في الدنيا بأداء الوظائف بامتياز، فكلّ ما أمرنا الله تعالى به من صلاة وصوم وزكاة، أو مسؤوليّة نقوم بها لنُصبح أفراداً صالحين في خدمتنا لأنفسنا وأُسرنا ومجتمعنا وديننا، وليرتقي الإنسان في نجاحه حتّى يصل إلى مرتبة الرضوان. قال الله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾[١].

السادس: تفعيل قابليّة المتلقّي.

أكّد علماء الأخلاق والعرفاء على أمرٍ هامّ في النجاح وهو تفعيل قابليّة المتلقّي، فمن الضروريّ أن يتلقّى السائر في طريق النجاح المعرفة والعلم بما يتناسب مع قابليّته، ويقوم بخطواتٍ عمليّة تنسجم معه، فلا يرهق نفسه في مقام العمل، بل يتدرّج شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى مراتب عالية علماً وعملاً وسلوكاً يؤدّي به إلى مراتب الصدّيقين والأبرار، أمّا من أثقل على نفسه وحمّلها ما لا تطيق دون تدرّج ورفق فإنّه لن يصل وإنْ وصل إلى شيء سيجد أنّ وصوله كلّفه عناءً ومشقّة كان بإمكانه الخلاص منها، ولا يتمّ هذا الأمر إلّا بمرشد ماهر يعرف كيفيّة إعطاء الجرعات المناسبة للمتلقّي، وقد أبان علماء الأخلاق والعرفاء ضرورة وجود الأُستاذ المرشد الحاذق في فهم نفس التلميذ لئلّا يرهقه من أمره عسراً.

---

(١) التوبة ٩: ٧٢.

القسم الثاني

معرفة النفس ومبدأ الاختيار

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[1]

استعرضنا بعض اللفتات العامّة التي يتمكّن بها الإنسان من تطوير شخصيّته ، والكلام في هذا الأمر يحتاج إلى إسهاب وإطالة ، إلّا أنّنا قد اختصرناه رغم أهمّيّته لكونه يلازم الإنسان مسار حياته ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ ﴾[2] ، الشريعة الإسلاميّة كلّها برامج عمل تطوّر الإنسان وترتقي به ، غير أنّ علماء الأخلاق والعرفاء أكّدوا على أُمور :

الأوّل : معرفة النفس .

من أراد أن يطوّر شخصيّته في المجال الماديّ والمعنويّ عليه أن يعرف نفسه ، وقد وردت آيات في القرآن الكريم وروايات عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام تؤكّد ذلك ، قال تعالى : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾[3] ، فهناك أهمّيّة كبيرة لالتفات الإنسان لنفسه ومعرفته لها .

معرفة النفس طريق معرفة الربّ .

أبانت الروايات أنّ معرفة النفس تلازم معرفة الحقّ تعالى ، والتعبير بالملازمة

---

(١) الإسراء ١٧ : ٧.

(٢) الانشقاق ٨٤ : ٦.

(٣) الذاريات ٥١ : ٢١.

يكشف عن أهمّيّة ذلك ، مع أنّ معرفة الحقّ لها طرق أُخرى مختلفة عن معرفة النفس إلّا أنّ التلازم بين المعرفتين ذُكر في الروايات ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ**»(١) يراد بمعرفة الحقّ تعالى الوصول إلى الغاية من الخلق ، أي أنّ الله تعالى خلق الإنسان ليعرفه ، وجعل سعادته في معرفته لربّه ، ويستطيع الإنسان اختصار طريق معرفته لله إذا عرف نفسه .

معرفة النفس توجب السعادة .

إنّ معرفة النفس توجب معرفة الله تعالى ، وتؤدّي إلى السعادة ، والأمر واضح في المنظور الإسلاميّ ، فالغاية من الخلق هي معرفة الحقّ ، قال تعالى : ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَاً**﴾(٢) ، أي أن يصل الإنسان إلى معرفة الله تعالى بأنّه على كلّ شيء قدير ، وأنّه يحيط بكلّ شيء علماً ، وهذه الغاية أفصح عنها القرآن الكريم ، ويتّضح بها أنّ من عرف نفسه عرف ربّه .

معرفة النفس غاية الخلق .

إنّ المعرفة توصل الإنسان إلى غاية الخلق وإذا حصل على معرفة الله تعالى سعد ووصل إلى الكمال ، ولا يراد بالمعرفة المعرفة النظريّة ، بل العمليّة ، أي الموجبة للتعامل الإيجابيّ معها .

حقيقة معرفة النفس .

معرفة النفس معناها أن يدرك الإنسان أنّه لم يكن فكان ، وهذا بديهيّ فلا أحد

---

(١) بحار الأنوار : ٢ : ٣٢.

(٢) الطلاق ٦٥ : ١٢.

يعتقد بقِدم وجوده وأزليّته ، بل كلّنا لم نكن ثمّ أوجدنا الله تعالى عبر سلسلة من العوامل الطبيعيّة ، ومعرفتها بإدراك حاجتها إلى الغنيّ ، ومن خلال ذلك يُعرف مصدر الوجود أنّه الغنيّ تعالى ، فوجودنا كلّه حاجة ، ولا يستطيع أحد أن يستغني عن الهواء أو عن الماء والطعام ، وللإنسان حاجات كثيرة ، والله تعالى أوجد الأشياء وسخّرها له ليستفيد منها في استمرار وجوده ورقيّ شخصيّته ، قال تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾(١) ، أي أنّه تعالى أوجد النعم وسخّرها للإنسان ليستفيد منها ، وهي نِعَم ظاهرة وباطنة ، وكثير منها خفيّة لا تدركها عقولنا وكلّها مسخّرة لخدمة الإنسان .

فائدة معرفة النفس .

إنّ معرفة النفس خطوة أُولى توصل إلى مفردات جدُّ هامّة ، منها : معرفة الله تعالى ، ومعرفته تعالى تتأتّى عبر معرفتنا لاحتياجنا ، وبمعرفتنا لله تعالى نصل إلى السعادة ، وإدراك أنّه تعالى مصدر الوجود ، وهو الذي أمر بالسير في الصراط السويّ وأداء التكليف ليصل الإنسان بذلك إلى سعادته .

الثاني : مبدأ الاختيار منطلق التقدّم .

لقد أبان القرآن الكريم حرّيّة الاختيار للإنسان ، قال تعالى : ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾(٢) ، إلّا أنّه قد ذُكر في بعض الآيات ما يبدو في الوهلة الأُولى خلاف ذلك ، قال تعالى : ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾(٣) ، أي أنّ الناس على قسمين : شقيّ وسعيد ، ويظهر من ذلك أنّ الشقاء والسعادة بتقدير منه تعالى .

---

(١) لقمان ٣١ : ٢٠.

(٢) البلد ٩٠ : ١٠.

(٣) هود ١١ : ١٠٥.

حقيقة اختياريّة الإنسان.

غير أنّ الإنسان ليس بمجبور، بل باستطاعته أن يختار الوسائل والآليات التي تؤدّي به إلى السعادة والخير بإرادته، والتقدّم والرقيّ في عالمي الدنيا والآخرة يرتبط بإرادته واختياره، أي أنّ الله تعالى لم يقسره ولم يجبره بل جعل له الاختيار، وذلك بحث واسع وكبير غير أنّ العلماء أكّدوا على مدخليّة الإيمان بالاختيار في تطوير الإنسان ورقيّه، ومن قال إنّه لن يفرّ من المقدور، ورأى أنّ المقادير تجري عليه قسراً وجبراً، لن يتقدّم.

أهمّيّة الوعي بمبدأ الاختيار.

إنّ من آمن أنّ باستطاعته أن يغيّر حاله أسهم ذلك في رقيّه، أمّا من اعتقد أنّه لن يستطيع التغيير فلن يتقدّم، ومهما يُقدّم له من نصائح وأفكار فهو باقٍ على حاله، ومن الضروري أن يعي الإنسان مبدأ الاختيار بنحو عامٍّ، أي أنّه كلّ مفردات الكون أو بنحو خاصّ أيّ أنّه في بعضها خاصّة؛ وذلك أنّ مجموعة من الأشياء نرى أنّنا لا دخل لنا باختيارها كالطول والقصر ولون البشرة وما ورثناه من آبائنا، فلا دخل لنا للاختيار فيها غير أنّ العرفاء لهم رأي آخر هو أنّ الأُمور وإنْ تراءت لنا أنّه لا اختيار لنا فيها إلّا أنّ عالم الواقع يفرض وجود اختيارٍ متقدّم على عالم النشأة المادّيّة، وهذا بحث علميّ لسنا بصدده، فكون الإنسان يختار طوله وقصره ولونه في عوالم متقدّمة أمر يصعب التصديق به؛ إذ أنّ الإنسان يختار الأفضل فكيف اختار الأقلّ في تلك العوالم، وإن قيل إنّ الأمر يرتبط بسلسلة عوالم غير مرتبطة بعالم المادّة فحسب، بل بعوالم قبل النشأة المادّيّة لها ارتباط وثيق بعالم المادّة، وفي تلك العوالم اختار الإنسان بعض الأُمور التي رأى أنّها تتناسب مع تكليفه ولا نريد إثبات صحّة وخطأ هذا الرأي؛ لأنّ ما يهمّنا الإيمان بمبدأ الاختيار الخاصّ.

مبدأ الاختيار من أُسس النجاح .

من أراد التقدّم عليه أن يؤمن باختياره وقدرته على تغيير مساره ، وأنّ كلّ إنسان يستطيع أن يطوّر نفسه مادّيّاً ومعنويّاً إذا آمن بذلك ، وقد لا يتطوّر مادّيّاً في بعض الأحيان لكنّه يتطوّر معنويّاً ، والظروف القاسرة لن تستطيع أن تؤثّر على فكره ، وبذلك يتمكّن من الأخذ بالأحسن .

العلاقة بين عالمي المادّة والمعنى .

هناك تناسب بين عالمي المادّة والمعنى ، ويمكن لإنسانٍ أن لا يتقدّم في عالم المادّة ويتقدّم في عالم المعنى ، ومن ذا الذي لا يستطيع الاستفادة من نِعَم الله تعالى التي منحه إيّاها ، وحتّى أنّ من فقد نعمة يعوّض بأُخرى ، ففاقد البصر تقوى لديه حاسة السمع .

التطوّر المعنويّ في حركة الإنسان .

يستطيع بعض الناس أن يتقدّم من خلال ذكر الله فيرتقي معنويّاً ، فلو قُسر في المجالات الأُخرى ولم يستطع الحركة فيها يذكر الله تعالى ، ليجد نفسه قد وصل إلى ما يبتغيه ، وقد وصل بعض العلماء إلى درجاتٍ عالية بالذكر ، أي أنّ من عجز عن الحركة يستطيع أن يبقى مستغرقاً في العبادة والتأمّل ، وقد شاهدت صاحب الميزان العلّامة الطباطبائيّ رحمه الله يجلس في صحن السيّدة المعصومة عليها السلام عصراً إلى قبيل الغروب ويشتغل بالذكر والتأمّل في حالة من العروج المعنويّ والانقطاع إلى الله تعالى ، فالإنسان قد لا يستطيع أن يتقدّم في طريق ولكنّه يتقدّم في آخر .

أُسس النجاح في الاستفادة من النعم .

إنّ على من أراد تطوير ذاته أن يؤمن أنّه ليس بمقهور ومُسيّر ، بل أنّ الله تعالى

أعطاه نِعَماً ظاهرة وباطنة وأسبغها عليه، ومكّنه من الاستفادة منها ليصل إلى درجات رفيعة، أمّا من قال بأنّه مقسور فلن يتقدّم، والظروف وإنْ صعبت تسهل صعوبتها بالصبر والجهاد وللإنسان القدرة على تخطّي الصعاب والعقبات.

مبدأ الاختيار وشبهات الجبر.

قد يتوهّم بعض أنّ الآية: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾(١) تدلّ على الجبر، إلّا أنّ الضمير في الآية فيه احتمالان:

الأوّل: أن يرجع إلى الإنسان، ومعنى ذلك أنّ الله تعالى يهدي من يشاء الهداية.

الثاني: أن يرجع الضمير إلى الله تعالى، ومع ذلك لا يدلّ على الجبر؛ لأنّ هداية الحقّ تعالى لبعض الخلق لها عوامل منها السير على الصراط السويّ، وعندئذٍ يتكفّل الباري تعالى بالهداية، ولعلّ المعنى الأدق هو أنّ الآية تشير إلى أنّ ملكوت الأشياء بيده تعالى فله الخلق والأمر وليست بصدد سلب الاختيار من الإنسان.

محور الرقيّ في الأديان السماويّة.

الأهمّ لمن يريد الرقيّ والتقدّم هو المجال المعنويّ، فذلك هو الأهمّ في منطق القرآن الكريم والأديان السماويّة؛ لأنّ الإنسان يعيش فترة محدودة في عالم المادّة، أمّا العيش في عالم المعنى فلا نهاية له، وقد أفصح الباري عن ذلك، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾(٢)، وذكر ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «**لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ**»(٣)، فعالم المادّة بسيط رغم أهمّيّته، والحضّ الأكيد في الشرائع السماويّة على الآخرة وعدم نسيان الدنيا لتكون وسيلة لنيل درجات

---

(١) القصص ٢٨: ٥٦.

(٢) العنكبوت ٢٩: ٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ١٩: ١٢٤. مسند أحمد: ٢: ٣٨١.

الآخرة ، قال تعالى : ﴿**وَابْتَغِ فِيما آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾(١) ، أي أنّ الدنيا ليس لها منظور مستقلّ والنظرة إليها ليست لذاتها ، بل من أجل المستقبل الأُخرويّ ، ذلك ما جاء به الأنبياء والرسل لرقيّ الإنسان ورفع درجاته ؛ إذ أنّ الإنسان مأمور بإعمار الكون ، ليس لأجله كشخص ، بل من أجل سعادة البشريّة كلّها ، كي تتفرّغ لمعرفة ربّها ، وتقترب منه معنويّاً ، قال تعالى : ﴿**فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾(٢) ، فإذا قيست الدنيا إلى الآخرة التي لا حدود لها فهي قليل ، جاء في الموعظة «**عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأَحْبِبْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهِ**»(٣) ، أي لن يستطيع أحد أن يبقى في الحياة الدنيا بلا نهاية ، وقد أكّد النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : «**لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممّن هو عليها اليوم أحد**»(٤) ، وهذه إلفاتة جميلة منه صلى الله عليه وآله لأصحابه .

القسم الثالث

الاستفادة من النعم الإلـٰهيّة

لا زال الكلام موصولاً حول الأُمور التي إذا التفت إليها الشابّ استطاع التقدّم إلى الأمام ، وإحراز قصب السبق في عالمي الدنيا والآخرة .

الاستفادة من نِعم الله تعالى .

من الأُمور الهامّة التي ينبغي أن يتوجّه المرء إليها الالتفات إلى نِعم الله تعالى

---

(١) القصص ٢٨ : ٧٧.

(٢) التوبة ٩ : ٣٨.

(٣) الخصال : ١ : ٧.

(٤) فتح الباري : ٦ : ٣١٠.

وإدراكها، والاستفادة منها فيما يريده الحقّ تعالى ليعود على المرء بالإيجابيّات في عالمي الدنيا والآخرة؛ لأنّ الإنسان يرفل في النعم التي لا حدّ لها ولا حصر، قال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾[١].

سلبيّات الغفلة عن نِعم الله تعالى:

إنّ أكثر الناس يغفل عن نِعم الله تعالى عليه، والغفلة عن النعم تؤدّي إلى نوعين من السلبيّات:

الأوّل: الكفران والطغيان على المولى.

إنّ عدم استخدام النعم فيما يريده الله تعالى كفران بها وطغيان على المولى يؤدّي إلى سلب النعم والابتعاد عن الحقّ تعالى.

الثاني: الإضرار الكبير بالإنسان.

إنّ عدم الالتفات والتركيز لدى الإنسان إلى ما ينبغي الالتفات إليه والاستفادة منه في الرقيّ يترتّب عليه الضرر الكبير، وكي تتّضح أبعاد الالتفات إلى نعم الله تعالى نُذكّر بما حصل لأحد السالكين السائرين في جادّة الصواب، فقد غفل عن حيثيّة بسيطة لها الأثر الفاعل في رقيّ الإنسان وتقدّمه، فكان يناجي ربّه بالأدعية، ويكرّر: «اللّهمّ عاملنا بعدلك، ولا تعاملنا بفضلك»[٢]، ولم يلتفت إلى نِعم الله تعالى والتفت إلى نفسه، ورأى أنّه لا يحتاج أن يعامل بالفضل لاختلافه عن كثير من الناس لكونه يسير في جادّة الصواب، والفضل يحتاجه المسيئ

---

(١) إبراهيم ١٤: ٣٤. النحل ١٦: ١٨.

(٢) في شرح أُصول الكافي: «**اللّهُمَّ عامِلْنا بِفَضْلِكَ، ولا تُعامِلْنا بِعَدْلِكَ**». شرح أُصول الكافي للمازندراني: ١٠: ٢١٤.

المذنب ، وغفل عن أنّ السير في جادّة الصواب من نِعم الله تعالى التي يـمتنّ بـها على من يشاء من عباده ، وكادت غفلته أن ترديه لولا أن تداركته رحمة مـن ربّـه ، ورأى أنّ القيامة قد قامت ، وأُمر به إلى جـهنّم ، فـتعجّب وذكـر أعـماله للـملائكة من صلاة وصوم وبرّ ، وعدّد الأفعال الطيّبة التي صدرت منه ، فجاءه النداء : كلّ هذه الأفعال لا تعدل نعمة البصر ، وليس لك شكر في قبال النعم الأُخرى التي منحناك إيّاها ، وندرك هذا المعنى من خلال رؤية بعض الناس الذي يجمع الأموال الكثيرة ، فيدفعها لعلاج بصره فمن اشتغل ثلاثين سنة وجمع مالاً لديه استعداد أن يقدّم كلّ ما جمعه ليسترجع نعمة البصر ، والعابد الذي وصل إلى مراتب عـالية لم يشـتغل بالعبادة أكثر ممّن جمع المال ، فشغله بالعبادة ثلاث إلى أربع ساعات في اليوم وهو أقلّ من شغل من جمع المال لمدّة ثلاثين سنة وقدّمه لاسترجاع بصره ، ولا نريد أن نقلّل من قيمة ما يبذله العابد ، فالمرء إذا استخدم العُشر من نِعم الله تعالى عاد عليه بالنفع الكبير وسار سيراً سجحاً إلى الله تعالى .

الالتفات إلى النعم يؤدّي إلى الشكر.

إذن ينبغي علينا أن نلتفت إلى النعم التي منحنا الله تعالى إيّـاها ، وأن لا نـغفل آناً مّا ؛ لأنّ عـدم الالتـفات إلى النـعم يـؤدّي إلى الكـفران ، والالتـفات يـؤدّي إلى شكر الله تعالى ، والشكر له حيثيّتان :

الأُولى : حيثيّة الذكر المؤدّي إلى المزيد .

الثانية : حيثيّة تفعيل النعم والاسـتفادة مـنها فـيما يـعود بـالمردود الإيـجابيّ ، وقد أبان الحقّ تعالى أنّ عدم الشكر عاقبته جهنّم ، قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[١] ، وللآية معانٍ

---

(١) الأعراف ٧ : ١٧٩ .

متعدّدة ، من جملتها ما أوردناه ، فالسبب في خسران الآخرة هو عدم الاستفادة من النعم الإلهيّة فيما يريده الله تعالى ، فالأعين لا يبصرون بها ، والآذان لا يسمعون بها ، والقلوب لا يفقهون بها ، وليس المراد هنا أنّ الإنسان لا يستخدم عينيه بل المراد أنّه لا يستفيد منها فيما يعود عليه بالخير في الدنيا والآخرة ، فكثير من الناس لا يسمع النافع بل يسمع الضارّ ولا يبصر ما يعود عليه بالخير بل يبصر الضارّ وينظر ما يعود عليه بالسوء .

الابتلاء إيقاظ من الغفلة .

إنّ عدم الاستفادة من نعم الله تعالى فيما يريده الله تعالى يعود بالمردود السلبيّ ؛ إذ أنّ بعض الناس لا يتوجّه إلى ذلك إلّا عندما يصاب بابتلاء ، ويلتفت إذا أُصيب بآفة في سمعه وإشكاليّة صحّيّة في بدنه فيقول فرّطت ويبدأ يتلافى ، والأحسن مبادرة المرء أبّان صحّته وقدرته ليستفيد من نِعم الله تعالى فيما يريده تعالى ، والآية أشارت إلى ذلك ، فعدم الاستفادة من النعم غفلة ، والغافل لا يتوجّه ولا يلتفت ويخسر كثيراً .

الشيطان والغفلة عن نِعم الله تعالى .

هناك غفلة من نمط خاصّ نركّز عليها ؛ إذ أنّ العلماء أكّدوا عليها وهي الغفلة من إغواءات الشيطان ، فالشيطان يوسوس للإنسان ليستفيد من نِعم الله تعالى في معاصيه ولا يلتفت إلى الحقّ تعالى . إنّ أكبر عدوّ للإنسان هو العدوّ الداخليّ الذي يوسوس له ويلهيه ، والشريعة أكّدت أنّ الشيطان يستنفر قدراته ليضلّ الإنسان ، قال تعالى : ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾(١) ،

---

(١) الأعراف ٧: ١٦ و ١٧.

توضّح الآية أنّ الشيطان يحارب الإنسان بكلّ جهده فيلهيه عن الله تعالى، وهو العدوّ الأعظم في نسقنا المعرفيّ الإسلاميّ، وفي النسق المعرفيّ الذي جاءت به الشرائع السماويّة عامّة، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾(١).

الشيطان سبب نسيان نِعم الله تعالى.

إنّ الشيطان يُنسي ويُلهي العبد عن النعم، حتّى لا يستخدمها فيما يرضي الله تعالى كي لا تعود عليه بالخير في الدنيا والآخرة، ونسيان النعمة والغفلة عنها يحدث للمرء أعظم الضرر، وكي يتّضح ذلك نلتفت إلى أنّ من دخل في حرب مع عدوّه هل يتمكّن من الانتصار عليه وهو غافل عنه؟ كلّا، فإنّ الغفلة لحظة واحدة تمكّن العدوّ من الأخذ بزمام المبادرة والانتصار، والإنسان والشيطان في حرب مستمرّة وهو أعظم عدوّ للإنسان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾(٢)، فإذا لم يلتفت الإنسان إلى اغواءات الشيطان فسوف يخسر الآخرة، ومن اغواءاته حديث النفس الداخليّ، وتزيين السوء، ومن غفل عن ذلك رجع إلى المربّع الأوّل.

خطر الشيطان على الإنسان.

إنّ الشيطان يهدم التقدّم الذي وصل إليه الإنسان ويجعله يتسافل، وعلى المؤمن أن لا يغفل بحجّة وصوله إلى مرتبة آمنة، فهناك قصص كثيرة لعلمائنا الذين وصلوا إلى مراتب عالية في السير والسلوك والتخلّص من إغواءات الشيطان، ومع ذلك كانوا في غاية الحذر، ومن أروع القصص ما جاء عن المقدّس الأردبيليّ عندما

(١) الأعراف ٧: ١٧.

(٢) فاطر ٣٥: ٦.

سئل إذا كان أمامك امرأة جميلة ولا يوجد من ينظر إليك ، فهل تختلس نظرة ريبة إليها قال(يرحمه الله) : أسأل الله تعالى أن لا يبتليني بذلك . وفي هذا عبرة لمن يريد الرقيّ ، فهذا العالم كان في غاية الحذر واللجوء إلى الله تعالى ، فقال: أسأل الله أن لا يبتليني[١] لمعرفته بكيد الشيطان وتأثيره .

الغفلة سبب للطبع على القلب.

تؤدّي الغفلة إلى الطبع على القلب ، ومن أراد الرقيّ والتقدّم في مساره عليه أن يلتفت إلى ذلك ؛ لأنّ الطبع على القلب يصبح جزءاً من شخصيّة الإنسان ويصعب عليه الانفكاك منه والتخلّص عنه ، ويكون عادة لا تزول (أزل جبل ولا تزل عادة) . قال تعالى : ﴿**أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولٰـئِكَ هُـمُ الْغَافِلُونَ**﴾[٢] .

نتائج الطبع على القلب.

إنّ من غفل عن نِعم الله تعالى ولم يشكر ، فطُبع على قلبه فهو كمن قد أقفل عليه في مكانٍ مظلم يصعب عليه الخروج منه ، وأكثر الناس لا يستطيع الخروج إلّا من حصل له لطف خاصّ وأدركته رحمة من ربّه .

مفتاحان للتخلّص من الغفلة:

الأوّل: الاستفادة من النعم.

من أراد التخلّص من الغفلة فعليه أن يستخدم نِعم الله تعالى فيما يريده تعالى ،

---

(١) سماء المقال في علم الرجال : ١: ٤٢٧.

(٢) النحل ١٦: ١٠٨.

وبذلك يكون من الشاكرين .

الثاني: المداومة على ذكر الله تعالى .

من أراد أن لا يغفل عليه بإدمان الذكر ، فقد ذكّر القرآن الكريم والأحاديث والعلماء بأهمّيّة ذكر الله تعالى دائماً ، ولا يراد بالذكر لقلقة اللسان ، بل يراد به العلم بأنّ الله تعالى يحيط بالذاكر وهو القادر عليه ، قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾(١) ، ومن ذكر الله تعالى كذلك أمن الغفلة ؛ إذ أنّ هذا المعنى من الذكر ينبّه الإنسان لاستخدام نِعم الله تعالى فيما يريده تعالى .

خلاصة ما تقدّم في نقاط ثلاث:

الأُولى: استذكار النعم والاستفادة منها فيما يرضي الله تعالى .

الثانية: عدم الغفلة لئلّا تؤدّي به إلى الكفر والطغيان والتسافل .

الثالثة: ذكر الله تعالى الموجب للأمن من النسيان كي لا يُطبع على القلب ، وبذلك ينجح المرء في مساره العمليّ والسلوكيّ ويصل إلى أرفع الدرجات .

القسم الرابع

التغيير نحو الأفضل

قال تعالى : ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾(٢)

---

(١) سورة ق ٥٠: ١٦.

(٢) الرعد ١٣: ١١.

إدراك النعم بداية التغيير.

استعرضنا أهمّيّة الالتفات إلى نِعم الله تعالى وعدم الغفلة عنها باعتبارها رأس المال الذي يمكن استثماره والاستفادة منه في الحياة الدنيا والآخرة، وإذا التفت الإنسان إلى النعم وأدرك معنى شكر المنعم، يبدأ بالتغيير أي يجزم معتقداً أنّ النعم يتاح له بها أن يصل إلى ما يبتغيه، فمن آمن أنّ بإمكانه الاستفادة من نِعم الله تعالى عليه في الوصول إلى ما يبتغيه وعمل على وفق اعتقاده وصل إلى ما يريده.

ركائز التغيير:

يبتني التغيير على ركيزتين:

الأولى: معرفة رأس المال وأنّه كبير ووفير.

الثانية: أنّه يستطيع تفعيله فيما يريد أن يصل إليه، وحينئذٍ يبدأ بتغيير وضعه إلى الأفضل.

التغيير يوصل إلى الكمال.

كلّ إنسان في هذه الحياة الدنيا يريد أن يصل إلى الأكمل الأحسن؛ إذ أنّ الله تعالى فطره على الكمال فهو يتّجه بنحو طبيعيّ إليه، ومن كانت درجته واطئة في مجال وأراد أن يصل إلى درجة أعلى فهناك خطوتان:

الأولى: إدراك النعم.

الثانية: استثمارها ليصل إلى الدرجة الأرفع، وذلك معنى التغيير.

شرائط التغيير:

تبدأ عمليّة التغيير من الذات، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾، ولا يتمّ التغيير جزافاً، بل يُنجز وفق شرائط محدّدة:

الأوّل : الجزم بأنّ ما يعتقد به يصل إليه .

لا بدّ أن يكون التغيير باعتقاد وجزم بأن يصل بالنعم إلى ما يبتغيه ، فمن أراد أن يكون عالماً وسخّر النعم للعلم حصّل على ما يريده ، فالطالب في المرحلة الثانويّة إذا أراد أن تكون رتبته الأُولىء ، وعرف السُبل والآليات المؤدّية إلى ذلك ، واعتقد أنّه بتسخيرها سيتحقّق له ما يطمح إليه ، سوف يحصل على ما يريده . إذن من شروط التقدّم الاعتقاد والسعي لتحقيق ما يعتقده ، وقد كان علماؤنا يُذكِّرون تلامذتهم بهذه الحقائق ، وأنّ من آمن وسعى لتحصيل ما آمن به وصل إليه .

الثاني : العمل وفق ما يعتقد به .

لقد أكّدنا أهمّيّة الاعتقاد والجزم والخروج من مرحلة الشكّ ، ولكن لا بدّ من السعي والعمل وفق ما يعتقد به ؛ لأنّ بعض الناس قد يريد شيئاً لكنّه لا يعتقد أنّ بإمكانه تحقيق ما يريد ، وبالتالي لن يصل إليه ، وهناك من لديه الاعتقاد والجزم بالسُبل الموصلة لما يريد ، لكنّه لا يسعى ولا يتحرّك ، وكأنّه عمليّاً لا يريد ، فهذا لن يتحقّق له الوصول لما يطمح إليه .

الثالث : التعرّف على آليات التغيير .

الإرادة تستتبع العمل فمن آمن لا بدّ أن يعمل ، والعمل لا يثمر إلّا إذا كان وفق آليات ووسائل توصله إلى ما يبتغيه ، أمّا إذا أراد ولم يعمل ولم يتعرّف على الآليات الموصلة إلى مطلوبه فليس له اعتقاد جازم ، بل أُمنية مجرّدة .

الفرق بين الأُمنية والاعتقاد :

إنّ الملايين من البشر يتحدّثون عن آمال وأماني وليس عن اعتقاد ، لذا لا يتحقّق لهم ما يتمنّون ، وهناك فوارق بين الأماني والاعتقاد الجازم :

الأوّل: الأُمنية لا تقترن بالعمل.

إنّ الأماني لا تقترن بالعمل في الأعمّ الأغلب، بخلاف الاعتقاد الجازم فهو مقترن بالعمل.

الثاني: الأمنية لا حقيقة لها.

إنّ الأُمنية حلم كاذب، أمّا الاعتقاد والجزم فهو شيء حقيقيّ له وجود، وهناك سعي وتحرّك نحوه، والأُمنية أفكار مجرّدة بخلاف الاعتقاد فإنّه فكر يستتبع السعي الدؤوب.

الثالث: المتمنّي لا يستثمر قدراته.

يُسخّر المعتقد الجازم جميع إمكانيّاته وما يخطر بباله للوصول إلى ما يبتغيه، بخلاف المتمنّي فإنّه لا يفعل شيئاً.

الرابع: لا صورة في الذهن للأُمنية.

الاعتقاد والجزم له صورة ثابتة في الذهن لا تزول عنه، أمّا الأُمنية فهي خيال يراوح الذهن ويراوده، فتارة يجيء وأُخرى يزول، أمّا الاعتقاد فراسخ لا ينفكّ عن تسخير الإمكانيّات والعمل، والمعتقد له حركة دائمة لا تفارق الصورة ذهنه.

الأُمنية في القرآن.

أبان القرآن الكريم بجلاء موضوع الأماني، قال تعالى: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾(١)، أي أنّ الكثير يتمنّى أماني، وهي مجرّد

(١) النساء ٤: ١٢٣.

خواطر وأفكار تمرّ على الذهن وتطير عنه ، وكثيراً من الناس يريد أن يصل إلى مقامات في عالم المعنى وعالم المادّة لكنّه لا يعمل أو لا يعرف الآليات الموصلة إلى المراد ، أو إذا عرفها لا يأخذ بأفضلها .

التغيير نحو الكمال في الروايات :

أوضحت الروايات عن النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام أنّ التغيير لا بدّ أن يكون وفق آليات محدّدة ، نستعرضها بإيجاز :

الأُولى : السعي والجدّ لنيل المطلوب .

أشارت الروايات أنّ من آمن بشيء معتقداً به ، وسخّر نِعم الله تعالى وصل إلى ما يريده ، وتلك سُنة تكوينيّة ، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ** »[١] ، أي من أراد أن يكون طبيباً وجَدَّ في المرحلة الثانويّة ، آخذاً الدرجات التي يتأهّل بها للتسجيل في كلّيّة الطبّ ، وكدح ، سيكون طبيباً ، أمّا إذا لم يهتمّ بدراسته فلن يفلح ، وما أكثر من سجّل في كلّيّة الطبّ ولم يجتهد ، وخرج منها بخفّي حنين ، وكذا من أراد أن يصبح عالماً فذهب إلى الحواضر العلميّة كـ(قم والنجف) وبذل الجهد وصل إلى ما يبتغيه ، أمّا إذا لم يجتهد فلن يحصل على ما يريد ، لقد ذهب الكثير لتحصيل العلم ورجعوا القهقرى ؛ لأنّ الاعتقاد لم يكن جزءً من شخصيّتهم ، ولم يتجذّر ليكون دافعاً وحافزاً لهم ، وقد أجمل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بقوله : « **مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ** » .

الثانية : الثبات على ما يعزم عليه .

شرح الإمام الصادق عليه السلام معنى الاعتقاد الجازم ، فقال عليه السلام : « **مَا ضَعُفَ بَدَنٌ**

---

(١) نهج البلاغة : ٥٥٤ (صبحي الصالح) .

عمَّا قَوِيَتْ عَلَيْهِ النِّيَّةُ »(١) ، أي أنّ من اعتقد جازماً لن يصاب بخمول ولا بملل ، ولا بسآمة ولا بضجر ، ومن أُصيب بذلك فلم يعتقد بل كانت لديه أُمنية ؛ إذْ أنّ البدن لا يضعف والنفس لا تملّ مع الاعتقاد ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « **مَا ضَعُفَ بَدَنٌ عَمَّا قَوِيَتْ عَلَيْهِ النِّيَّةُ** » ، أي أنّ النيّة تقوّي البدن.

وهناك قصص كثيرة لبعض العلماء الذين وصلوا إلى درجات عالية في العلم والعمل ، ذكر أحدهم أنّه استطاع أن يدمن صلاة الليل لاعتقاده بتأثيرها علماً وتقوىً قال تعالى : ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً**﴾(٢).

الثالثة : الجدّ والعمل وترك الأماني.

اتّضح الفارق بين الأماني والاعتقاد الجازم ، وقد أشارت الروايات إلى ذلك ، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ ، وَيُرْجِئُ التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ ، يَنْهىٰ وَلَا يَنْتَهِي ، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي ، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ ، وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ** »(٣). والرواية تحوي نقاطاً هامّة :

الأُولى : أنّ الأُمنية لا تصيّر صاحبها من أصحاب المقامات لتمنّيه دون عمل « **لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ** ».

الثانية : إنّ من أحبّ الصالحين ولم يعمل عملهم لن يكون صالحاً ، فرتبة الصالحين عظيمة شرحها صاحب الميزان وبعض العرفاء ، والصلاح على قسمين :

---

(١) بحار الأنوار : ٦٧ : ٢٠٥.

(٢) المزّمّل ٧٣ : ٦.

(٣) بحار الأنوار : ٦٩ : ١٩٩ و ٢٠٠.

صلاح الذات وصلاح العمل ، ولا بدّ من الحصول على رتبة صلاح العمل للوصول إلى صلاح الذات ، وهي رتبة الصدّيقين الذين وصلوا المراتب العالية ، وقوله عليه‌السلام : « **يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ** » ، أي يتمنّى أن يكون صالحاً دون عمل .

الثالثة : إنّ من لا يريد أن يكون مسيئاً ويبغض ذلك فلا بدّ أن لا تصدر منه السيّئات والذنوب الموبقات ؛ لأنّ صدورها منه يعني عدم خروجه عن دائرة المذنبين « **وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ** » .

أساسيّات التغيير :

يبتني التغيير على اُمور :

الأوّل : إدراك النعم وعدم الغفلة عنها ، وهي رأس المال .

الثاني : الاعتقاد الجازم بأنّه قادر إذا استثمر النعم أن يصل إلى أعلى الدرجات .

الثالث : معرفة الفارق الجوهريّ بين الاعتقاد والاُمنية ، أي لا تكون الأفكار والطموح الذي يريده ـ أكان في عالم المعنى أو في عالم المادّة ـ اُمنية فقط ، بل اعتقاد جازم يحركه نحو العمل ويوصله إلى ما يريد ، فمن أراد أن يتقن الكتابة أو أن يكون شاعراً أو كاتب قصّة ، فعليه أن يتعرّف الآليات الموصلة إلى ذلك الحقل التخصّصيّ الذي يريده ، وأن يدرس ويثقّف نفسه ويقرأ الدوريّات ليتوسّع اُفقه ، وبذلك يكون سلك الطريق الطبيعيّ الموصل .

التناسب بين علوّ الطموح والعمل له .

لقد أشرنا إلى فارق بين الأُمنية والاعتقاد الجازم ، وأنّ الاعتقاد الجازم لا يفارقه العمل ، بل يتحوّل العمل إلى جزء من شخصيّته ، ولعلّ ما جاء في قصص بعض علمائنا ما يسلّط الضوء على ذلك ، فالعلّامة الحلّيّ قدس‌سره وهو من كبار العلماء وصاحب مؤلّفات كثيرة ، عنده ابن من النوابغ أصبح مجتهداً ولم يبلغ الحلم ، وقد أراد الأب

اختبار ابنه ، فقال له : إلى أيّ مقام تريد الوصول؟ فأجاب الابن أُريد أن أصل إلى المقام الذي وصلت إليه ، فقال الأب : لن تصل .

وتعجّب الابن قائلاً : لماذا مع تهيّأ الأسباب ؟ وكيف وصلت أنت ولا أصل أنا ؟!

فأجاب الأب : لقد كنتُ أسعى جادّاً أن أصل إلى الرتبة التالية لدرجة المعصوم ، وسعيت طوال حياتي كي أصل إلى تلك المرتبة فصرت العلاّمة ، أمّا أنت فتريد أن تصل إلى مقامي ، ولن يتحقّق لك الطموح الأكبر لتصل لذلك .

القسم الخامس

دور القدوة في النجاح

قال تعالى :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾

أهمّيّة القدوة :

إنّ مبدأ الأُسوة من الأُمور الهامّة في التقدّم والنجاح ، ومن أراد أن يصل إلى ما يبتغيه ، لن يستطيع ذلك إلّا بمقاييس متعدّدة يحتاج تحقيقها إلى قدوة ؛ إذ أنّ للقدوة دور كبير ومؤثّر ، وتتجلّى أهمّيّة القدوة في ثلاثة موارد :

الأوّل : شعور النفس بالطمأنينة .

كي يتّضح دورها نذكر بمقدّمة هي أنّ من أراد أن يحقّق هدفاً يحتاج إلى العمل وبذل الجهد المركّز والدائم ، غير أنّ الجهد المركّز والدائم غير كافٍ في الوصول إلى

ما يبتغيه ؛ إذ أنّ الحياة فيها عقبات كأْداء وكثيرة وليس كلّ من أراد أن يصل إلى ما يبتغيه وبذل الجهد وصل ، بل قد يخفق والإخفاق قد يكون توأماً مع الجهد المبذول ، من هنا نعلم أهمّيّة القدوة ، فهي تعطي الطمأنينة للنفس والاستقرار والتفكير الإيجابيّ من خلال علم المرء بأنّ الأفضل والأحسن هو بذل الجهد ، فمن اعترضته عقبات ولم يكن جهده كافٍ في إيصاله إلى ما يريد فإنّه بالصبر يوفّق ويُهيّئ الله تعالى له الأسباب التي توصله إلى هدفه .

الثاني : تذليل الصعاب .

إنّ من وضع هدفاً ، أكان خيّراً أو سيّئاً ـ لنفسه أو لأُسرته ومجتمعه ، لن يكفيه بذل الجهد في تحقيقه دون الصبر والمثابرة والاستفادة من الفرص الأُخرى والاقتداء بأُسوة ، فالنبيّ صلى الله عليه وآله ـ مع كونه أكمل الخلق ـ بذل جهوداً خيّرة لمجتمعه ، وقُوبل بالسوء ، وحاول صلى الله عليه وآله أن يذهب إلى الطائف ، وفي الطائف كان الأسوأ ، فقد قُوبل بالحجارة وأُدميت قدماه ، وأُسيئ إليه إساءة كبيرة لكنّه صلى الله عليه وآله استمرّ في دعوته وغيّر الوجهة فيما بعد وهاجر إلى يثرب ونجح فيها ، ومعنى ذلك أنّ العقبات الصعبة لن تمنع من الوصول إلى الهدف ، ولا يمكن أن توجب الفشل ، فمن أراد أن يحقّق شيئاً وواجه عقبات كبيرة عليه أن ينظر إلى القمم الشواهق وهم الأنبياء والرسل أوّلاً ، وكيف كانت العقبات الكأداء لا تؤثّر عليهم شيئاً بل كانوا عليهم السلام يستصغرونها واستطاعوا بعد الجهد والمشقّة أن يصلوا بأُممهم إلى الأفضل ، قال صلى الله عليه وآله : « **مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوذِيتُ** »[١] ، والإيذاء كان لكلّ الأنبياء والرسل لكنّه لم يبلغ ما بلغه للنبيّ صلى الله عليه وآله ، ولا يقال إنّ النجاح كان له صلى الله عليه وآله لاصطفائه ؛ إذ أنّ ذلك قانون عامّ ليس بمقصور عليه صلى الله عليه وآله أو على الأنبياء والرسل عليهم السلام .

---

(١) بحار الأنوار : ٣٩ : ٥٦ .

الثالث: الوصول إلى مدارج المجد.

القدوة الحسنة التي يحتذى بها تشحذ الهمّة وتطمئن النفس مخلصة إيّاها من أوضار القنوط واليأس، وتذلّل الصعاب، ويتمكّن بها من اجتياز العقبات، وليس هذا خاصّاً بأنبياء الله تعالى ورسله كما أشرنا، بل عامّ لمن أراد علماً أو عملاً في المجالين المادّيّ والمعنويّ، ولو استعرضنا قصص ما حصل من عقبات لبعض الصالحين والعلماء، وكم تحمّل المشاقّ حتّى استطاع أن يصل إلى ذرى المجد، ولعلّ ما حصل للمحدّث السيّد نعمة الله الجزائريّ من صعاب فيه عبرة لمن أراد أن يكون عالماً، لقد كانت بداية حياته في غاية المشقّة، فالنعم في الأزمنة السابقة لم تكن متوافرة كما عليه الحال في زماننا، غير أنّ السيّد ﷺ عاش ظروفاً استثنائيّة، فكان قوته قشور الرقّي ـ البطيخ الأحمر ـ الذي يرميه الناس فيأخذه ويغسله ليقتات به، وواصل مساره حتّى استطاع أن يتبوّأ سامق المجد، وأن يصل إلى درجة من العلم يغبط عليها، ولا زالت كتبه التي ألّفها مورد فائدة للعلماء والناس إلى يومنا، وهناك أمثلة يحتذى بها وهي قدوة في تخطّي الصعاب في التحصيل العلميّ الحوزويّ والأكاديميّ.

لقد رأيت قمماً من الأحساء واجهوا صعاباً في تحصيلهم العلميّ وصبروا مقتدين بشخصيّات كبيرة حتّى استطاعوا أن يصلوا إلى درجات عالية، وكان منهم شخصيّة فذّة ذكرتها أكثر من مرّة درس في المعهد المهنيّ بالشهادة الابتدائيّة، غير أنّه صبر وواصل مشواره العلميّ حتّى أصبح يحمل شهادة دكتوراه تتمنّى الشركات الكبرى أن يكون موظّفاً لديها لما لديه من خبرات كبيرة في تخصّصه، وقد تحمّل المشاقّ وواجه الصعاب، لكنّه لم ييأس واقتدى بالناجحين فنجح، ولا يختصّ ذلك بالمؤمن فهو قانون عامّ وسنّة من السنن الكونيّة، فكلّ من سار على طريق وواجه عقبات فيه، وعمل بجد وصبر مقتدٍ بأُسوة هيّأ الله تعالى له الأسباب فنجح.

الفشل تجربة للنجاح .

نؤكّد هنا على أهمّيّة الاستفادة من تجارب الآخرين ، فالتجربة علم مستأنف كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ، أي علم جديد يضاف إلى الرصيد المعرفيّ ، ومن أضاف علم غيره إليه ارتقى معرفيّاً واستفاد كثيراً ، وكي تتّضح أهمّيّة التجربة نذكر مثالاً جميلاً من حياة أحد علمائنا ، فسيرتهم مليئة بالعبر ، لقد استفدت من سيرتهم كثيراً ، وقرأت بعض الموسوعات كروضات الجنّات ورياض العلماء أكثر من مرّة ، وكنت أُكرّر ذلك وأحصل على زخم هائل وكبير ومؤثّر ، فهؤلاء رغم إمكاناتهم البسيطة ؛ إذْ لم يكن بأيديهم شيء لكنّهم استطاعوا بجهدهم واقتدائهم بالقدوة الحسنة ، وصبرهم الطويل ، أن يصلوا إلى درجات كبيرة ، المقدّس الأردبيليّ رحمه الله شخصيّة لها مكانة سامية في مقام العلم والعمل ، وله مؤلّفات كبيرة في الفقه وتفسير آيات الأحكام وتصدّيه للمرجعيّة ، ووصوله إلى درجة عالية في التقوى والقرب من الله تعالى ومن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام ، وله قصص جميلة لسنا بصدد استعراضها ، لم ينجح في بداية حياته وبقي برهة زمنيّة في النجف يريد أن يُحَصِّل العلم ولم يوفّق حتّى يأس من نفسه ، ورأى أن يرجع إلى أردبيل ، وفي أثناء رجوعه حصل على لطف إلهيّ لأنّه كان من المجدّين المجتهدين ، والله تعالى لا يخيب سعي المجتهدين ، قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(١).

قصّة وعِبرة للوصول إلى النجاح .

إنّ الله تعالى يهيّئ الأسباب لمن طلبها وينقذه في درجات الضنك عندما تضعف قواه ، ويفتح له أُفقاً واسعاً ، وهذا ما حصل للمقدّس الأردبيليّ رحمه الله ، ففي في أثناء

---

(١) العنكبوت ٢٩ : ٦٩.

رجوعه رأى مزارعاً يستخرج الماء بالطريقة القديمة التي تسمّى في الأحساء بالصدر، وهي سحب الماء بالدلو بواسطة حبل على بكرة كبيرة، وكان الحبل الذي يجرّه المزارع قد أثّر في الصخرة فشقّها، ولمّا رأى المقدّس الأردبيليّ تأثير الحبل في الصخرة أثّر ذلك تأثيراً بالغاً في ذهنه وقال: إنّ الحبل يشقّ الصخرة فكيف لا تشقّ المعلومات ذهنيّ ـ كناية عن الترسّخ والاستقرار للمعلومات في ذهنه ـ فالحبل شقّ الصخرة الصلداء فكيف لا تكون المعلومات والمعارف تشقّ الذهن، وسمع هاتفاً يقول:

اطلب ولا تجزع من مطلبٍ فآفة الطالب أن يجزعا
أما ترى الحبل وتكراره في الصخرة الصماء قد أثّرا

فقرّر أن يرجع إلى النجف رغم أنّه كان بالقرب من بلده، والمسافة طويلة وقطعها بمشقّة وتعب وليس كهذه الأيّام، وبعد أن رجع فتح الله تعالى عليه، وصار من العلماء الذين لا يشقّ لهم غبار، ومن الصعب أن يصل العالم إلى الدرجة العلميّة الكبيرة التي وصل إليها، لقد ألّف موسوعة علميّة في الفقه لا تزال مورداً لاستفادة العلماء إلى عصرنا ـ مجمع الفائدة والبرهان في الفقه ـ والزبدة في تفسير آيات الأحكام، وهو من خيرة الكتب في مجاله، وغيرهما من الكتب.

النجاح قانون عامّ.

النجاح قانون عامّ من أخذ بأسبابه حصل عليه، ولا يختصّ بالعلماء والرسل والأنبياء الذين أيّدهم الله تعالى بلطفه، بل يوجد بتهيّؤ أسبابه، فمن صبر وبذل جهداً واقتدى بأهل الظفر والنجاح امتنّ الله تعالى عليه بالخير والبركة فأوصله.

الاستفادة من تجارب الآخرين.

من قرأ تجارب العلماء والمبتكرين والمؤلّفين وجد كمّاً هائلاً من التجارب

تؤثّر في مَن قرأها بإمعانٍ وتأمّل ، وبعض التجارب لغير العلماء كالتجّار والمخترعين الذين كان همّهم النجاح فتهيّأت لهم الأسباب ، وتلك قاعدة فمن بذل جهداً وجدّ مثابراً هيّأ الله تعالى له الأسباب ، ونذكر هنا بمعادلة أُسسها الإيمان بالهدف ، أي الاعتقاد الجازم وبذل الجهد والصبر والقدوة الحسنة ، وعندئذٍ يفتح الله تعالى الأبواب المغلقة لمن تحقّقت له .

القدوة دروس في الصمود .

إنّ من قرأ حياة (أديسون) الذي ننعم بابتكاراته الكثيرة ومنها الكهرباء ، بالإضافة إلى مئات الابتكارات الأُخرى ، وعلم بالإشكاليّات والعقبات والتجارب الفاشلة التي تدعو إلى اليأس والإحباط لكنّه لم يستسلم حتّى فتح الله له ، والحال كذلك لبعض التجّار ، فقد سمعت من بعضهم أنّه عندما بدأ التجارة بشكل بسيط أخفق واستهزأ به بعض الناس ، غير أنّ إيمانه بالهدف وعمله الدؤوب ، وصبره حقّق له النجاح ، ففتح الله له أبواب الخير وأصبح ثريّاً ، وكذا حال من طلب العلم وأراد أن يحقّق خيراً لمجتمعه فواجه صعوبات وإشكاليّات ، ثمّ صبر وبذل جهداً تولّى الله تعالى أعماله وباركها .

القسم السادس

مبادئ الهدف الطموح

قال تعالى :

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾(١)

---

(١) المؤمنون ٢٣: ١١٥.

أهمّيّة تحديد الهدف.

من الأُسس الهامّة للتقدّم والنجاح تعيين الهدف والغاية في أيّ حقل من الحقول التي يريدها المرء؛ ذلك أنّ التعيين يمحور قدرات الإنسان فتتّحد في مسارٍ، أمّا من يسير دون تعيين الهدف فهو لا يدري إلى أين يتّجه، والآية التي أوردناها تؤكّد أهمّيّة تعيين هدفاً للحياة؛ لأنّ المرجع إلى الله تعالى والحياة لم يبدعها سبحانه عبثاً، بل من أجل الوصول إلى ساحة رضوانه، والأمر كذلك في أي مجال من المجالات، فمن أراد أن يكون عالماً أو طبيباً أو مهندساً أو صاحب حرفة ـ لحّاماً أو نجّاراً ـ لا بدّ أن يعيّن هدفه بدقّة ويسير إليه، ويتعرف على الطرق والآليات الموصلة له.

سلبيّات عدم التخطيط الهادف.

أمّا من يسير على غير هدف فيقع في إشكاليّة كبيرة حيث يفوته الوقت أثمن شيء للإنسان، فتمرّ السنوات دون أن يتقدّم في مجالٍ يُنمّي فيه شخصيّته ويحقّق فيه ذاته، فتضمحل قوّته، ويصبح كالغريق لكونه فوّت الكثير من الإمكانيّات، وإذا أراد أن ينقذ نفسه وجد أمواجاً تعتريه من كلّ جانب ولا يستطيع أن ينقذ نفسه بخلاف من حدّد هدفه بدقّة، فإنّ جهوده تصبح مكثّفة توصله لما أراد.

مبادئ تحقيق الهدف:

هناك مبادئ محدّدة لها أبلغ الأثر في تحقيق الهدف وهي:

الأوّل: الإعداد المسبق.

لعلّ من أروع الأمثلة ما نعايشه في كأس العالم لكرة القدم، فالاستعداد له يستغرق سنوات أربع يشتغل فيها المعنيّون ويخطّطون لتعيين المكان المناسب،

وترتيب كلّ ما له شأن في إنجاح الموسم الرياضيّ ، إنّ كرة القدم لها أهمّيّة كبيرة عند الرياضيّين فيهتمّ العالم بها وتخطّط لها دول من أجل إنجاح الموسم الكرويّ ، والشابّ له هدف يتوق أن يصل إليه أهمّ بكثير من كرة القدم ، وهو الوصول إلى الله تعالى وتحقيق التقدّم على أصعدة مختلفة ، إلّا أنّ بعض الناس يفشلون رغم أنّهم يتمتّعون بقدرات كبيرة وخلّاقة لعدم تعيين الهدف .

الثاني : تجاوز العقبات .

رأيت بعض طلبة العلم الذين يتمتّعون بالذكاء والقدرات الكبيرة متردّدين لا يدرون ، أيبقون طلبة علم أم يسلكون اتّجاهاً آخر ، فالمسار غير واضح لهم ، والغاية غير بيّنة ، بل هم في شكٍّ من أمرهم ، فتارة يُقبِلون على طلب العلم بحرارة ونَهم ، وأُخرى يتراجعون القهقرى لتأثير الظروف المادّيّة عليهم ، ومعنى ذلك أنّ الغاية والهدف غير ثابت في أذهانهم وليس لهم استعداد لمقاومة الظروف وتعدّي العقبات للوصول لما أرادوه ، إنّ من أراد أن يكون عالماً أو مهندساً أو طبيباً أو صاحب حرفة ولم يحدّد هدفه بدقّة تجده يُغيّر وجهته كثيراً ؛ لأنّ تحديد الهدف ومعرفة الآليات التي توصله إليه غير واضحين له رغم أهمّيّة ذلك .

الثالث : تحديد مجال التخصّص .

هناك مَثَلٌ جميل متداول بكثرة يقول : (سبع صنايع والبخت ضايع) وهو يُدلّل على معانٍ كثيرة منها عدم تحديد الهدف ، وكون ذلك يؤدّي إلى الضياع ، فمن لديه صناعات متعدّدة ومواهب وقدرات كبيرة ولم يستخدم قدراته في مجال محدّد ضاع ، وهناك مثال آخر لمن له قدرات وجمعها في مجال واحد فسوف يبدع ، فالإبداع يتوقّف على التخصّص . قال الشيخ البهائيّ ﷺ ـ عبقريّ وله تخصّصات مختلفة ـ : «ما جادلني ذو علمين إلّا وغلبته ، وما جادلت ذا علم إلّا وغلبني » ، أي

أنّ من يتخصّص في علم واحد يغلب العباقرة، ويصبح مرجعاً في تخصّصه إذا مَحوَر قُدُراته في تخصّصه.

الرابع: الاستمرار في التطوير.

إنّ تحديد الهدف والتطوير المستمرّ يُحوّلان المرء إلى رقم كبير، فلا يكفي أن يقوم الإنسان بتحديد الهدف دون السعي الجادّ وبذل الوسع في التطوير على الدوام، وهناك شخصيّة عظيمة كانت رائدة في هذا المجال على أكثر من صعيد وهي شخصيّة الشيخ الأنصاريّ ﵀ الذي كان آية في الذكاء والتحصيل العلميّ، فقد نُقل أنّ له زميلاً أعظم منه اسمه سعيد العلماء المازندرانيّ، وكان متقدّماً على الشيخ علميّاً، لكنّه ترك التحصيل، وعندما طُلب من الشيخ الأنصاريّ التصدّي للمرجعيّة أحالهم إلى زميله المتقدّم عليه في العلم والتحصيل، وأنّه لا بدّ من استيضاح الأمر في شأنه، ولمّا راسلوا سعيد العلماء؛ قال: إنّ كلام الشيخ صحيح، إلّا أنّني انقطعت عن التحصيل العلميّ بينما واصل الشيخ التحصيل ولم ينقطع، فالشيخ ﵀ كان مؤمناً بهدفه لم يُغيّر مساره، وبذلك وصل إلى الدرجة العالية، وكان الشيخ الأنصاريّ متأثّراً بنظرته القديمة لزميله.

الخامس: شحذ الهمّة.

إنّ من قرّر أن يكون طبيباً أو نجّاراً أو لحّاماً أو ميكانيكيّ سيارات لا بدّ أن يُطوّر نفسه في تخصّصه ومجال عمله ويقرأ ويسأل حتّى يتقن، وعليه أن لا يَملّ، بل يبقى مستمرّاً لا يتوقّف، قال تعالى مخاطباً لنبيّه ﷺ: ﴿**وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾[1]، والآية دعاء، والدعاء يستلزم بذل الجهد والعمل، وعلى المرء أن يسأل الله أن يرفع مستواه ويزيده علماً، بَيْد أنّ الاستمرار والعمل الدؤوب يتوقّف على شَحذ الهمّة،

---

(١) الأنبياء ٢١: ١١٤.

فمن حدّد هدفه وأراد أن يكون عالماً لن يصبح عالماً في يوم وليلة ، بل يحتاج إلى سنوات طويلة ، وتعترضه إشكاليّات لا حدّ لها ولا حصر ، وعقبات كأْداء ، وتساوره أفكار بعدم النجاح لصعوبة الطريق ، بالإضافة إلى تهبيط الهمّة من بعض الناس ، بصعوبة التخصّص ، كالطبّ والهندسة ، أو بالفترة الزمنيّة الطويلة للتخصّص الذي يستغرق فيه سنوات عديدة ويحتاج إلى جهد مضنٍ ، فيقوم ذلك البعض بتحبيذ التخصّصات السهلة والبسيطة إليه ، فإذا لم يلتفت لتلك المثبّطات وأصرّ مواصلاً ، وصبر شاحذاً لهمّته نجح ، إنّ شحذ الهمّة يتحقّق من خلال قراءة السير الذاتيّة للعلماء والعظماء ، ومعرفة كيف استطاعوا أن يجتازوا الصعاب .

السادس : الاستفادة من تجارب الآخرين .

وهناك طريقة أُخرى جميلة لشحذ الهمّة ، هي الحكمة ، إنّ الحكمة تختزل كتباً وأفكاراً قيّمة ، وقد تلخّص كتاباً يربو على سبعمائة صفحة ، حكمة من كلمتين .

تُطوّر الحكمة الإنسان تطويراً مذهلاً وكبيراً ، ولقد أبدع علماء ومؤلّفون كباراً بسببها ، وهناك تجربة جميلة ورائدة تحقّقت بواسطة حكمة كانت تشحذ الهمّة ، وتجعل من يقرأها قاطعاً .

إنّ الإنسان يخبو أواره وتقلّ عزيمته كما تكبو السكين ، فتُسنّ لتقطع بسرعة ، ومن بردت همّته وأراد أن يكون عالماً ولاقى صعاباً يحتاج إلى أن يقرأ حكمة لتعيد النشاط والحيويّة والاستمرار ، وتزيل السأم ، ومن أروع الحكم ما جاء عن إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة ، وهناك أيضاً حِكَم للعلماء والمؤلّفين ، كما أنّ هناك شخصيّات كبيرة اعتمدت الحكمة في استمرار عملها ، إنّ الحكمة أشبه بوقود نوويّ يستمرّ طويلاً ، ويبقى ما شاء الله .

فالشيخ محمّد جواد مغنية له مؤلّفات منتشرة امتازت بالسهولة واليسر ، وانتشرت كثيراً ، وكان رحمه الله من أكثر العلماء إنتاجاً ؛ إذ أنّ الكثير منهم ليس له مؤلّفات ؛

لأنّ التأليف يحتاج إلى وقت وبذل جهد كبير، وكان الشيخ إذا دخل عليه شخص ورأى إنتاجه الغزير، يتعجّب منه كيف استطاع ذلك، وعندئذٍ يشير الشيخ إلى حكمة مكتوبة أمامه مرويّة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا، وَيَأْخُذَانِ مِنْكَ فَخُذْ مِنْهُمَا**»(١)، تبيّن هذه الحكمة أنّ الوقت إذا لم يُستفَد منه سيمرّ هادماً لقوى الإنسان ملاشياً لقدراته، أمّا إذا استفيد منه فمُلِئ بالعمل تحقّق الإنتاج، وكان الشيخ رحمه الله يرى أنّ حياته التأليفيّة مرتبطة بهذه الحكمة فيقرؤوها ثمّ يبدأ الكتابة، وإذا لم يكتب في وقتٍ فمعنى ذلك أنّ الوقت أثّر فيه دون الاستفادة منه، فهذه الحكمة أفضل من كتابٍ كبيرٍ يقرؤوه المرء، لأنّها تجدّد العزيمة والنشاط وتعطي الحيويّة، ولذا وضعها الشيخ أمامه وكان يستفيد منها أيّام حياته.

إنّ من لم يشحذ همّته بالحكمة وقراءة سير العظماء ضُعف عمله وبردت عزيمته وقلّ نشاطه، ولا يختصّ ذلك بالتأليف وطلب العلم، بل في كلّ مجالات الحياة، فتطوير المرء لنفسه وعمله يرتبط بالتحفيز الذاتيّ من خلال الحكمة وجودة العمل والاستمرار حتّى يصبح من المبدعين.

السابع: الثبات والتغلّب على الصعوبات.

هناك مسألة نختم بها لأهمّيّتها، هي أنّ الإنسان يجد عزيمته قويّة أوّل ما يبدأ غير أنّها تبرد، وتستنفذ ويرى نفسه متوقّفاً يصعب عليه الاستمرار، فالإنسان كالسيّارة في بداية انطلاقتها قد تواجه صعوبة حتّى إذا انطلقت سهلت حركتها وازدادت سرعتها شيئاً فشيئاً، والأمر كذلك في شخصيّة الإنسان في عمله، فمن يريد أن يخدم في الميادين الاجتماعيّة سيجد الكثير من الصعوبة ثمّ تسهل له الأُمور

(١) غرر الحكم: ١٥١، الرقم ٢٧٨٩. عيون الحكم والمواعظ: ١٤٤، الرقم ٣٢١٢.

ويجتاز العقبات ، ويتطوّر شيئاً فشيئاً حتّى يصبح التطوّر والسرعة جزءً من شخصيّته لا يستطيع الفكاك عنه ، ومن أراد أن يصبح كاتباً فعليه أن يبدأ الكتابة ثمّ يطوّر نفسه تدريجيّاً وسيواجه صعوبة في البداية ، ثمّ تسهل عليه الأُمور شيئاً فشيئاً حتّى يتعوّد عليها وتصبح جزءاً من شخصيّته ، فإذا لم يكتب يوماً مرض ، فلا يستطيع ترك الكتابة .

الهدف جزء من الشخصيّة .

وكذا من أراد أمراً آخر وبرمج نفسه عليه ، وسار على الخطوات التي شرحناها ، وأراد أن يصبح متخصّصاً ، والعلماء يطلقون على ذلك ملكة ، أي أنّ وصول المرء لما يريده يتوقّف على أن يكون سيره ملكة ، إنّ تحصيل الملكة أمر صعب ، غير أنّها تأتي بنحو طبيعيّ ، فأصعب الأشياء على الإنسان الكلام والمشي إلّا أنّهما بعد تعلّمهما يتأتّيان بتلقائيّة طبيعيّة ولا يلاقي فيهما المرء صعوبة ، لأنّهما يصبحان جزءً من شخصيّته ، فيتحدّث بنسقٍ طبيعيّ ، والحال كذلك في أيّ مجال يريد المرء أن يتخصّص فيه .

لقد كان السيّد الخوئيّ ﵀ مثالاً يحتذى ، فرغم أنّ عمره يربو على تسعين سنة ، إلّا أنه كان يقرأ كثيراً ، وعندما تمر عليه ظروف مرضيّة لكونه بديناً لا يترك القراءة ، وذات مرّة أمره الطبيب بتركها لئلّا يزداد مرضه ، فقال السيّد ﵀ للطبيب لو تركت القراءة لازداد مرضي ، فقال الطبيب : إن قرأت ستموت لعدم القدرة لديك ، فضحك السيّد وقال : إذا لم أقرأ سأموت ؛ لأنّ القراءة أصبحت جزء من شخصيّته ، وإذا لم يقرأ انهارت قواه ولم يستطع مزاولة أي عمل آخر .

إذن على المرء أن يحدّد هدفه بدقّة ويسير إليه مستمرّاً ، ويصبر سنوات طويلة دون تغيير للهدف ، وعليه أن لا يضع أهدافاً متعدّدة فإنّ ذلك يشتّت جهوده ويبعده عن الوصول إلى الغاية .

القسم السابع

مبادئ السير والسلوك إلى الله تعالى

قال تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَىٰ﴾(١)

من الأُمور الهامّة التي تؤثّر إيجابيّاً في تقدّم الإنسان على الأصعدة المختلفة الالتفات إلى علم الله تعالى وإحاطته، ولإيضاح المطلب نذكر بأنّ العلماء قالوا إنّ العلم وحده لا يكفي لرقيّ الإنسان، بل لا بدّ أن يقرنه بالمراقبة الذاتيّة، ويلتفت إلى ما صدر منه من أعمال، وينظر إلى علم الله تعالى وإحاطته به في كلّ عمله، ثمّ يراقب نفسه هل أنّه جاء به لله تعالى ولرضاه وينتفع به في دنياه وأُخراه ويفيد الآخرين أم لا؟

هذه المسألة من الأهمّيّة بمكان للمؤمن بالله تعالى؛ إذ أنّ قسماً من الناس يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر، وعمله في الدنيا طبقاً لإيمانه بالله تعالى ولما يحصل عليه من خير في الدنيا والآخرة، فالأعمال تؤثّر تأثيرات إيجابيّة وسلبيّة في الدارين، وكلّ عمل من الأعمال الظاهرة والخفيّة التي لا يعلم بها إلّا الله تعالى له تأثيراته، وقد ربطت الروايات الأمرين الآنفين بثالث وهو حساب الأعمال ومدى تأثيرها في التقدّم على الصعيدين المادّيّ والمعنويّ، ومن أبلغ ما جاء في الحكم والروايات لحساب الأعمال ما ورد عن إمامنا الكاظم عليه السلام: «**مَنِ اسْتَوىٰ يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ يَوْمَيْهِ شَرَّهُمَا فَهُوَ مَلْعُونٌ**»(٢).

---

(١) العلق ٩٦: ١٤.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ٦٦٨.

محاور السير والسلوك إلى الله.

إذن هناك ثلاث محاور هامّة تُعد أُسساً للسير والسلوك إلى الله تعالى :

الأوّل: العلم بإحاطة الله تعالى.

الثاني: المراقبة الذاتيّة ، قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾(١).

الثالث: حساب الربح والخسارة.

شموليّة السير والسلوك إلى الله:

إنّ الأُمور الثلاثة الآنفة عظيمة الأثر للمؤمن بالله تعالى واليوم الآخر في اطّراد تقدّمه على الأصعدة المختلفة ، وسوف نستعرض هذه الأُمور الثلاثة بتفصيل أكثر على التوالي :

الأوّل: العلم بإحاطة الله تعالى.

من عَلِمَ أنّ الله تعالى يحيط به علماً ، وتلك بديهيّة لا يمكن أن يناقش فيها المؤمن ، فسوف يؤثّر علمه على كلّ مفردة من أعماله ، ولذلك آثار متعدّدة أهمّها أثران :

أوّلاً: تجنّب الوقوع في السوء.

إذا صدر من الإنسان عمل فسوف يرى الله تعالى ناظراً إليه ، ومن رأى الله تعالى يحيط به علماً تجنّب السوء وصدر منه الخير ، وقلّ الجانب السلبيّ ، وصعب عليه صدور السيّئات ، وحتّى إذا فلت الزمام منه تدارك أمره بذكر الله ، قال تعالى :

---

(١) سورة ق ٥٠ : ١٦.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ﴾(١)، فيعود إلى رشده ويتلافى سيّئ العمل بالحسن.

ثانياً: عدم الإضرار بالناس.

يرتبط تقدّم الإنسان بالعلم والمهارة والتخطيط، وقد يخطّط ثمّ يكتشف أنّ ذلك ليس في صالحه الأُخرويّ.

نُقل أنّ أحد التجّار حصل على معلومة بأنّ محصول السكّر سيقلّ في هذه السنة لقلّة الأمطار، فاغتنم التاجر ذلك واشترى جميع السكّر من السوق لعلمه بتضاعف سعره، وطمع الناس في الحصول عليه، ورغم أنّ الأمر يرجع إلى بيع وشراء على النسق الشرعيّ الذي لا يستشكل فيه بعضٌ، غير أنّ التاجر عندما ذهب إلى بيته وأخلد إلى فراشه، وعلم بأنّ الله تعالى يحيط به علماً تجلّت في نظره معادلتان: الدنيا والآخرة، فراقب نفسه، وبدأ في حسابها، ونظر أنّ عمله الذي قام به فيه إضرار بالناس لأنّهم في غفلة لا يدرون بما خُطّط له.

عواقب الإضرار بالناس.

إنّ على المرء أن يلتفت إلى عدم الإضرار بالناس في المعاملات والمسألة لا ترجع إلى الجواز والحرمة فحسب، بل لا بدّ من انتفاء الضرر والضرار في المعاملات، وعلى من سُئل أن لا يجيب حتّى يلحظ ذلك، ولا يتسرّع للإجابة بالجواز، بل ينظر إلى التأثير السلبيّ للمعاملة من خلال الإضرار بالناس، فبعض المعاملات مشروعة ظاهراً لكنّها مضرّة بالناس في الواقع، وقد توجب سحب أموالهم وهم لا يشعرون، وإذا انتبه التاجر لهذا الأمر، وعلم أنّ شراءه إضرار بالناس فلا يجوز له ذلك؛ لأنّهم لا يعلمون معادلة العلم والاقتصاد، والتاجر عالم بنهاية

---

(١) الأعراف ٧: ٢٠١.

الموسم ولديه قوّة شرائيّة ومكنة بتخزين البضائع ، والله تعالى عالم بنيّة التاجر وتأثير الصفقة في الإضرار بالناس ، فعمله ليس فيه رضا لله تعالى ، وإذا علم التاجر أنّ الله تعالى يراه وراقب نفسه تغيّر اتّجاهه ولن يهمّه الربح الوفير على حساب الإضرار بالناس ، بل سوف يكون همّه تحقيق رضا الله تعالى وحصوله على ما يعود عليه بالنفع الماديّ والمعنويّ دون الإضرار بالآخرين ، وينبغي أن تكون كلّ المفردات في المعاملات على هذا النسق فلا تشاب بغشّ ، خصوصاً لمن يمتلك مهارات التسويق والبيع فإنّ عليه أن يستشعر إحاطة الله تعالى به واقعاً ، ويراقب أعماله ويحاسب نفسه ، عندئذٍ تتغيّر المعادلة لديه ، ويشتغل ضميره بقوّة لتأنيبه إذا أخطأ فيرجعه إلى رشده.

إنّ الضمير يبتهج ويطمئنّ منشرحاً إذا سار المرء على الحقّ ، والعكس من ذلك إن أضرّ بالآخرين ، فإنّ الضمير سينبّهه إضراره بنفسه في الدنيا قبل الآخرة ؛ لأنّ العواقب السلبيّة للأعمال تؤثّر في الدنيا قبل الآخرة ، وللأحسائيّين مثال جميل إنّ الله لا يضرب بعصا ، فضربه تعالى أشدّ إيلاماً من العصا ، وتأثيره لا حدود له في الدنيا والآخرة.

الثاني : الرقابة الذاتيّة.

إنّ الرقابة الذاتيّة جدُّ هامّة ، ولها دخل في الأعمال المادّيّة والمعنويّة ، وننوّه هنا أنّ العمل الماديّ والمعنويّ يتقاطعان ويتواصلان فيما بينهما ، فالأعمال المادّيّة يمكن أن تتحوّل إلى معنويّة ، وكلّ عمل إذا تقرّب به إلى الله تعالى أصبح عباديّاً ، فالبيع والشراء وغيرهما إذا كانا لأهداف معنويّة أو تُقرّبَ بهما تحوّلا إلى عمل معنويّ.

وقد بيّن الإمام عليّ عليه‌السلام للعلاء بن زياد الحارثيّ ذلك عندما عاده ورأى سعة داره قال : « **مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا ، أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ**

أَحْوَجَ ، وَبَلىٰ إنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ ، تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ ، وَتَصِلُ مِنْهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا ، فَإذاً أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ»(١) ، فالدار إن اُريد بها المباهاة فهي إضاعة لعمر الإنسان ، أمّا إذا قصد بها قضاء حوائج الناس ، وإكرامهم ، والإسهام في الإنماء والبناء الاجتماعيّ كانت للآخرة ، والإمام عليه السلام يجري مقايسة بين من يبني قصراً كبيراً فيتحوّل إلى وباء ، أو يبنيه فيتحوّل إلى إنماء للمجتمع ، فالعمل واحد غير أنّ المردود اختلف فهو إيجابيّ تارة وسلبيّ اُخرى .

الرقابة في المنهج والاتّباع .

الرقابة على المفردات التي تصدر من الإنسان من بيع وشراء ، وحديث وإسداء نصيحة ، والنظر في القيام بالواجب أو التقصير فيه ، كلّ ذلك رقابة ذاتيّة ومحاسبة موجبة للزيادة ، قال إمامنا الكاظم عليه السلام : «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ**»(٢) ، أي ليس من المتّبعين لمنهج أهل البيت عليهم السلام ، فاتّباع منهجهم عليهم السلام من اُسسه المراقبة والمحاسبة لما صدر من أعمال على الصعيدين المادّيّ والمعنويّ ، فيراقب المرء صلاته وصومه وصدقته وبرّه لوالديه ، ويعرف المقصد والغاية من عمل الخير ، ورغم أنّ أعمال الخير لله تعالى إلّا أنّ ذلك يوجب تحفيز الذات والتقدّم المطّرد ، وقد أمر الله تعالى بذلك من خلال المقايسة بين الحسنة والسيّئة فالحسنة بعشر والسيّئة بمثلها ، قال تعالى : ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾(٣) . إنّ ذلك يحقّق الدافعيّة ، فيفرح الإنسان ويحزن بجزاء عمله ، وقد أكّدت الأحاديث أهمّيّة المقارنة بين عمل الخير والشرّ .

---

(١) بحار الأنوار : ٤٠ : ٣٣٦ .

(٢) وسائل الشيعة : ١٦ : ٩٥ ، الباب ٩٦ من أبواب جهاد النفس ، الحديث ١ .

(٣) الأنعام ٦ : ١٦٠ .

قال الإمام السجّاد عليه السلام : «وَيْلٌ لِمَنْ غَلَبَتْ آحَادُهُ أَعْشَارَهُ»(١) ؛ لأنّ الحسنة بعشر أمثالها والسيّئة بمثلها ، فكيف يغلب الواحد عشرة !

الثالث : حساب الربح والخسارة .

معرفة الربح والخسارة والمقارنة بين الأعمال مبدأ هامّ لتقدّم المرء فينظر إلى ما صدر منه من أعمال خير أو سوء ، ويقيس بين أمسه ويومه ، ويستشرف غده من أجل التقدّم لأعمال الخير ، فإذا رأى أنّه وصل رحمه ، وأدّى نافلة ، وتصدّق ، غير أنّه صدر منه ذنب استغفر وتلافى تقصيره فحصل على الخير كلّه ، وإذا رأى أنّه لم يأتِ بأعمال طيّبة كأعماله الماضية أدرك خسارته .

طرق تجاوز السلبيّات في الخسارة :

إذا أردنا تجاوز سلبيّات الخسارة لا بدّ أن نسعى بجدٍّ ، ونبذل قصارى الوسع في تجنّب وتلافي تلك السلبيّات التي لها آثار وخيمة على الفرد وعلى المجتمع بأسره ، ويتطلّب هذا تجاوز ثلاثة أُمور :

الأوّل : تلافي الأعمال السيّئة .

تبيّن الآيات والروايات تأثير الأعمال الإيجابيّة ، وتدعو إلى شكر الله تعالى للحصول على مزيد لطفه ورحمته ، ليكون ذلك دافعاً للتخلّص من آثار السيّئات ، ولعلّ من أهمّ ما ورد لدفع الآثار السيّئة التي قد تحرق الأعمال الصالحة ـ خصوصاً لمن فهم معنى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢) ـ الاستغفار والإنابة والتوبة لله تعالى .

---

(١) بحار الأنوار : ٦٨ : ٢٤٣ .

(٢) المائدة ٥ : ٢٧ .

الثاني: تلافي النقص في العمل.

يظنّ بعض الناس أنّ حساب الربح والخسارة مسألة عادية، غير أنّها غاية في الأهمّيّة. عن إمامنا الصادق عليه السلام: «**مَنِ اسْتَوىٰ يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ يَوْمَيْهِ خَيْرَهُمَا فَهُوَ مَغْبُوطٌ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ يَوْمَيْهِ شَرَّهُمَا فَهُوَ مَلْعُونٌ**»(١) بيان لأهمّيّة المقايسة وضرورتها؛ إذ أنّ المرء لا بدّ له من مقارنة يومه بأمسه، ورؤية كم فعل من خير في يومه، وكم فعل من خير في أمسه، والمحاولة لملئ الوقت بالعمل الصالح، وهناك كثير من الأعمال الصالحة حتّى أنّه يصعب على المرء أن لا يجد عملاً صالحاً يقوم به لكثرتها، ويكفينا ذكر الله تعالى، وقضاء حوائج المؤمنين، والصدقات، وقراءة القرآن الكريم، فالوقت لا يكفي للإتيان بكلّ أعمال الخير، ولا بدّ من أجندة يقدّم فيها الأولويّات ويُرى بها فعل ما شاء ممّا يتلاءم مع المزاج والصحّة والوقت، وقد لا يتحمّل جسده المشقّة والعناء لكثرة أعمال الخير وحرصه على الإتيان بها، قال قال المتنبّي:

وَإِذا كانتِ النُّفوسُ كِباراً تَعَبَتْ في مرادِها الأَجْسامُ(٢)

الثالث: تلافي إهدار الوقت.

من يعيش بنفس كبيرة فإنّ جسده لا يتحمّله ويصبح ضعيفاً، وذلك أنّ آمال الإنسان لا يبلغها ووقته لا يكفيه، ولو صرف عمره لطلب العلم لم يحصل على كلّ ما يريد، غير أنّ بعض الناس لجهله يتخلّص من الوقت، ويسأم من طوله، ويقول أنّه يريد قتله، وبعضهم الآخر يرى قلّة الوقت لكثرة أعماله، وعدم إسعاف الوقت لإنجازها، وذلك حقّ، فمن أراد أن يتخصّص في علم واحد استغرق وقته كلّه

---

(١) وسائل الشيعة: ١٦: ٩٤، الباب ٩٥ من أبواب جهاد النفس، الحديث ٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٣: ٢٩٢ و: ١١: ١٣٢.

لمحدوديّة الوقت ، إنّ ملأ الوقت بالعمل له أثره الطيّب وهو خلاص الإنسان من الغمّ والهمّ والألم وزوال الآثار السلبيّة ، وقطف الثمار الطيّبة لأعمال الخير في حياته الدنيا قبل الآخرة ، فيرى جمال الأشياء ، ويعيش الرفاهية في المال أو البال ، كأثر وضعيّ لعمله الصالح ، قال النبيّ ﷺ عندما حُدّث عن كريم أنّه يقري الضيف ، ويعطي المحتاج ، « **أما أنّه لن يصاب من نسله أحد بفقر** »، أي أنّ الأثر الإيجابيّ ينعكس على نسله .

مفهوم اللعن العامّ والخاصّ .

ولا بدّ لنا هنا من استيضاح ما يبدو مستغرباً من اللعن في الحديث الآنف الذكر ؛ إذ اللعن له مفهوم عامّ ، وهو الطرد عن رحمة الله تعالى ، ويشمل نقص الخير ، فمن كان يحصل على كمّيّة كبيرة منه فأنقصها وهبط مستواه يدرجه تحت دائرة اللعن بالمعنى الأوسع ، فهو من المفاهيم التشكيكيّة ، ويتّضح معناه بما ورد في الروايات ، قال مولانا صاحب الزمان عليه السلام : « **مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ أَخَّرَ الْعِشَاءَ إِلىٰ أَنْ تَشْتَبِكَ النُّجُومُ . مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ أَخَّرَ الْغَدَاةَ إِلىٰ أَنْ تَنْقَضِيَ النُّجُومُ** »[١] ، فوقت العشاء يتّسع إلى منتصف الليل أو إلى طلوع الفجر ، إلّا أنّ اللعن جاء بالمعنى الأوسع ـ وهو نقص الخير ـ فصلاة العشاء إذا أُتي بها في وقتها حصل المرء على الدرجة الكبيرة المقرّبة ، فالصلاة في أوّل وقتها رضوان الله ، وفي آخره عفو الله تعالى ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « **أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللهِ ، وَآخِرُهُ عَفْوُ اللهِ ، وَالْعَفْوُ لَا يَكُونُ إِلّا مِنْ ذَنْبٍ** »[٢] ، وكم فرق بين الرضوان والعفو . إذن جاء اللعن بمعنى قلّة الثواب ونقص الدرجة العالية من الرحمة .

---

(١) بحار الأنوار : ٧٩ : ٣٥١ ، عن الاحتجاج : ٢ : ٤٧٩ .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ١ : ٢١٧ ، الحديث ٦٥١ .

نتائج محاور السير والسلوك.

إنّ المعادلة الثلاثيّة التي أوضحناها بسيطة جدّاً، فمفردتها **الأُولى** العلم بأنّ الله تعالى يحيط بالخلق علماً، أي بالجزئيّات، قال تعالى: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾(١).

والثانية المحاسبة والمراقبة، فلابدّ أن يحاسب المرء نفسه ويرى ما صدر منه، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾(٢).

والثالثة المقارنة بين الربح والخسارة على الصعيدين الماديّ والمعنويّ، فينظر الأعمال التي صدرت منه في يومه وأثرها الإيجابيّ في تقدّمه اقتصاديّاً وصحّيّاً ونفسيّاً ومعنويّاً، فإذا مارس الرياضة وعرف أثرها الصحّيّ أصبح مدركاً لتأثيرها السلبيّ عند تركها، قال الإمام الكاظم عليه السلام: «**مَنِ اسْتَوىٰ يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ يَوْمَيْهِ شَرَّهُمَا فَهُوَ مَلْعُونٌ**»، وهي تحقّق للمرء سموّاً في روحه، وارتقاءً في نفسه، وتقدّماً على الأصعدة المختلفة.

القسم الثامن

الالتجاء إلى الله تعالى

قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**

---

(١) الأنعام ٦: ٥٩.

(٢) سورة ق ٥٠: ١٦.

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(١)

معوّقات الطموح.

هناك عقبات كأْداء تعترض سبيل الإنسان في الحياة الدنيا رغم امتلاكه لفكر خلّاق وقدرات كبيرة وطموحات هائلة، وتقف أمام قدراته وطموحاته، تلك العقبات لتؤثّر على مساره وتحدّ من طموحه، بل قد توقفه، فالأحداث التي تمرّ عليه، وما يتعرّض له من ابتلاءات كثيرة في نفسه وأهله، وماله وولده، وأحبّائه وأصدقائه يؤثّر على استقراره الشخصيّ، وقد لا يستطيع أن يكمل مساره، ويصبح طموحه أدراج الرياح، فقد يخطّط ليحقّق نجاحاً علميّاً أو اقتصاديّاً أو اجتماعيّاً، وسرعان ما يُبتلى بمرض عضال كالسرطان فيترك مشروعه الذي كان يحقّق شخصيّته.

فكم شخص كان يأمل أن يجعل من أُسرته أُسرة مثاليّة ببذل مزيد من الوقت والمال لها، وتعليمها باستمرار، والعمل الجادّ لرقيّها، وسرعان ما تتفكّك تلك الأُسرة أو تصاب بحريق تصبح وجوهها مشوّهة، وأبدانها غير طبيعيّة، بل تصاب بإعاقات دائمة ومستمرّة، وكم شخص بنى طموحاً كبيراً على أحد أبنائه أو بناته ليكون بمستوى مرموق ومتميّز، وسرعان ما مرض الابن بمرض عضال تمنّى والده أن يعيش ابنه عادياً غير متميّز ويهنئ بحياة طبيعيّة.

تأثير المصائب على الطموح.

المصائب التي تمرّ على الإنسان قد تعيي صبره، وتفقده اتّزانه، وتجعله لا يعرف أين يلتفت، يميناً أو شمالاً، فالحياة فيها إشكاليّات كبيرة. نعم، قد لا يصاب بعض

---

(١) غافر ٤٠: ٦٠.

الناس بها، ولكن بعضهم الآخر يصاب بها، وكلٌّ معرض باحتمال الإصابة فيؤثّر ذلك في الطموح والاستقرار.

الحصانة من تأثير الابتلاء.

ويستطيع الإنسان أن يبقى مستمرّاً في حياته الطبيعيّة، هادئاً باله، عاملاً لرقيّه وتفوّقه، وبناء أُسرته ومجتمعه، وذلك بالدعاء، فهو أعظم ما وُضع كأمان للاستقرار ودفع البلاء وحصانة من الابتلاءات، بل حتّى إذا حدثت تلك الابتلاءات لا تؤثّر في مساره.

أوقات استجابة الدعاء.

وللدعاء أوقات استجابة إذا دعا الإنسان ربّه فيها لمس الإجابة، كوقت السحر، وعصر يوم الجمعة، وعند نزول المطر، ويوم عرفة، والأشهر الثلاثة ـ رجب وشعبان ورمضان ـ فيستطيع فيها الإنسان أن يستمرّ في دعائه آناء الليل وأطراف النهار، ودعاؤه يعادل وقت السحر، فكلّ ساعة في رجب سحر، وكذلك في شعبان ورمضان، إنّ الدعاء في رجب كالدعاء عصر يوم الجمعة، وكالدعاء عند نزول المطر، فالدعاء في الأشهر الثلاثة وقته مفتوح للإنسان، ومن توجّه إلى الله تعالى ودعاه ملتجئاً إليه حصل على ما يريد.

تراث أهل البيت عليهم‌السلام في شهر رجب.

لقد أعطى الأئمّة من أهل البيت عليهم‌السلام زاداً معنويّاً كبيراً يستطيع به الإنسان أن يتخلّص من العوائق، ويزيل العقبات، ويفتح المغلقات أمامه، ولن يجد سدّاً أمامه، بل فرجاً ومخرجاً ممّا ألمّ به من كربه، وفي الأدعية إيماءات إلى هذا المعنى خصوصاً أدعية شهر رجب، كالدعاء الذي يقرأ في دبر كلّ صلاة: « **يا مَنْ أَرْجُوهُ**

لِكُلِّ خَيْر، وَآمَنَ سَخَطَهُ عِنْدَ كُلِّ شَرٍّ، يا مَنْ يُعْطِي الْكَثيرَ بِالْقَليلِ، يا مَنْ يُعْطي مَنْ سَأَلَهُ، يا مَنْ يُعْطي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً، أَعْطِني بِمَسْأَلَتي إِيّاكَ جَميعَ خَيْرِ الدُّنْيا وَجَميعَ خَيْرِ الآخِرَةِ، وَاصْرِفْ عَنّي بِمَسْأَلَتي إِيّاكَ جَميعَ شَرِّ الدُّنْيا وَشَرِّ الآخِرَةِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَنْقُوص ما أَعْطَيْتَ، وَزِدْني مِنْ فَضْلِكَ يا كَريم، يا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرامِ، يا ذَا النَّعْماءِ وَالْجُودِ، يا ذَا الْمَنِّ وَالطَّوْلِ، حَرِّمْ شَيْبَتي عَلَى النّارِ»(١)، ونستعرض بعض فقراته مُبيِّنين نقاطاً هامّة فيه.

الأُولى: حصر الرجاء في الله تعالى.

إنّ الله تعالى هو المرجوّ لكلّ خير، وإذا أمّل الإنسان أن يحصل على خيرٍ وعلّق رجاءه على غير الله تعالى انقطع رجاؤه، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**وَانْقَطِعْ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّهُ يَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَأُقَطِّعَنَّ أَمَلَ كُلِّ مَنْ يُؤَمِّلُ غَيْرِي بِالْيَأْسِ**»(٢)، أي لم يصل إلى مراده، أمّا إذا علّق رجاءه بالله تعالى أوصله إلى ما رجاه؛ لأنّه تعالى بيده ملكوت السماوات والأرض، وهو على كلّ شيء قدير، وتكمن أهمّيّة الدعاء في تغيير القناعات بالاستناد إلى القدرة اللّامتناهية لله تعالى، ولإيضاح ذلك نشير أنّه لو جاء ثريّ وتكفّل براتب ممتاز لفقير، وبإعطائه بيت وشراء سيّارة، وقال له: سأُحقّق لك ما ترجوه، حصل الموعود على بهجة، وتغيّرت أحواله، رغم أنّ الثريّ لم يُعطه مالاً بل وعداً، وهو ـ أي الثريّ ـ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، أي أنّه وعد ولم يُعط، غير أنّ قناعة الموعود أنّ الثريّ يستطيع تلبية حاجته غيّرت أحواله ونفسيّته من البؤس إلى السعادة، ومن القنوط إلى الانفتاح بمجرّد الوعد، وقد لا يكون صحيحاً، وقد لا يفي به الواعد، وهذا بخلاف ما لو كان من أعطى الوعد هو الصادق تعالى الذي لا يخلف وعده،

---

(١) بحار الأنوار: ٩٢: ٣٦٠ و: ٩٥: ٣٩٠ و ٣٩١، عن رجال الكشّي: ٣٦٩.

(٢) بحار الأنوار: ٩١: ٩٥.

وأمر بدعائه ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾، ولا ينقصه ما يعطيه من النعم، وما يدفعه من النقم، وما يحقّقه من فضل، ولو أعطى الخلائق ما طلبوا لما نقص من ملكه قطمير، ولا حبّة شعير، والله تعالى بيده خزائن السماوات والأرض وهو على كلّ شيء قدير.

الثاني: آثار اللجوء إلى الله تعالى.

إذا التفت العبد إلى الله تعالى، وأنّه المالك المطلق الذي بيده ملكوت كلّ شيء، والقادر أن يهب، وأنّه تعالى أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، انشرحت نفسه، وابتهجت روحه، واطمأنّ فؤاده بالله تعالى، فاللجوء إلى الله تعالى له آثار نستعرضها على التوالي:

أوّلاً: رفع البلاء والأمراض.

إذا أُصيب الإنسان بمرض عضال أعيى الأطبّاء كالسرطان، والتجأ إلى الله تعالى عالماً أنّه تعالى يستطيع أن يشفيه وأن يغيّر حاله، فإن كان فقيراً فالله تعالى هو الغنيّ المطلق القادر على إزالة فقره وإغنائه، وإنْ كان مصاباً بأيّ إصابة في أيّ مجال، فإنّ الله تعالى قادر على نجدته.

والقرآن الكريم حدّثنا عن الأنبياء والرسل عندما تعرّضوا لابتلاءات شتّى، فبعضهم ابتلي في نفسه، وبعضهم في ماله، أو في ولده، وبعضهم في أُمّته، غير أنّهم لجؤوا إلى الله طالبين إيّاه فأعطاهم، فأيّوب عليه السلام أُصيب في نفسه وولده، ففقد كلّ أولاده، وهم اثنا عشر فلم يبقَ منهم أحد، وما أعظم أن يفقد المرء اثني عشر ولداً ولا يبقى له واحد منهم، والتجأ عليه السلام إلى الله تعالى فأجاب دعوته وأعطاه الضعف، قال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ**﴾[1]، فأصبح بدل الاثني عشر أربعاً وعشرين ولداً.

---

(١) الأنبياء ٢١: ٨٤.

ثانياً: الحفظ والحصن القويّ.

تعرّض إبراهيم عليه السلام لامتحان عسير في مواقف متعدّدة بإلقائه في النار تارة، وبذبح ابنه تارة أُخرى، وبمواجهة النمرود الذي يرى أنّه الإله ثالثة، فقد ألقى بإبراهيم في تلك النار العظيمة، غير إنّ إبراهيم عليه السلام أيقن أنّ الله تعالى قادر على إنجائه من المحنة، ولا حدّ لقدرته تعالى، والنار هو تعالى الذي جعلها سبباً للإحراق، وهو القادر على وضع مانع عن تأثيرها أو إزالة سببيّة السبب، فهو تعالى الواضع وهو المانع، فاستجاب له ربّه قال تعالى: ﴿**قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾(١)، وقصّته عليه السلام عظة نستفيد منها في حياتنا.

ثالثاً: دفع الهمّ وإزالة الكرب.

من توجّه إلى الله تعالى معتقداً أنّه تعالى قادر على أن يغيّر حاله من المرض إلى الصحّة، ومن السقم إلى الشفاء، فهو المنقذ، والمغيّر للأحوال، فالصدّيق يوسف عليه السلام أُلقي في الجبّ، ودعا الله تعالى وجاءت سيّارة ـ قافلة ـ أخرجته من الجبّ بإذنه تعالى، وذا النون ـ يونس ـ ابتلعه الحوت، وغطس به في البحر، وأيقن عليه السلام أنّ الله تعالى منزّه من النقص فسبّحه ونجا، قال تعالى: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾(٢).

رابعاً: تقوية الإيمان والعزيمة.

إنّ من قرأ أدعية رجب، ودمج بينها وبين أدعية القرآن وإيماءاته وإشاراته، عَلِمَ أنّ القدرة المطلقة لله تعالى تخلّصه من الكرب، وتزيل عنه العوائق، وتفتح له ما انغلق، فيحصل على ما يبتغيه، ولن يقف سَدٌّ أمامه أبداً؛ لأنّ الله تعالى هو القادر

---

(١) الأنبياء ٢١: ٦٩.

(٢) الأنبياء ٢١: ٨٧.

المطلق، والمهيمن الرازق والمعطي الذي لا حدّ لقدرته، وإذا آمن الإنسان بذلك فلن يؤثّر عليه مصاب لأنّه يؤمن بقدرة الله تعالى وهو قادر على إخراجه ممّا ابتلاه، وقد يخرج وهو أقوى عزيمة، وأقدر على تحمّل المصائب؛ لأنّ الابتلاءات دروس لرفع مستوى الإنسان وشخصيّته، وهذا معنى «**يا مَنْ اَرْجُوهُ لِكُلِّ خَيْر، وَآمَنَ سَخَطَهُ عِنْدَ كُلِّ شَرٍّ**»، فكلّ الشرور التي تمرّ على الإنسان إذا التجأ إلى الله تعالى كفاه إيّاها، قال تعالى: ﴿**أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾(٢)، فهو القادر على إزالة الكرب وكشف البلاء، من هنا يأتي دور الاعتقاد الجازم بالله تعالى والإيمان بقدرته التي لا حدّ لها.

خامساً: حصول الأمن ونزول الخيرات.

يلجأ بعض الناس إلى غير الله تعالى، ويحصل على أمان نسبيّ، ولا إشكال في ذلك، فيلجأ الفقير إلى الغنيّ لرفده، غير أنّ الغنيّ المطلق والقادر هو الله تعالى «**وَآمَنَ سَخَطَهُ عِنْدَ كُلِّ شَرٍّ، يا مَنْ يُعْطِي الْكَثيرَ بِالْقَليلِ**»، إنّ المرء يفعل أعمالاً بسيطة ويحصل على عطاءٍ من الله تعالى وخيرات لا حدّ لها، فالصدقة البسيطة وبرّ الوالدين والكلمة الطيّبة، كلّ ذلك يؤثّر كثيراً، «**يا مَنْ يُعْطي مَنْ سَأَلَهُ**»، فمن ضرع إلى الله تعالى سائلاً إيّاه أعطاه بل يعطي من لم يسأله، ومن لم يعرفه لكرمه «**يا مَنْ يُعْطي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً، أَعْطِني بِمَسْأَلَتي إِيّاكَ جَميعَ خَيْرِ الدُّنْيا**»، فكلّ طموحات الإنسان في الدنيا يستطيع أن يحصل عليها، ويتجنّب الكوارث والعوائق بالالتجاء إلى الله تعالى، وإلى قدرته اللّامحدودة، وهنا درس عظيم يتلقّاه المؤمن في استمرار تألّق شخصيّته، وعدم توقّفه مهما كانت العوائق، إنّ الدنيا ملأى بعوائق، فالأمراض والابتلاءات كثيرة، ولكنّ الله تعالى قادر على

(١) الزمر ٣٩: ٣٦.

(٢) النمل ٢٧: ٦٢.

إنقاذ العبد وكشف ما يلمّ به بالدعاء ، فهو مخّ العبادة ـ أصل العبادة وزبدتها ـ وهو سلاح الأنبياء ؛ إذْ لم يكن لهم عليهم السلام سلاح غير اللجوء إلى الله تعالى ، وهو سلاح المؤمن في محاربة الأمراض والعوائق وإشكاليّات الحياة الدنيا ، فهو الملجأ والأمان ، قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ . إنّ الله تعالى أمر العبد بدعائه ووعد بالاستجابة ، وبيّن أنّ عدم الدعاء استكبار على الله تعالى ، وأنّ من لم يدعُ لن يصل إلى يريد .

سادساً : الوصول إلى أعلى المراتب .

كان ديدن علماءنا الأبرار الدعاء ، وعندما سُئل بعضهم عن سبب وصوله إلى تلك الدرجة السامقة والرتبة السنيّة والمنزلة العظيمة قال : الدعاء ؛ إذ تمرّ على المرء أيّامٌ كالحة ومدلهمّاتٌ خطوبٍ يصعب عليه الخلاص منها إذا لم يلجأ إلى الله تعالى بالدعاء ، لكنّه إذا لجأ إليه تعالى ودعاه فكّ الأغلال عنه وكفاه .

المنهج القرآنيّ في وحدة الاُمّة

قال تعالى :

﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[1]

﴿وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾[2]

لقد اختلف التعبيران في الآيتين المباركتين ، وكلّ تعبير من تعبيرات القرآن الكريم له مقصد محدّد يروم به أن يوصل الإنسانيّة جمعاء ـ وليس الاُمّة الإسلاميّة فحسب ـ إلى التقدّم والرفاه ، غير أنّ المخاطب في الآيتين هم المسلمون ، وكلّ مسلم معنيّ بفهم المقصد من التعبيرين : ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ و ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾.

تشريع العبادات الجماعيّة .

عبّر القرآن بالتعبير الأوّل ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ لحكمة هي أنّ الله تعالى خلق الخلق لعبادته كما جاء في الذكر الحكيم : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3] ، ومن الطبيعي أن يخاطب الحقّ الناس أجمعين بالتوجّه إلى عبادته ، غير أنّ التشريعات الإسلاميّة يؤتى ببعضها بنحو جماعيّ ، كالحجّ وصلاة الجماعة ،

---

(١) الأنبياء ٢١: ٩٢.

(٢) المؤمنون ٢٣ : ٥٢.

(٣) الذاريات ٥١ : ٥٦.

وفيها اختلافات في الرأي الفقهيّ ، واختلافات في التوجّهات ، وقد ينطلق بعض أفراد الأُمّة من خلال الأُفق الضيّق ، أي على أساس الاختلاف لتكون تلك العبادة على وفق مذهبه ، وإنْ لم تأخذ مظهر الجماعة ، وذلك واضح في الحجّ ، فهو عبادة من مقاصدها جمع الأُمّة بشتّى اختلافاتها وتنوّع أفكارها ، ولا يحصل ذلك إلّا بمثل هذه العبادة ؛ لأنّ المسلمين يتحدّثون بلغات متعدّدة ، ولهم أفكار مختلفة ، وثقافات شتّى ، ويختلفون في المنحى العقديّ ، غير أنّه تجمعهم أُصول جامعة ككلمة التوحيد (لا إله إلاّ الله) ، والشهادة بالرسالة (محمّد رسول الله) ، والإتيان ببعض العبادات موحّدة ، وذلك كفيل بإرجاع الأُمّة ـ مهما طال الأمد ـ إلى مسارها الصحيح وهو العبوديّة الحقّة لله تعالى ، فكلّ أفراد الأُمّة ينظر إلى أنّ التوجّه إلى الحجّ منحى عباديّ لله تعالى ، وقوله تعالى : ﴿**وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ أصل لإرجاع الأُمّة جمعاء إلى عبوديّة الله تعالى رغم الاختلافات الكثيرة بين أفرادها وفئاتها .

الأساس الجامع يتجاوز الاختلاف .

أمّا قوله تعالى : ﴿**وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾ فيشير إلى الاختلافات بين أفراد الأُمّة ، وأنّ تلك الاختلافات تؤثّر على فئاتها وأفرادها ، وتتفاوت درجات التأثير حسب التفاوت في الفهم والفكر والمنحى والسلوك ، ويؤثّر ذلك سلباً على الجميع ولا يختصّ ذلك بأُمّتنا الإسلاميّة ، فكلّ أُمم العالم كذلك ، وأُمّتنا الإسلاميّة ليست بدعاً من هذه الأُمم تتأثّر بالفهم السليم والصحيح لشرعنا الحنيف ، وتتأثّر أيضاً باختلاف التوجّهات ويبقى الأساس الجامع الشهادة لله تعالى بالوحدانيّة والإيمان برسالة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ، والإيمان بالمعاد مع وجود حقوق وواجبات تشمل الجميع دون استثناء ، وقد أفصح المصطفى صلى الله عليه وآله بقوله : « **فمَن أسلم من غامد فله ما للمسلمين حرمة ماله ودمه** »[1] .

---

(١) كنز العمّال : ١٠ : ٦٢٥ .

الربوبيّة والمساواة مشترك إسلاميّ.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ تأكيد على جنبتين:

الأُولى: الربوبيّة المطلقة للحقّ تعالى لكونه المسؤول الأوّل والآخر عن كلّ فرد وفئة من هذه الأُمّة، وعلى الجميع أن ينطلق من تقوى الله تعالى وليس من خلال أُفقه الضيّق أو مصلحته الشخصيّة أو الفئويّة، بل عليه أن يلاحظ مصلحة الأُمّة جمعاء.

الثانية: المساواة أمام القانون، وعدم التعدّي على الغير مهما كان الاختلاف وإيّاه.

أهل البيت والمصلحة الجماعيّة.

لقد أرسى أهل البيت عليهم السلام دعائم هذا التوجّه في مسارهم العمليّ، وأكّد كلّ إمام منهم عليهم السلام على مصالح الأُمّة جمعاء، وفي نفس الوقت كان يقوم ببناء الكتلة الصالحة المنسجمة في رؤيتها وفكرها ومسارها مع ما أوجبه الله تعالى على المسلم من إيمان عميق وسير على طبق ولاية أهل البيت عليهم السلام.

إذن أكّد كلّ إمام على المسار الواحد، وأنّ على الأُمّة بشتّى فئاتها وانتماءاتها واختلافها في الفهم الفقهيّ والعقديّ أن يرتبط أفرادها وفئاتها بعضهم ببعضهم الآخر، ومن يلحظ حياة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام يرى بعضاً من تلامذتهما من أصحاب المشارب المتعدّدة، بل أنّ بعضهم لا يؤمن بولايتهم عليهم السلام، غير أنّ لهم علاقة ودّ ومحبّة ووئام مع الإمامين عليهما السلام، وهذا ديدنهم جميعاً، فالزهريّ رغم أنّه من علماء الدولة الأمويّة، وهو أمويّ التوجّه، غير أنّه ارتبط بعلاقة حميمة مع الإمام زين العابدين عليه السلام.

محور المصلحة الجماعيّة.

إذن كان الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام يراعون المنحى الوحدويّ للأُمّة ؛ لأنّ عدم مراعاة ذلك ، والتأكيد على الفئة الخاصّة والنهج الفئوي يشرذم الأُمّة ، ويؤدّي إلى سلب الآخرين حقوقهم ، ومن آمن بمعتقد اختلف به عن غيره لا ينبغي أن يؤثّر ذلك على سلوكه ، ويؤدّي به إلى التمايز عن الآخرين أو سلب حقوقهم. نعم ، قد يعتقد المرء فيما بينه وبين الله تعالى أنّ الحقّ فيما يذهب إليه ، غير أنّ مسألة الحقوق والواجبات والمساواة أمام القانون أُمور لا ينبغي أن يتعدّى عليها أحد ، الجميع سواسية لا يختلف أحد عن أحد ؛ لأنّ الإطار العامّ الذي يشمل الجميع وهو الإيمان بالشهادتين : التوحيد والنبوّة ، والإيمان باليوم الآخر ، قال الشيخ الصدوق قدس سره : « الإسلام هو الإقرار بالشهادتين ، وهو الذي به تحقن الدماء والأموال ، والثواب على الإيمان »(١).

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله : « **مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلـهَ إِلّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقَدْ حُقِنَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، إِلّا بِحَقِّهِمَا ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** »(٢) ، وذلك مضمون نصوص حديثيّة وردت عن الرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام .

المنهج القرآنيّ في اختلاف الناس.

يشير تعبير القرآن الكريم : ﴿**وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾ إلى المنهج القانونيّ ، أي لا ينبغي لأحد أن يتعدّى على أحد ، وهناك اتّجاهان يحدّدهما القرآن ، الأوّل في مجال العبادة ، والثاني في مجال التعامل ، أي المجال المعاملاتيّ ، وعلى المسلم أن يتعامل مع أخيه المسلم الذي اختلف معه في التوجّه والعقيدة والفكر

---

(١) كمال الدين : ٢ : ٤١٠.

(٢) بحار الأنوار : ٢٣ : ٩٦.

بانسجام ومرونة ، وأن يلتفت إلى أنّ الاختلاف سنّة من السنن الكونيّة ، وأنّ الله تعالى جعل من مصالح الخلق أن يختلفوا ، وإذا كان الاختلاف سنّة لا يستطيع أحد أن يجعل الناس تتّفق على رأي واحد ، وحتّى أبناء الأب الواحد يختلفون في التوجّهات والفهم لبعض القضايا والقراءات المختلفة لبعض المفردات ، فضلاً عن الاختلاف في المجالات الأُخرى .

إذن يرسم القرآن الكريم من جهة منهج التعامل بقوله تعالى : ﴿**وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾ ، ومنهج العبادة بقوله تعالى : ﴿**وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ ، ومن جهة أُخرى يوحّد الأُمّة في كلا المنهجين في الخطوط العامّة ، الخطّ العامّ الأوّل هو العبادة والثاني في التعامل بالقسط والعدل والحقوقّ فلا يسوغ لأحد أن يتعدّى على أحد هذا هو المنهج القويم .

التأثير الإيجابيّ للمنهج القرآنيّ .

لهذا المنهج التأثير الإيجابيّ والفاعل في تطوّر أي أُمّة من الأُمم ؛ إذ أنّ تطوّر أي أُمّة يرتبط بسنن كونيّة ، من جملتها انضواء الجميع تحت القانون ، وعدم التمايز والمحاباة في تطبيقه على بعض أفرادها دون بعضهم ممّا يؤدّي إلى سلب حقوق البعض والتعدّي عليه ، ويجرّه إلى الدفاع عن حقوقه ، فيعيش المجتمع صراعاً يؤثّر سلباً على تقدّم الأُمّة .

المنهج النبويّ في وحدة الأُمّة .

رسم المصطفى ﷺ هذا المنهج بوضوح ، وعندما أراد بعض المسلمين من الأنصار أن يستنجد بهم على المهاجرين ، وأراد بعض المهاجرين أن يستنجد بهم على الأنصار ، ندّد بذلك رسول الله ﷺ وأبان أنّ ذلك من دعاوى الجاهليّة ، وأنّها دعوة منتنة ، وكان ﷺ يؤكّد على كلّ لبنة تصبّ في مسار التوحيد في الكلمة ،

وما ورد من روايات أُكّد فيها على أهمّيّة الانتماء للقبيلة والأُسرة والعشيرة يصبّ في النهج القويم الذي ينمّي المجتمع إيجابيّاً ؛ إذ أنّ المجتمع يحتاج إلى التكتّلات الصغيرة التي تصبّ في الإطار العامّ بشرط أن لا تكون الأُسرة أو القبيلة تشكّل حجاباً يبعد عن الاندماج في الأُمّة وذلك ما نعبّر عنه بالوحدة الإسلاميّة ، وأنّ مصالح الأُمّة مقدّمة في رعايتها على مصالح الأفراد والقبائل ، وصلة الرحم عامل من عوامل الإنماء ، بينما الانتماء القبليّ أو الأُسريّ للفرد والتكبّر وبخس حقوق الغير من دعاوى الجاهليّة وهي دعوى منتنة ؛ لأنّها لا تصب في المسار العامّ ، والنبيّ صلى الله عليه وآله هدم مسجد ضرار لإضراره بالصالح العامّ .

سيرة أهل البيت عليهم السلام في وحدة الأُمّة .

تؤكّد السيرة العمليّة لأهل البيت عليهم السلام ما فعله المصطفى صلى الله عليه وآله ، وهناك أحاديث متعدّدة وردت عنهم عليهم السلام في صلاة الجماعة مع أبناء العامّة مفادها أنّ الصلاة خلف الإمام من العامّة كالصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله ، والهدف هو وحدة الأُمّة في العبادات لئلّا تتشرذم .

طرق الوصول إلى المنهج الوحدويّ :

إنّ وصول المسلمين للمنهج الوحدويّ لا بدّ أن يتمّ في ضمن نقطتين هامّتين :

الأُولى : نبذ التشرذم .

على المسلمين أن ينتبهوا أنّ بعض الأفراد والفئات لهم مصالح ضيّقة تتنافى مع الوحدة ، لذا ينطلقون من منطلق ضيّق ، ويضربون كلّ أُسس الوحدة الإسلاميّة ، ونؤكّد هنا بأنّ على المنتمين لأهل البيت عليهم السلام وبعض أبناء العامّة الذين يؤمنون بوحدة الأُمّة أن يراعوا المسار الموحّد للأُمّة ، وأن لا ينجرّوا خلف بعض الشعارات

الجوفاء التي تنطلق بين حينٍ وآخر.

الثانية: التركيز على الوحدة.

إنّ استعداء بعض فئات الأُمّة على بعضها الآخر لا يصبّ في صالحها، بل يصبّ في صالح أعدائها، ويجعل الأُمّة تتناحر فيما بينها متقاتلة، وهي نفس الدعوة التي وصفها النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّها منتنة، وإذا رأينا شيخاً يتحدّث بشيء من السوء الذي لا يليق بطالب العلم ضدّ بعض الفئات الأُخرى لا ينبغي أن ننجرّ خلف ردود فعلٍ قد لا تصبّ في المصلحة العامّة؛ لأنّ بعض تلك الدعوات تريد المصلحة الشخصيّة لا مصلحة الأُمّة. إنّ مصلحة الأُمّة تكمن في التأكيد على وحدتها، والتغاضي عن الاختلافات الجزئيّة التي لا تؤثّر شيئاً، وأنّ الانجرار خلف تلك الدعوات من التفسيق والتكفير والزندقة يحرق البلاد والعباد، وعلينا ـ كمنتمين لأهل البيت عليهم السلام ـ أن نفهم الوظيفة العمليّة، وهي التأكيد على وحدة الأُمّة الإسلاميّة، وذلك هو المنطلق الذي أراده أهل البيت عليهم السلام.

الوحدة منهج علماء الأُمّة.

وقد أكّد هذا المنهج علماؤنا الأبرار منذ القديم، فالسيّد البروجرديّ رحمه الله أوّل من بادر إلى تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة في مصر منطلقاً من فكر أهل البيت عليهم السلام الذي جسّده الإمامان الباقر والصادق وبقية أئمة أهل البيت عليهم السلام حتّى الإمام المهديّ عليه السلام إنّهم جميعاً يجمعون شتات هذه الأُمّة المتفرّق لتكون لها الكلمة المؤثّرة.

الموقف تجاه من يهدم أُسس الوحدة.

قد نجد من يحاول من هنا أو هناك أن يقوّض أُسس وحدة الأُمّة، لذا لا بدّ أن نسعى لتصحيح هذا المسار من خلال أُمور ثلاثة:

الأوّل: تقديم المصلحة العامّة.

فإذا تهوّر بعض الناس في طرحه وفكره وطرح أفكاراً لا تليق بالتوجّه العامّ، علينا أن نلحظ المصلحة العامّة لأُمّتنا ولبلدنا، ونؤكّد على الوحدة الإسلاميّة ليعيش الجميع الرفاه والتقدّم منضوين تحت راية الإسلام.

الثاني: الالتزام بالقانون.

وقد يتوهّم بعض أنّ ذلك يؤدّي إلى التساهل في المطالبة بالحقوق، غير أنّ ذلك غير صحيح، فالمطالبة بالحقوق في حدود القانون وضمن النظام ووحدة الأُمّة أمر مطلوب.

الثالث: عدم الانجرار مع الفتنة.

ونؤكّد في الختام على عدم الانجرار نحو تلك الدعوات المؤثّرة سلباً، والمؤدّية إلى الشحناء والبغضاء، والموجبة للفتنة التي هي أشدّ من القتل، قال تعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾[1].

(١) البقرة ٢: ١٩١.

أُسس الوحدة الإسلاميّة

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1]

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[2]

أهمّيّة الوحدة.

الوحدة بين المسلمين ذلك الأمل المنشود الذي دعت إليه الآيات القرآنيّة وجسّده النبيّ ﷺ عبر مجموعة من الأقوال والأفعال، وركّز عليه الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام. وقد أبان القرآن بوضوح أهمّيّة الوحدة والتآخي بين المسلم وأخيه المسلم، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[3]، ويدلّنا هذا على أهمّيّة الوحدة كمفهوم لا بدّ أن ندركه ونستوعبه، حتّى نصل إلى ما يترتّب على ذلك من حقوق ووظائف متبادلة بين المسلم وأخيه المسلم.

---

(١) الحجرات ٤٩: ١٠.

(٢) المائدة ٥: ٢.

(٣) آل عمران ٣: ١٠٣.

الترابط بين أفراد الأُمّة.

لقد نظّر النبيّ ﷺ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام لهذه الوحدة بين أفراد المسلمين بالجسد الواحد، وهناك روايات متعدّدة وردت تؤكّد على أنّ المسلمين فيما بينهم كالجسد الواحد، فكما أنّ الجسد الواحد فيه أعضاء متعدّدة، كلّ عضو منها يقوم بوظيفة، وهناك أيضاً تآزر وتعاضد بين هذه الوظائف التي تقوم بها الأعضاء، فالأُذن في سمعها تتعاضد في معطيات الحسّ مع العين في إبصارها، كما أنّ أنماط وضروب التفكير ترتبط مع معطيات الأعضاء الحسّيّة، كذلك كلّ عضو من الأعضاء له ارتباط وثيق بالعضو الآخر، سواءً كان هذا العضو يؤدّي مهامه في الجانب الحسّيّ أو في الجانب المعنويّ كالتفكير والتعقّل، وهناك تأكيد مكرّر من لدن النبيّ ﷺ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام على أنّ المسلمين فيما بينهم كالجسد الواحد، وبالتالي تترتّب على ذلك وظائف وواجبات تجاه الأخ المسلم لكونهم أفراد وأعضاء لهذا الجسد، ولا بدّ من مراعاة تلك الحقوق من لدن كلّ مسلم ليتّصف بكونه مسلماً.

المسؤوليّة الفرديّة تجاه الأُمّة.

حتّى يتّضح لنا ما كان يؤكّد عليه النبيّ ﷺ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام كشرح وتطبيق لما جاء من آيات في الذكر الحكيم لا بدّ أن نستعرض بعضاً من هذه الروايات مع الشرح المقتضب لها، فقد ورد عن النبيّ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ**»[1]، أي إذا أصبح المسلم لا يهتمّ بما يحدث لأُمّته الإسلاميّة فليس من المسلمين، فالاهتمام بالشأن الإسلاميّ العامّ هو وظيفة مناطة بكلّ فرد من أفراد الأُمّة الإسلاميّة.

---

(١) الكافي: ٢: ١٦٣.

الترابط الأخويّ في الجانب العمليّ.

وضع النبيّ ﷺ حجر الأساس في تأصيل المجال الأخويّ بين المسلمين، فعندما وصل إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار، وكان النبيّ ﷺ يهدف من هذا التآخي أن يلفت انتباه الأُمّة الإسلاميّة جمعاء إلى الفوائد الجمّة للإخاء، أهمّها إلغاء جميع الفوارق بين المسلمين، سواء في نتائج التفكير أو في القدرات وأنماط العيش والسلوكيّات المختلفة، التي يتطلّبها البناء الفكريّ للأُمّة الإسلاميّة، بمعنى أنّ هذه الفوارق لا يمكن أن تؤثّر على هذا البناء والكيان الذي يريد أن يبنيه النبيّ ﷺ، وفي المؤاخاة دروس وعبر؛ إذ أنّ النبيّ ﷺ لم يُراعِ في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار التناسب بمعنى التلاؤم والتأقلم، وإنّما أراد أن يجعل المهاجر الذي يختلف في نمط التفكير في العيش والنمط السلوكيّ متلائماً مع أخيه من الأنصار، لكنّه ﷺ اختصّ عليّاً عليه السلام بالمؤاخاة، لارتباط ذلك بمسألة عقديّة لأنّ الإمام عليه السلام يمثّل الديمومة والاستمرار والحفاظ على الشريعة، والإمامة لأهل البيت عليهم السلام هي التي تحفظ الكيان الإسلاميّ، وعليّ عليه السلام ومحمّد ﷺ لا يختلفان وإنّما هما كما نعبّر جسدان في روح واحدة وروحان في جسد واحد، علي كمحمّد ﷺ ومحمّد كعليّ عليه السلام، لذلك ورد عنه ﷺ: «**أَنَا وَعَلِيٌّ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ**»[١] يشير ﷺ إلى الأبوّة من الناحية العقديّة باعتبار أنّ الولاية التي افترضها الله تعالى على المسلمين جميعاً إنّما هي لمحمّد وعليّ وآلهما، وقد أكّد ﷺ على هذا المعنى في مناسبات متعدّدة، منها حديث الغدير: «**أَ لَسْتُ أَنِّي أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟ قَالُوا: بَلىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ**»[٢]، فالمؤاخاة بين عليّ ومحمّد

---

(١) بحار الأنوار: ١٦: ٩٥، ٣٦٤.

(٢) بحار الأنوار: ٣٧: ١٨١.

وبين محمّد وعليّ لها ارتباط بالجنبة العقديّة، لكنّ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ترتبط بالجانب العمليّ والسلوكيّ، أي على جميع المسلمين أن يشكّل كلّ واحد منهم لبنَة في بناء هذا الصرح الذي يريد أن يبنيه المصطفى ﷺ، وهذا يعني أن يصبح كلّ واحد منهم كعضو من أعضاء الجسد مناطة به مهمّة لا بدّ أن يقوم بها.

حقوق الإخاء والترابط.

عند استعراضنا للأحاديث التي تؤكد على عمق الإخاء يستوقفنا قول الإمام الصادق عليه السلام: «**الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، عَيْنُهُ، وَدَلِيلُهُ، لَا يَخُونُهُ، وَلَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَغُشُّهُ، وَلَا يَعِدُهُ عِدَةً فَيُخْلِفَهُ**»[1]، والحديث يحوي مداليل عظيمة يريد الإمام عليه السلام أن يؤكّد عليها، «**الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ**» يشرح المعنى العامّ للأُخوّة التي يكون كلّ واحد كعضو في جسد، وكونه دليله، أي يدلّه على طرق الخير، ويرفع من مستواه، ولا يقوم بأعمال تؤدّي إلى الأضرار به، «**لَا يَخُونُهُ، وَلَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَغُشُّهُ، وَلَا يَعِدُهُ عِدَةً فَيُخْلِفَهُ**»: فإذا وعدت المؤمن بعِدةٍ عليك أن تُؤدّي ما وعدته به.

وهناك حديث رائع يستعرض فيه الإمام عليه السلام سبعة حقوق من الحقوق الواجبة بين المؤمن وأخيه المؤمن، فيقول عليه السلام: «**أَيْسَرُ حَقٍّ مِنْهَا أَنْ تُحِبَّ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهَ لَهُ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ**»[2]: الشيء الذي لا تحبّه لنفسك لا تحبّه لأخيك المؤمن، والشيء الذي تحبّه لنفسك تحبّ أن يكون لأخيك، وهذا مستوى من الواقع النفسانيّ يجعل السلوك الخارجيّ يبتني على أُسس سليمة، فإذا كنت تفكّر بطريقة إيجابيّة تجعل ما يصدر عنك إيجابياً تجاه إخوانك المؤمنين. قال المصطفى ﷺ:

(١) بحار الأنوار: ٣٦: ٣٧: ١٨١.

(٢) الكافي: ٢: ١٦٩.

« **مَنْ سَرَّ مُؤْمِناً فَقَدْ سَرَّنِي ، وَمَنْ سَرَّنِي فَقَدْ سَرَّ اللهَ** »(١) : إدخال السرور والبهجة والسعادة يعني أن تقوم بأعمال تؤدّي إلى سعادة هؤلاء الناس الذين تشترك معهم في الأُخوّة الإسلاميّة .

كيفيّة تعامل المسلم مع الآخر :

ما يصدر من أعمال تتنافى مع تعاليم الإسلام فهو عليه‌السلام منه براء ، فالإسلام لا يريد للمسلم أن يضرّ أخاه المسلم ، بل يريد بالمسلم أن يقوم بأعمال تؤدّي إلى الازدهار والنموّ المطّرد وإدخال السرور كما استعرضنا في رواية النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله . وفي التعامل السلوكي مع الأخ المسلم هناك أمران هامّان :

الأوّل : قضاء حاجة المسلم .

قال الإمام الصادق عليه‌السلام : « **مَا قَضَى مُسْلِمٌ لِمُسْلِمٍ حَاجَةً إلّا نَادَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ : عَلَيَّ ثَوَابُكَ ، وَلَا أَرْضىٰ لَكَ بِدُونِ الْجَنَّةِ** »(٢) : قضاء الحوائج لإخوانك المسلمين يؤدّي إلى أن تكون الجنّة لك منزلاً ومقيلاً ، وهذا وعد يَعِدُ به الله تعالى لمن قام بهذا العمل ، ولن يخلف الحقّ تعالى ما يَعِدُ به .

الثاني : أداء النصيحة .

أداء النصيحة واقع سلوكيّ هامّ في العلاقة مع الآخر ؛ لأنّ الإنسان يفتقر إلى أخيه ويحتاج إلى استشارات مكرّرة ، ففي كلّ عمل يقوم به يحتاج إلى مشورة من لدن إخوانه ، لذا قال الإمام عليه‌السلام : « **قَالَ رَسُولُ اللهِ** صلى‌الله‌عليه‌وآله : **لِيَنْصَحِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ كَنَصِيحَتِهِ**

---

(١) بحار الأنوار : ٧١ : ٢٨٧ .

(٢) بحار الأنوار : ٧١ : ٢٨٥ .

لِنَفْسِهِ»(١): أي كما تحاول جادّاً أن تنصح نفسك إذا أردت أن تقوم بعمل فانصح إخوانك بنفس هذه الطريقة، فالإنسان لا يغشّ نفسه في الأعمّ الأغلب ما دام سلوكه وسليقته مستقيمة، فهو يريد لنفسه الخير، كذلك عليه أن يريد الخير لأخيه، قال عليه السلام: «**مَنْ مَشىٰ مَعَ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فِي حَاجَةٍ فَلَمْ يُنَاصِحْهُ، فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ**»(٢): إذا طلب منك أخوك النصح فلم تقدّم له النصيحة، بل لم تُمحضه النصيحة، ولم تخلص له فيهاء، فهذه خيانة لله تعالى وللرسول، وهي مخالفة لما أمر به الله تعالى؛ لأنّ الباري تعالى يريد لهذه الأُمّة التقدّم والازدهار والعيش الرغيد.

مصير المسلمين في ظلّ الأُخوّة.

الآيات القرآنيّة والتطبيقات الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام تريد أن تبيّن بعض الحقوق والواجبات التي على المؤمن أن يُراعيها تجاه إخوانه من المسلمين، وهذا سلوك حضاريّ يتعامل به الإنسان مع الجميع، فمن يشترك مع الآخرين في تجارة يمحضهم النصح لكي لا تخسر تجارتهم، كذلك الإخوان من المؤمنين والمسلمين في سفينة واحدة، وفي تجارة مربحة مع الله تعالى لبناء الأُمّة الإسلاميّة جمعاء، ولا يتاح للمسلمين جميعاً أن يبنوا صروح الأُمّة إلّا من خلال التناصح والتوادّ والمحبّة والوئام.

بينما نجد أنّ بعض المسلمين ـ نسأل الله تعالى لهم الهداية ـ لا يُراعون هذه التعاليم الإسلاميّة، ولا ينطلقون من مبادئ القرآن الكريم، وإنّما ينطلقون من مبدأ ضيّق جدّاً كانطلاق بعضهم من مبدأ طائفيّ، وهذا من الخطأ الفادح؛ لأنّ القرآن والنبيّ صلى الله عليه وآله أكّدا على أهمّيّة الأُخوّة بين المسلمين ككيان موحّد لا يتاح للأعداء

(١) بحار الأنوار: ٧١: ٣٥٨.

(٢) بحار الأنوار: ٧١: ٢٨٧.

أن يخترقوه، وإذا نظرنا إلى التعاليم الواردة عن النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وسرنا على وفقها، سنصل إلى شاطئ النجاة وساحل الأمان الذي يؤدّي بالأُمّة جمعاء إلى الخير والسؤدد.

الوحدة الإسلاميّة منشأ السلّم الاجتماعيّ

قال تعالى:

﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(١)

﴿وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾(٢)

الوحدة الإسلاميّة مبدأ عقديّ.

الأُمّة الإسلاميّة أُمّة واحدة، والمسلمون وإنِ اختلفوا في الفروع إلّا أنّ ما يجمعهم من الإيمان بالنبيّ ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، والاتّجاه إلى القبلة، وأنّ من قال: (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله) عُصم ماله ودمه وعِرضه، قواعد عامّة اتّفق عليها المسلمون.

من هذا المنطلق فالوحدة الإسلاميّة بين المسلم وأخيهالمسلم مبدأ عقديّ إيمانيّ، وهي أُولى الخطوات التي قام بها النبيّ ﷺ عندما دخل المدينة المنوّرة، فقد آخى بين المهاجرين والأنصار، والأُخوّة درجة من التلاحم بين الأخ وأخيه أعلى رتبة، وأشدّ ارتباطاً من سائر أنحاء الاتّفاق باعتبار أنّ رابطة الأخوة تجعل المصير مشتركاً بين الأخوين.

---

(١) الأنبياء ٢١: ٩٢.

(٢) المؤمنون ٢٣: ٥٢.

مصدر الخطر على الوحدة الإسلاميّة.

لقد سار الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام على ذلك فلم يكونوا يُنَظِّرون للوحدة الإسلاميّة فحسب، بل مارسوا الوحدة تجسيداً عمليّاً بين المسلمين، وهناك صور مشرقة في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل بيته عليهم السلام أثّرت تأثيراً إيجابيّاً في فرق المسلمين عامّة، خصوصاً في حامل الوعي والثقافة وذوي الأُفق الواسع، غير أنّ هناك صوراً قاتمة ومظلمة تدعو إلى شرذمة الأُمّة وتفكيك وحدتها، وقد كان في العصر الأوّل أعظم دعاة التفريق الذين آمنوا بالفكر الضيّق، وكفّروا غيرهم، وهم الخوارج؛ إذ آمنوا بأنّ من كان معهم وآمن بأفكارهم فهو المسلم، ومن خالفهم واختلف وإيّاهم فهو كافر.

فالفكر التكفيريّ يستمدّ جذوره من الخوارج، وقد تمدّد وانتشر حتّى وصل إلى عصرنا الراهن، وأصبح له رسوخ في بعض الدول الإسلاميّة، إنّ هذا الفكر يُخرِج من لا يؤمن بالأُطر الضيّقة والفكر الأحاديّ من الإسلام، ويدعو إلى الصراع الحادّ والتقاتل ممّا يترتّب عليه شرذمة الأُمّة الإسلاميّة، وتفكيك وحدتها التي أرسى دعائمها النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، ودعا إليها العلماء والمفكّرون طوال التاريخ.

معالجة الفكر الممزّق للأُمّة.

إنّ واجب المسلم في هذا العصر أن لا يتعامل من خلال ردّ الفعل، فإذا صدرت أفعال من أصحاب الأُفق الضيّق ينبغي أن تكون ردود الأفعال متناسبة مع هذا النحو من الفكر، لئلّا يكون المنهج التكفيريّ هو الحاكم، فمن وَسَمَ الغير بالبدعة والشرك أو الكفر لا يُردّ عليه بالمثل، فإنّ الردّ بالمثل يجعل المسلمين يعيشون في دائرة مفرغة، ويدورون حول أنفسهم دون الخروج منها.

الوسطيّة منهج أهل البيت عليهم السلام.

تعامل الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام بمنهج واضح مع الطيف المتعدّد، وهكذا تعامل أتباعهم عليهم السلام لما لديهم من فكر ينتمي إلى مدرستهم عليهم السلام ذات الأصالة في الفكر والقوّة والمتانة في الطرح، وهذه الأصالة والقوّة فرضت قوّة المنطق الذي يُدلي به الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وكان رأيهم يُحتكم إليه في العصور المختلفة، ولا زال الوضع كذلك.

الفكر المتطرّف وشرذمة الأُمّة.

جسّد مذهب أهل البيت عليهم السلام الوسطيّة والاعتدال، وقبول الرأي الآخر، والحوار البنّاء والهادف، بينما يُركّز البعض على منهج التكفير وتقسيم المسلمين، ووسم الآخرين بالابتداع والضلال، وما إلى ذلك، وهذا الفكر ليس له قابليّة الانتشار، وقد أثبتت التجارب أنّ الاحتكاك الحادّ مع دعاته يؤدّي إلى ما لا تحمد عقباه، والأفضل تركه لقاعدة أنّ الباطل يموت بترك ذكره، فمنهج التكفير يحيا بالردّ الحادّ عليه، وينبغي أن يكون رَدُّهُ من خلال الحوار الهادف دون الاحتكاك لئلّا تتقوّى جذوته، بالإضافة إلى أنّ منهج التكفيريّين جعَل المسلمين يعيشون في إطار الأفكار الضيّقة التي تشرذم الأُمّة وتخرجها عن هدفها الأصيل من الوئام والانسجام والأُخوّة الإسلاميّة، قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾(١).

السياسة النبويّة في رسم معالم الوحدة.

رسم النبيّ صلى الله عليه وآله معالم الوحدة بين المسلمين بتركيزه على محاور متعدّدة:

---

(١) آل عمران ٣: ١٠٣.

الأوّل: كلمة التوحيد مشترك إسلاميّ.

إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يعلم بالاختلاف في الثقافة والفكر وفهم الأشياء بين أفراد المسلمين وفئاتهم، إلّا أنّه لم يحاول أن يجعلهم يتساوون في الفهم، بل وضع إطاراً عامّاً ومشتركاً، فقال: «**قَاتِلْهُمْ حَتّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلّا بِحَقِّهَا**»(١): ومعنى ذلك أنّ الإسلام إطار قانونيّ وجامع مشترك بين المسلمين، وليس على أساس الفهم فهناك من يفهم معنى النبوّة بنحو أقوى وأدقّ من فهم الآخرين، وهناك من يفهم التوحيد كذلك باعتبار قدراته العلميّة، إلّا أنّ فهمه لا يجعله هو المسلم دون غيره، والنبيّ صلى الله عليه وآله أقفل هذا الباب وجعل الإسلام بسيطاً مفهوماً لكلّ الناس.

الثاني: منع العمل بالحدس والظنّ.

شجب النبيّ صلى الله عليه وآله أفعال بعض المسلمين الذين أعملوا الحدس والظنّ، كما حصل في قتل أُسامة بعض من آمن، عن أُسامة بن زيد، قال: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرُقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلاً فَقَالَ: لَا إِلٰهَ إِلّا اللهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: **أَ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ**؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفاً مِنَ السِّلَاحِ. قَالَ: **أَ فَلَا شَقَقْتَ قَلْبَهُ حَتّىٰ تَعْلَمَ أَ قَالَهَا أَمْ لَا**، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ»(٢).

ففي الحرب عندما تكون لك السيطرة ثمّ يقول المغلوب: (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله) لا يسوغ قتله، فكيف بقتل بعض المسلمين؟ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد غضب من ذلك، وقال للقاتل: وهل فتحت بطنه، وكشفت عن سريرته، وعرفت حاله،

---

(١) بحار الأنوار: ٢١: ٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ٢١: ٦٥.

فلا يمكن أن تعرف واقع الشيء بالحدس والظنّ.

الأوضاع الحرجة في المدينة.

يريد النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام لهذا الدين أن ينتشر من خلال الفهم السليم له، وبالحوار الهادف والكلمة السواء كما ورد في القرآن الكريم، أمّا منطق الخوارج قديماً ومنطق التكفيريّين حديثاً فلم يجلب للأُمّة الإسلاميّة إلّا الدمار والتقهقر إلى الوراء، وما حدث في المدينة من طعنٍ بالسكاكين ناتج من الفكر التكفيريّ والإرهابيّ، فكيف يُتعامل مع من يزور النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام بهذه الوحشيّة.

معالجة الوضع المتأزّم:

إذا أردنا أن نضع حلّاً لما حدث لا بدّ من الالتفات إلى عدّة نقاط:

الأُولى: التحاكم إلى القانون.

إذا سلّمنا جدلاً أنّ من قام بالأعمال المؤسفة في المدينة لا يُؤمن بجواز زيارة القبور فلا يسوغ له الاعتداء على الآخرين إسلاماً وقانوناً؛ إذ أنّ الاختلاف في مثل هذه القضايا الجزئيّة لا يسمح فيه الإسلام لأحد بالاعتداء على الغير، بل حتّى القوانين الوضعيّة تحرم ذلك وتجرّمه، ولعلّ بعض الأحداث صدر منه عمل غير مرضي إلّا أنّه لا ينبغي لهذا الخطأ الصغير أن يعالج بجريمة، فعندما لا ترتضي أن تسمع ما لا يعجبك أو يكون خطأ في حقّك، فلا يردّ بجريمة في حقّ الغير، بل ينبغي أن تعالج الأُمور بتطبيق قوانين الإسلام وأحكام الشريعة، واللجوء إلى المحاكم لئلّا يأخذ كلّ شخص حقّه بيده وتحكم شريعة الغاب، فذلك مرفوض ليس في منطق الإسلام فحسب، بل في كلّ قوانين وشرائع العالم المتحضّر.

الثانية: التمثّل بصفات أهل البيت عليهم السلام.

من هنا ندعو أتباع أهل البيت عليهم السلام أن يتّصفوا بالأخلاق التي دعا إليها النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام من احترام كلّ مسلم بغضّ النظر عن توجّهه والسير بهدي الإسلام.

الثالثة: نبذ الفكر التكفيريّ.

إنّ الأُمّة الإسلاميّة لا يمكن لها أن تكون حضاريّة دون نبذ الفكر التكفيريّ والعلم بأنّه يقضي على المنجزات، فالمنهج التكفيريّ يرجع أُمّتنا الإسلاميّة إلى الوراء خطوات، والإسلام كاد أن ينتشر وكان له مقبوليّة في العالم كلّه، لكن الأحداث التي صدرت من التكفيريّين ودعاة الإرهاب جعلت غير المسلمين يتردّدون كثيراً وينظرون إلى الإسلام بأنّه دين الإرهاب.

الرابعة: إظهار محاسن الإسلام.

لا بدّ للمسلمين أن يُظهروا للعالم كافّة أنّ الدين الإسلاميّ دين الرحمة والمحبّة والوئام والانسجام واحترام حقوق الإنسان بغضّ النظر عن انتمائه الدينيّ أو العقديّ، وما صدر من أفعال مشينة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله من فئة قليلة لا تؤمن بالإسلام الوسطيّ والمعتدل الذي آمن به المسلمون، وعلى المسلمين كافّة إدانة هذه الأعمال المشينة، والاحتكام إلى شرع الله تعالى، والأخذ بالمنهج الوسطيّ المؤدّي إلى الرشد والسداد.

الأُمّة الإسلاميّة بين المنهج والتطبيق

قال تعالى :

﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾

مقوّمات الأُمّة الإسلاميّة.

استطاعت الأُمّة الإسلاميّة أن تتبوّأ مكانة كبيرة بين الأُمم بالرغم من وجود كثيرٍ من المسلمين بلحاظ الزمن الذي مرّ على الأُمّة في كلّ حقبة من التاريخ لم يفهموا الإسلام كما ينبغي ، وأدّت الرؤى الضيّقة التي انطلقوا منها إلى مشاكل متعدّدة للإسلام والمسلمين ، لكنّه ومع ذلك استطاعت الأُمّة الإسلاميّة أن تحافظ على مكانتها بين أُمم الأرض عبر الأحقاب التاريخيّة المتتالية ، وذلك لما في الإسلام من مقوّمات كثيرة تمنح الخير والرفاه للإنسانيّة جمعاء ، وليس لمن انتمى إلى الإسلام عقديّاً فقط ، لذلك نلحظ في الآية المباركة التي افتتحنا بها ﴿**وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾ وجود سِمة من السمات العظيمة للأُمّة الإسلاميّة هي الوسطيّة ، وقد فسّرها العلماء بالاعتدال ، ليكون معنى الآية إنّكم الأُمّة التي تمثّل الاعتدال بين أُمم الأرض ، والاعتدال هو الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ، والأُمّة الإسلاميّة تمثّل الوسطيّة في النواحي المختلفة ومنها الناحية العقديّة ؛ لأنّها تأخذ بالإسلام كشريعة ونظام بالاعتدال والوسطيّة ، فهي بعيدة عن الإفراط والتفريط

في مجال أخذها للأحكام الشرعيّة ، فلا يتّسم ذلك الأخذ بالإفراط ، ولا يتّسم أيضاً بالتفريط وترك الأحكام الشرعيّة وعدم الامتثال لها . هذه الوسطيّة التي تحدّث عنها القرآن هي من الخصائص الهامّة للأُمّة الإسلاميّة ، ولا تقتصر على المجال العقديّ ، بل تشمل كافّة المجالات المتعدّدة من أحكام وتشريعات وأنظمة بالإضافة إلى مجال السلوك والحياة . ومنذ نشوء الأُمم السابقة إلى يومنا هذا نجد أنّ بعض الأُمم تمتزج بالمادّة وتمثّل لها الإطار العامّ في كلّ حركة وسكون ، وهناك أديان ومعتقدات تركّز على الجانب الروحانيّ والمعنويّ فقط . أمّا الأُمّة الإسلاميّة فهي وسط في الجنبتين المادّيّة والمعنويّة ، أي ليس في مجال الأخذ والامتثال للأحكام الشرعيّة أو السير والتطبيق من الناحية العقديّة ، وقد أكّد بعض المفسّرين على أنّ الوسطيّة لا يخلو منها مجال من المجالات ويُفهم ذلك من الآية المباركة ، فالوسط فضيلة بين رذيلتي الإفراط والتفريط .

وظيفة الأُمّة الإسلاميّة .

تستحقّ الأُمّة الإسلاميّة من هذه الناحية أن تمثّل رقابة على الأُمم لوسطيّتها ، ولها الصلاحيّة في الأخذ بيد الأُمّم الأُخرى إلى الرشد والسداد وطرق الخير ، والتعبير القرآنيّ ﴿**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ يفصح عن ذلك ، أي أنّ علّة الوسطيّة هي صلاحيّة الأُمّة للشهادة والرقابة على سائر الأُمم الأُخرى ، بخلاف الأُمّة التي تمثّل الإفراط أو التفريط ، فلا يمكنها أن تمثّل رقابة وشهادة على الأُمم الأُخرى لكونها لا مقبوليّة لها على ذلك .

خصائص الأُمّة الإسلاميّة .

تحدّثت بعض الآيات القرآنيّة عن خصائص الأُمّة الإسلاميّة وركّزت على مجموعة من السِّمات التي ينبغي أن تتوافر فيها ، لتشكّل مُقوّمات توصل الأُمّة لرقيّها

المطّرد وتقدُمِها الحضاريّ بمعيّة سائر الأمم الأُخرى ، حتّى وإنْ كانت لا تنتمي للإسلام عقديّاً .

الرقابة العامّة :

قال تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ الآية[١] من غرر الآيات التي تصف الأُمّة الإسلاميّة بخير أُمّة من أُمم الأرض ، لتوافر ثلاث خصائص فيها :

الأُولى : الأمر بالمعروف .

كلمة (المعروف) تعني ما عُرِفَ من الخير ودلّت عليه الفطرة والعقل ؛ ليتاح للأُمة الإسلاميّة دعوة الأُمم الأُخرى إلى الخير من خلال الأمر بالمعروف .

الثانية : النهي عن المنكر .

المنكر ما أُنكر فطرةً وعقلاً ، بمعنى أنّ العقل السليم يراه منكراً ، والمعروف والمنكر متّفق عليه ومقبول من لدن المسلمين وغيرهم في الأعمّ الأغلب .

ضوابط المعروف والمنكر .

لا يقبل العقل السليم والفطرة النقيّة الظلم بأيّ نحو من الأنحاء ، وعلى العكس من ذلك فإنّ العدالة تقبل بها كلّ أُمّة من أُمم الأرض ، كذلك الحرّيّة تُنادي بها كلّ أُمم الأرض . ولا تختلف الأُمم في أنّ من المعروف الأُمور الحسنة كمَدّ يَدِ العون والمساعدة للأخذ بيد الآخرين من الكوارث والنكبات التي تتعرّض لها تلك الأُمم بغضّ النظر عن حكوماتها وشعوبها ، ومن غير المقبول أن يقول إنسان : إنّ

(١) آل عمران ٣ : ١١٠ .

تلك الأُمّة من الأُمم كافرة فلا تساعد ؛ لأنّ كلّ اُمّة تحتاج إلى غيرها ، كما شاهدتم ذلك في التسونامي ، غير أنّ بعض الإسلاميّين وغيرهم من قاصري النظر يصفون ما حصل من الكوارث بأنّه من الغضب الإلهيّ على اُولئك الفقراء المدقعين ، ولا بدّ هنا من الردّ على هؤلاء بأنّ هناك ابتلاءات للبشريّة في كلّ العصور ، وهي تلعب دوراً كبيراً في التذكير بالله تعالى ، لكن لا بمعنى أنّها لا تمرّ إلّا على الكافر أو المجرم ، بل تمرّ على الجميع ، قال تعالى : ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾[١] ، فكلّ مُعرّض للابتلاء والكوارث ، من هنا تقع مسؤوليّة طبيعيّة على كلّ اُمم الأرض في الإسهام لرفع الكرب وإزالة البلاء بغضّ النظر عن انتماءات الأُمم العقديّة والدينيّة .

من هذا القبيل الإعصار ـ إعصار كاترينا ـ الذي تعرّضت له الولايات المتّحدة ، ولا ينبغي لأحد أن يشمت بالحكومة الأمريكيّة لتعرّضها لهذه المآسي لكونه لا ينسجم معها في بعض الرؤى والسياسات ، أو يقول إنّها تستحقّ ذلك لكفرها ، فإنّ هذا من الأخطاء الفادحة ؛ إذْ ينبغي للأُمة الإسلاميّة أن تتعاون مع اُمم الأرض ، وأن تُسهم في رفع المستوى الاقتصاديّ والثقافيّ والعلميّ والفكريّ ، وأن تكون واحدة من الأُمم التي تمثّل اُنموذجاً حضارياً ، بغضّ النظر عن الاختلافات السياسيّة التي تنتهجها الحكومات ، وحتّى إذا رأينا أنّ تلك السياسات خاطئة ولا تنسجم معنا ، فإنّ علينا أن نَهُبّ لنجدة تلك الأُمم ؛ لأنّ الإسلام يطلب ذلك ، قال تعالى : ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ ، بل قد ورد أكثر من ذلك في الحثّ على مساعدة الحيوان فضلاً عن الإنسان الذي تحدّث عنه القرآن بالتكريم : ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[٢] . وإذا كانت مساعدة الحيوان توجب دخول الجنة ،

---

(١) الأنبياء ٢١ : ٣٥.

(٢) الإسراء ١٧ : ٧٠.

والقرب من الله تعالى ، فما بالك بالإنسان إذا تعرّض للابتلاء ، إنّ المطلوب من المسلم أن يُسهم في مساعدة الآخرين من خلال مبدأ المعروف الذي طرحه القرآن .

الثالثة : الإيمان بالله تعالى .

قال تعالى : ﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾ ، الإيمان بالله تعالى يمثّل الكمال المطلق ، والذي يُؤمن بالله ساعٍ إلى ذلك الكمال المطلق لنفسه ولغيره .

الرابعة : اللين والشدّة في الدعوة .

هناك بعض الآيات القرآنيّة التي ينبغي أن نفهمها في هذا السياق الذي طرحناه ، ولا ينبغي أن نعزل بعض آيات القرآن عن بعضها الآخر ؛ لأنّ القرآن طرح خَصيصة أُخرى للأُمة الإسلاميّة : ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيَماهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾(١) ، إنّ قوله تعالى : ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ**﴾ يقصد به الكافر الذي يدعو المؤمن بالله إلى السير في مناهج الكفر والغيّ ، وهنا على المؤمن أن يتحلّى بالشدّة في رباطة جأشه والأخذ بعقيدته ، ويقابل تلك الدعوة بدعوة مضادّة ، وكما يدعو الكافر بشدّة تدعوه إلى ترك ما دعا إليه بنحو يتناسب مع دعوته ، وإذا أراد المسلم أن يدعو من لا يؤمن بالله ـ حتّى لو كان من الكفرة والمتغطرسين ـ لا بدّ أن ينطلق معه بادئ ذي بدء من خلال مبدأ المرونة واللين ؛ لأنّ الله تعالى أمر موسى وهارون في دعوتهما لفرعون بهذا المبدأ : ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً**﴾(٢) ، ذلك مبدأ القرآن .

أمّا في مقام الردّ عندما يدعو إلى الكفر فيختلف الأمر ، ولا بدّ من الاتّصاف

---

(١) الفتح ٤٨ : ٢٩.

(٢) طه ٢٠ : ٤٤.

بالشدّة في عدم الانسياق والانجرار إلى تلك الدعوات الزائفة المنطلقة من الكفر. والشدّة التي تحدّثت عنها الآية ليست بمعنى ممارسة التعذيب للكافر؛ لأنّ الرفق مطلوب تجاه الحيوان فضلاً عن الإنسان وإنْ كان كافراً. وذلك يعطي السائر على نهج الإسلام وضوحاً في الرؤية تجاه الكفّار، أي أنّ الآية تعطي نهجاً واضحاً يتلاءم مع الفطرة والعقل السليمين في تعامل المسلم مع أخيه المسلم، لقوله تعالى: ﴿ **رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾، مبدأ التحاور بين المسلم وأخيه المسلم من خلال الرحمة والودّ والمحبّة والإخاء، وهو النهج الذي سلكه المصطفى سلوكاً عمليّاً مع المسلمين، الذين يختلفون في الفهم وفي الانتماء القبليّ أو المناطقيّ. فقد كان المسلمون آنذاك يّتصف كثير منهم بالبداوة والغلظة.

نعم، فيهم من يتّصف بالعلم والرحمة والمحبّة وسعة الأُفق، وفيهم من هو ضيّقٌ في أُفقه لا يتّسم بسعة النظر، وقد استطاع النبيّ صلى الله عليه وآله بحكمته ووعيه لخصوصيّات المجتمع أن يصهر الاختلافات المتعدّدة في بوتقة واحدة، ويطرح مبدأً واحداً هو: (لَا إِلـهَ إِلّا الله)(١)، الفلاح والنجاح من خلال الانصهار في بوتقة الأُمّة الإسلاميّة في الخطوط العريضة، وليس في التفاصيل التي هي مورد اختلاف في أذواق الناس، وإذا انطلق الإنسان من خلال تلك التفاصيل سوف يُجزئ الأُمّة الإسلاميّة ويشرذمها، ويجعلها غير قابلة للنهوض حضاريّاً لتسهم الإسهام الذي أشرنا إليه فيما تقدّم، وبالتالي ستجرّ أذيال الخيبة والتخلّف.

السبب الرئيس في تخلّف الأُمّة الإسلاميّة.

لا بدّ أن نقف وقفة تأمّل كي نُشخّص عوامل تخلّف الأُمّة الإسلاميّة، والتي من أهمّها الضيق في الأُفق، والانطلاق من خلال الفكر الضيّق، فبعض من يُؤمن

---

(١) بحار الأنوار: ١٨: ٢٠٢.

بالإسلام يرى بنظرته الضيّقة أنّ الإسلام هو ما آمن به فقط ، ويمارس الإجحاف والظلم والتعدّي على غيره حتّى وإنْ كان يشترك معه في الإسلام في خطوطه العريضة التي أشرنا إليها ، ذلك ما قاسى منه النبيّ ﷺ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام .

النبيّ ﷺ وأصحاب الأُفق الضيّق .

واجه النبيّ ﷺ بعض الصحابة الذين ينطلقون بأُفق ضيّق ، فيتعدّون على غيرهم بالقتل وإن تشهد الشهادتين ، ودخل في الإسلام ، والنبيّ ﷺ تبرّأ من هكذا أفعال ، وعندما أتى بعض ضيّقي الأُفق إليه ﷺ فقال : « يا رسول الله ، إنّ مَن تشهّد الشهادتين يُبطن خلاف ما يُظهر » ردّ عليه المصطفى ﷺ برؤيته الواسعة ، وفهمه الإلهيّ ، ونظرته الحضاريّة للإسلام ، فقال : « ألا شققت عن قلبه ، وقد أخبرك بلسانه فلم تصدّقه ؟ »[(١)] ، أي كيف يُتاح لك أن تخرق قانوناً من قوانين الإسلام من خلال قراءة خاطئة .

موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الخوارج .

امتدّت النظرة الضيّقة إلى عصر إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام من خلال الخوارج الذين

---

(١) في شأن نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً...** ﴾ : نزلت في رجل قتله أبو الدرداء ، كانوا في سريّة فعدل أبو الدرداء إلى شِعب يريد حاجة ، فوجد رجلاً من القوم في غنم له ، فحمل عليه بالسيف ، فقال: لا إلـه إلّا الله ، فبدر فضربه حتّى جاء بغنمه إلى القوم ، ثمّ وجد في نفسه شيئاً ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ : **ألا شققت عن قلبه وقد أخبرك بلسانه فلم تصدقه ؟** قال : كيف بي يا رسول الله ؟ قال : **فكيف بلا إلـه إلّا الله ؟**

قال أبو درداء : فتمنّيت أن ذلك اليوم مبتدأ إيماني ، فنزلت الآية عن ابن زيد . بحار الأنوار : ٢٢ : ٢١ .

قالوا (لا حكم إلّا لله) فردّ عليهم أمير المؤمنين عليه السلام : « **كَلِمَةُ حَقٍّ يُرادُ بِها باطِلٌ** »[١] لكنّهم لم يستجيبوا لندائه ، وساروا خلف ضلالهم وجهلهم ، ممّا جرّ المآسي الكبيرة على المسلمين ، وقد وصل بهم الحدّ أنّهم إذا وجدوا مسلماً سألوه فإذا كان لا يؤمن بنظرهم قتلوه ، أمّا إذا كان من أهل الذمّة خلوّ سبيله ؛ لأنّهم يعتقدون بأنّ النبيّ أوصى بأهل الذمّة . نعم ، لقد أوصى صلى الله عليه وآله بأهل الذمّة ، ولا بدّ أن يحافظ على وصيّته ، لكن قتلهم للمسلمين الذين لم يتّحدوا معهم في الرؤية خطأ فادح تألّم له أمير المؤمنين عليه السلام . إنّ هكذا رُؤى وانطلاقات لا تنسجم مع الإسلام الواسع ورحمته العامّة .

أثر الاُفق الضيّق في العصر الحاضر .

استمرّت نظرية ضيق الاُفق أحقاباً من التاريخ ، وبالخصوص بالنسبة للحكومات ، التي تحكم المسلمين من خلال نظريّة ضيّقة تؤمن بمذهب من المذاهب ، وترى أنّ الإسلام هو ذلك المذهب ، وما عداه من المذاهب يمثّل الباطل ، فتمارس الظلم والإجحاف والبطش والقهر معه ، بما يختلف مع رؤى الإسلام الواسعة ، وهكذا وُجدت فِرقاً خرجت عن الاُطر والخطوط العريضة ، فجلبت الويلات والمآسي على الإسلام والمسلمين ، إنّ الإسلام بريء من هكذا نظرات ضيّقة في اُفقها غير منسجمة مع الإسلام الحضاريّ ، فالإسلام لا يطلب من المسلم أن يعتدي على الآخرين أو يقتلهم بتفجيريهم ؛ لأنّ الإسلام يمثّل العدالة والرحمة والدعوة باللين والرفق والمحبّة ، قال صلى الله عليه وآله : « **قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : إنَّ الرِّفْقَ لَمْ يُوضَعْ عَلىٰ شَيْءٍ إلّا زَانَهُ ، وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إلّا شَانَهُ** »[٢] ؛ لذا لن نتمكّن أن نظهر بين اُمم الأرض ممثّلين للإسلام مع وجود من يحمل من أفراد وحكومات ومنظّمات هذه النظرة الضيّقة ؛

---

(١) نهج البلاغة : ٤ : ٤٥ .

(٢) الكافي : ٢ : ١١٩ ، الحديث ٦ .

لأنّ أساس الإسلام العدالة التي لا ترتبط بالمسلمين مع اختلاف انتمائهم المذهبيّ فقط ، بل تشمل غيرهم لأنّها مبدأ عامّ لا بدّ أن يُنظر إليه تطبيقاً وتجسيداً بين الإنسانيّة جمعاء كي تترتّب الآثار الايجابيّة على العدل وتنهض الأُمّة بممارسته تطبيقاً وتجسيداً لا قولاً وادّعاءً .

وحدة الاُمّة منطلق التوحيد العقديّ

قال تعالى :

﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾(١)

الإيمان بالقرآن أساس وحدة الاُمّة .

الاُمّة الإسلاميّة بمنطوق القرآن الكريم اُمّة واحدة ، ومن يؤمن بالقرآن لا بدّ أن يؤمن بوحدتها ، وانطلاقاً من الإيمان بالقرآن لا بدّ من الحفاظ على هذه الوحدة ؛ لأنّ الذكر الحكيم نصّ عليها ونهى عن التنازع والتضادّ بين المسلمين لئلّا يفشلوا وتذهب ريحهم ، فمسألة الوحدة الإسلاميّة ترجع إلى الإيمان بالقرآن الكريم الذي هو مبنىً عقديّ لكلّ مسلم لا يُفَرّطُ فيه .

مفهوم ضيق للوحدة .

غير أنّ بعض المسلمين يُؤَوِّل آيات القرآن الكريم التي تدعو للحفاظ على وحدتهم بمن تتوافر فيهم الرؤى التي يؤمن بها ، وبالتالي يكون مفهوم الوحدة الإسلاميّة في إطار نظرته المحدودة الضيّقة ، يخالف ما جاء عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وأهل بيته عليهم‌السلام في الأحاديث الصحيحة ، وعلينا أن نكون في غاية الانتباه ولا نرضى

---

(١) الأنبياء ٢١ : ٩٢ .

بالمساس بوحدة أُمّتنا الإسلاميّة ؛ إذ أنّ المساس بوحدتها تضييع لحقوق الأُمّة بين الأُمم ، وتفريط في قدراتها ،وشرذمة لطاقاتها .

الوحدة في بُعدها الإسلاميّ :

الحفاظ على وحدة الأُمّة من الأهمّيّة بمكان كما يظهر من آيات القرآن الكريم والروايات الكثيرة الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل بيته عليهم السلام ، وقد أفصح عن ذلك كثير من العلماء والمفكّرين المخلصين من مختلف طوائف الأُمّة ، الذين أدركوا أنّ خير الأُمّة يكمن في الحفاظ على وحدتها ، ولا بدّ من إلفات النظر إلى أُمورٍ :

الأوّل : حقيقة الوحدة بين المسلمين .

معنى وحدة الأُمّة الإسلاميّة لا يعني إزالة الاختلاف بين أطيافها وفِرقها المختلفة ومذاهبها المتنوّعة ، وهذا ما أبانته الأحاديث الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل بيته عليهم السلام ، وهو ما فهمه الفقهاء عبر تاريخ الأُمّة الطويل ؛ إذ أنّ علماء الأُمّة من الفقهاء والمفسّرين وعلماء الكلام ، وبالرغم من وجود اختلاف بينهم وتباين في آرائهم لكنّ الكثير منهم ممّن اتّصف بالإنصاف ونظر بعين البصيرة كانوا يرون أنّ روح الشريعة في الإيمان بوحدة الأُمّة ، ولا بدّ أن يرى العَالِم عندما يختلف مع أخيه العَالِم في انتمائه المذهبيّ أو في فكره العقديّ والفقهيّ أنّ الاختلاف سنّة طبيعيّة من سنن الكون لا يمكن القضاء عليها مهما بذل من جهد وصُرف من طاقة وإمكانيّات .

الثاني : الرسول صلى الله عليه وآله يُنظِّر لثقافة الاختلاف .

الاختلاف في فقه الشريعة أشار إليه حديث يمكن أن نفهم مغزاه إذا تأمّلناه بحصافة رأي ، قال صلى الله عليه وآله : « **نَضَّرَ اللهُ عَبْداً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ، وَبَلَّغَهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ،**

فَكَمْ مِنْ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ»[١]. النبيّ ﷺ يرى أنّ الاختلاف في فهم الأحاديث أمر طبيعيّ، ويمكن أن يلتفت الفقيه، ولا يقصد بالفقيه المعنى الخاصّ، وإنّما الفقيه بالمعنى الأعمّ، والذي يفهم علوم الشريعة، سواءً كان من الأخصائيّين في الفقه أو التفسير أو العقائد أو سائر علوم الشريعة، فالفقه كان يطلق على العلم بالشريعة بمعناه الواسع، لكنّه في العصور المتأخّرة حُصر في العلم بالقوانين الشرعيّة، وكان في السابق يُطلق على العلم بالشريعة في أيّ مجال من مجالاتها؛ إذ أنّ الفقه في اللغة هو الفهم إلى ما يشير إليه الحديث ممّا يمكن أن يُفهم من الكلام لدى عالم آخر لم يفهمه العالم الأوّل، فإذا فقهنا ما قاله عليه السلام نجد تقبّل الاختلاف سنّة طبيعيّة، ويصبح أمراً مقبولاً من لدن الجميع.

الثالث: المرجع عند الاختلاف.

الأمر الذي ينبغي أن ننتبه إليه أنّ الاختلاف الذي يُعدّ سنّة طبيعيّة لا يُرجع في تشخيص موارده إلى غير أهل الاختصاص؛ لأنّ ذلك غير سائغ ولا يجوز، فقد يبدو في ظاهر الحال أنّ الاختلاف كبير جدّاً، لكن عندما نرجع إلى أهل الاختصاص ويوضّحون لنا الحيثيّات التي يبتني عليها الاختلاف في الرأي الفقهيّ أو العقديّ أو التفسيريّ نجد أنّ مساحة الاختلاف تبدو ضيّقة على أساس الدلائل التي استند إليها العالم، فلا ينبغي لفرق المسلمين في موارد الاختلاف بينهم أن يرجعوا إلى غير أصحاب الاختصاص في ردم هوّة الاختلاف أو فهم الرأي الصواب من الرأي الخطأ، وعلينا أن نرجع إلى العلماء وليس إلى كلّ عالم أيضاً، فإنّ الاختلاف في المجال الفقهيّ يُرجع فيه إلى الأخصّائيّ بالفقه، وإذا كان في المجال العقديّ فإلى المتخصّص في علوم العقيدة، وإن كان في مجال الحديث يُرجع إلى علم الرجال

---

(١) بحار الأنوار: ٢: ١٤٨.

والأسانيد ودراية الحديث ، المهمّ أن لا نرجع لغير الأخصّائيّ عند بدو الاختلاف بين فرقة واُخرى .

الرابع : إبداء حُسن النيّة تجاه الآخر .

من المهمّ أن يعذر بعض المسلمين بعضهم الآخر عند عدم الاتّفاق في مواطن الاختلاف ، فلا يمكن لاُمّة بحجم الاُمّة الإسلاميّة أن تتّفق في كلّ مفردات الشريعة ، كما أنّ الاُمم السابقة وأصحاب التخصّصات العلميّة يختلفون في كثير ممّا يُرجع فيه إلى شؤون الحياة ، فالاختلاف ظاهرة طبيعيّة لدى كلّ أصحاب التخصّصات العلميّة ، وهكذا الحال في موارد الاختلافات العقديّة والفقهيّة وشؤون الدين الاُخرى ، وإذا اختلف فقيهان أو عالمان ينبغي أن نلتمس العذر في مواطن الاختلاف ؛ لأنّ التماس العذر يُنبِئ عن الظنّ الحسن ، وهو من الاُمور التي أكّدت عليها شريعتنا السامية تجاه إخواننا المسلمين ، لكون المسلم لا يريد إلّا الخير لاُمّته الإسلاميّة ، ومبدأ التماس العذر في غاية الأهمّيّة من الناحية العمليّة ؛ لأنّه ينطلق من حُسنِ ظنِّ المسلم بأخيه المسلم ، وهو ممّا فرضته الضرورة الإسلاميّة بين المسلمين ، فعدم التماس العذر يعني حمل الأحقاد والضغائن للآخرين ، فالعالم الذي صدر منه كلام لا يتّفق مع عالم آخر ، بل فيه ما لا يَرضى به ، غير أنّ الفرقة التي ينتمي إليها هذا العالم ترتضيه ، فإذا انطلق من مسلّمات فقهيّة لدى فرقته أو المذهب الذي ينتمي إليه علينا أن نحترم رأيه ، ونوجد له المبرّرات باعتبار أنّ ذلك يرجع إلى مبادئ مسلّم بها لدى العلماء من فقهاء وغيرهم .

وقد رأينا العلماء اُبان العصور السابقة يعذر بعضهم الآخر ، ويلتمسون ذلك له في اُمور ظاهرها لا عذر لها ، انطلاقاً من أنّ الشريعة الإسلاميّة قائمة على السماحة والانفتاح ، وقبول الرأي الآخر حتّى إذا لم يكن من المسلمين ، فكيف بمن يؤمن بمبادئ الشرع الحنيف ، ويسلّم بها ، فمن الأوْلى بنا كمسلمين أن يعذر بعضُنا بعضَنا

الآخر ، ليصبح ذلك ثقافة سائدة بين العلماء والأخصائيّين في علوم الشريعة ، بل في كلّ شيء يفكّر به الإنسان المسلم غير المتخصّص بالشريعة ؛ لأنّ هذه الثقافة هي التي تجرّ الخير وتربط الأُمّة بِعُرى وثيقة بين مختلف توجّهاتها وشتّى انتماءاتها .

أسباب التطرّف الدينيّ :

هناك مسألة هامّة ينبغي أن نشير إليها ، وهي أنّ في كلّ أُمّة من الأُمم ، لا يمكن أن تخلو من متطرّفين ، فالتطرّف والراديكاليّة عند الأُمم المختلفة أمر واضح جدّاً ، ولا يمكن إلغاء هذا التطرّف الذي تصدر على أُسس مبادئه كلمات مسيئة من أصحاب كلّ فرقة وكلّ معتقد وكلّ مذهب لأصحاب الفرقة الأُخرى وأصحاب المذهب الآخر ، وهو موجود منذ القِدم ، ولا يمكن لنا أن نُلغيه لأنّه يرجع إلى مناحٍ مختلفة ومتعدّدة أهمّها سببان :

الأوّل : المستوى الفكريّ والثقافيّ للإنسان .

يختلف الناس في أفكارهم وفي الجانب الثقافيّ الذي يحملونه ، وهو ما يؤثّر على سلوكهم وتعاملهم وردود أفعالهم تجاه الأحداث .

الثاني : المجتمع المنغلق على نفسه .

المجتمع الذي يعيش فيه أصحاب تلك الآراء إذا كان منغلقاً ، أو أنّ البيئة التي تدعو إلى التطرّف والعنف هي من البيئات المنغلقة ، ولم تطّلع على الآراء ولم تعش الفكر الواسع تظن أنّ الصواب ما لديها ، ولا بدّ للعقلاء الحكماء من أصحاب كلّ فرقة من فرق المسلمين أن لا ينظروا إلى الأقلّيّة المحدودة التي تنادي بالصوابيّة المطلقة لفكرها ، وتجعل الآخرين من أهل العذاب والنار ، وليسوا بمسلمين ؛ لأنّ الرجوع إلى الأكثريّة الساحقة من المسلمين في كلّ فرقة هو الحصانة التي تصون الأُمّة الإسلاميّة عن الاختلاف .

من يُعبّر عن فكر وآراء كلّ فرقة؟

إنّ الأكثريّة ـ ولله الحمد ـ من فرق المسلمين تؤمن بوحدة الأُمّة، سواءً من العلماء أو من المفكّرين والكُتّاب والمثقّفين، وهناك أقلّيّة متطرّفة لدى كلّ فرقة وعند كلّ فريق، لا ينبغي أن نُركّز على آرائهم، وأن نجترّ نظريّاتهم التي تدعو إلى التشرذم، وتؤكّد على الخلاف، بل علينا أن ننطلق من الصواب وننظر إلى ما يقوله العلماء الكبار من أصحاب الفرق المختلفة في تاريخنا الإسلاميّ الطويل، حيث ركّزوا على أهمّ مبدأ من مبادئ الوئام وهو: (أنّ شرعنا الإسلاميّ الحنيف قام على مبدأين: على كلمة التوحيد ـ لا إله إلّا الله ـ وتوحيد الكلمة)، أي أن تكون الأُمّة موحّدة لكلمتها بين أُمم الأرض.

الفرق بين الاختلاف السياسيّ والدينيّ.

لا بدّ من التذكير بمسألة ذات أهمّيّة هي ضرورة التفريق بين الاختلاف السياسيّ والدينيّ، فهناك اختلافات سياسيّة بحتة إلّا أنّ البعض يحاول أن يجيّش المختلفين سياسيّاً ويصوّر الاختلاف دينيّاً أو عقديّاً، وهذا خطأ فادح يعود بالضرر الوبيل على أُمّتنا الإسلاميّة حتّى إذا حصل تقاتل لا ينبغي أن نصير الاختلافات المذهبيّة والعقديّة سبباً للتقاتل؛ إذ أنّنا نرى أنّ هناك تقاتلاً بين أصحاب كلّ فريق على مرّ التاريخ، وهذا ما حصل في عصرنا الراهن، فقبل سنوات كان هناك تقاتلاً بين الشيعة، رأينا ذلك في لبنان بين حزب الله وحركة أمل، وهما فريقان ينتميان إلى طائفة واحدة، فهل أنّ أسباب القتال تعود إلى ما نُطلق عليه بالاختلاف العقديّ أو المذهبيّ، إنّه اختلاف سياسيّ لا ينبغي أن ننظر إليه مذهبيّاً، وأيضاً التقاتل الذي نجده بين فتح وحماس في فلسطين، فالقتال بين الفريقين اللذين يريد كلّ منهما أن يستولي على حصّة أكبر ويُنمّي قاعدته الجماهيريّة، لا ينبغي النظر إليه كاختلاف عقديّ باعتبار أنّ حماس وفتح ينتميان إلى المسلمين السنّة،

ولم نرَ التجييش الطائفيّ لدى حماس وفتح ، ولم نرَ أيضاً التجييش الطائفيّ بين أمل وحزب الله في لبنان ، فالأمر ـ إذن ـ لا يعود إلى الانتماء العقديّ أو المذهبيّ ، وظنّي أنّه ينبغي أن نلتفت إلى أنّ أسباب الاختلاف السياسيّ في العراق لا تعود إلى المنطلقات العقديّة ، بل ينبغي أن نحصره في سببه السياسيّ ؛ إذ كلّ فريق يريد أن يستولي على حصّة أكبر ، ويأخذ القسم الأكبر من الكعكة ـ كما يعبّر السياسيّون ـ وهو ما لا يهمّنا ، والمهمّ هو وحدة المسلمين ؛ لأنّ هذه الاختلافات وإنْ طال أمدها سوف تحلّ بالصلح ، لكنّ الآثار السيّئة والمدمّرة إذا بنيت على الاختلافات أو نُظر لها عقديّاً ستترك بصماتها المسيئة ، وتحدث شرخاً في أُمّتنا الإسلاميّة يصعب على الحكماء والعلماء أن يعالجوه .

التركيز على الوحدة الإسلاميّة .

لنتّقِ الله كمسلمين في وحدة أُمّتنا الإسلاميّة ، ولننطلق من آي القرآن الصريحة التي تدعو إلى الوحدة والاعتصام بحبل الله ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾[١] ، هذا هو منطق القرآن ، ومنطق النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام ، وبالتالي هو منطق العلماء في العصور المختلفة ، فقد كان التركيز على وحدة الأُمّة ، ويعذر المختلفون بعضُهم بعضهم الآخر فيما اختلفوا فيه .

إذا التفت إلى هذه النقاط التي هي بحاجة إلى إشباع في بحثها وإلى إيضاح لجماهير أُمّتنا الإسلاميّة فلن تنطلي علينا الألاعيب التي يُذكي نارها بعض الفرقاء ، ويريدون أن تكتوي الأُمّة بكلّ انتماءاتها بهذه النار التي إذا أُشعلت لن يبقى لأحد سلامٌ ، ولن يكون لأحد مأمن ، لكنّنا إذا انتبهنا إليها منذ انطلاق أوّل شرارة فإنّ الناس سيعرفون باليقين الجازم أنّ الاختلافات جلّها تعود إلى الأسباب السياسيّة ، ويراد لها

---

(١) آل عمران ٣ : ١٠٣ .

أن تُذكى بنار الطائفيّة، وعلينا عدم تطييف تلك الاختلافات، والاشتغال الجادّ والتنظير الهادف بوحدة أُمّتنا الإسلاميّة، والتركيز على الوئام والتعايش السلميّ باعتبار أنّ كلّ أوطاننا مشتركة بين السنّة والشيعة وسائر الطوائف من الإسماعيليّة والزيديّة والأباضيّة، فالتركيز على نقاط الاختلاف يخرّب بيوتنا بأيدينا، ويجعلنا أُضحوكة لمن لا يريد الخير لأُمّتنا.

المنهج الإسلاميّ في التعامل مع الآخر

القسم الأوّل

الوسطيّة في مواجهة التطرّف

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾

الوسطيّة في القرآن.

أكّد القرآن الكريم على الوسطيّة في الأُمور ، وإذا رُوعيت أدّت إلى النجاح ، ذلك أنّ الفضيلة وسط بين الإفراط والتفريط ، ومن أراد أن يصل إلى الخير فعليه أن يكون وسطاً في أُموره ، وقد مدح الله تعالى في الآية المباركة الأُمّة الإسلاميّة بأنّها أُمّة وسط ، وهي شاهدة على الأُمم الأُخرى بوسطيّتها ، أي أنّ على الأُمم الأُخرى إذا أرادت الفضيلة والسؤدد أن تنهل من الأُمّة الإسلاميّة وأن تقتدي بها.

تاريخ التطرّف.

دعا الإسلام الأُمّة إلى الوسطيّة كي لا تكون متطرّفة في أمرٍ من أُمورها ، بل تأخذ

بالوسطيّة منهاج حياة ، غير أنّ أُمّتنا الإسلاميّة ومنذ فجر تاريخها ابتليت كما ابتليت الأُمم الأُخرى بالتطرّف والراديكاليّة ، وبعض المسلمين لم يأخذوا بوسطيّة الإسلام بل غالوا مرتفعين عن الحدّ الوسط ، فقد طرح الخوارج شعار (لا حكم إلّا لله) ومن خلاله جلبوا الكثير من الناس تحت لواء الحاكميّة لله تعالى ؛ إذ أنّ مبدأ الحاكميّة لله تعالى حقّ إلّا أنّ ذلك لا يعني عدم وجود من يجسّد هذا المبدأ ، بل أنّ الحاكميّة لله تعالى لا تكون إلّا من خلال الحاكم بالحقّ ، والحابس نفسه على مرضاة الله تعالى ، وقد تعدّى الخوارج على الحقوق وانتهكوا الحرمات ، واستمرّ هذا المنهج المغالي منذ فجر الإسلام إلى يومنا ، فغالى بعض المسلمين في تركيزه على بعض المفاهيم دون موازنة دقيقة بين مفاهيم الإسلام ، فأخذ مفهوماً منها وركّز عليه متناسياً بقيّة المفاهيم التي أُوليت عناية من الشارع .

الغلوّ سبب التطرّف .

إنّ أي مغالاة لمفهوم من مفاهيم الإسلام بجعل العناية له على حساب بقيّة المفاهيم الأُخرى غلوّ في ذلك المفهوم ، حتّى لو كان المفهوم هو العدالة ، فهي وبرغم أنّها ذات أهمّيّة فائقة إلّا أنّ المسلم لا يهتمّ بها على حساب بقيّة المفاهيم الأُخرى ، بل يهتمّ بالعدالة مع اهتمامه بالتوحيد ، ويهتمّ بالتوحيد مع اهتمامه ببقيّة أحكام الإسلام الأُخرى من صلاة وصوم وزكاة ، أمّا الاهتمام بمفهوم وإهمال بقيّة المفاهيم الإسلاميّة ، فإنّ ذلك غلوٌّ في المفهوم وتناسٍ لبقيّة المفاهيم ، ممّا يجعل المسلم ينحصر في ذلك المفهوم الذي ركّز عليه .

خسارة الأُمّة بالتطرّف .

ما وقع فيه الخوارج خطأٌ فادح كلّف الأُمّة الإسلاميّة قديماً وحديثاً مشاكل لا حدود لها ، ودماءً كثيرة ، وإشكاليّات لا تنتهي ، ومن أفضع الأُمور التي حدثت

لأُمّتنا الإسلاميّة التقاطع والتدابر ، فكلّ فئة من المسلمين اعتبرت نفسها على الحقّ دون بقيّة الفئات الأُخرى ، وسوّغت لنفسها محاربة الفئات الأُخرى ، ووسمتها بالضلالة والبدعة ، وأجازت لنفسها المحاربة وانتهاك الحقوق ، غير أنّ الإسلام بوسطيّته واعتداله يريد من المسلمين أن يصلوا إلى الخير ، وأن لا يتأطّروا بإطارات ضيّقة يحارب بها بعضُهم بعضَهم الآخر .

الوسطيّة في مدلولها .

معنى الوسطيّة الذي أوضحناه أن يكون المسلم وسطاً بين طرفي الإفراط والتفريط ، وأن لا يغالي ولا يرتفع في تركيزه على بعض الأُمور دون بعضها الآخر ، وإنّما يكون وسطاً بين طرفين ، وهو ما يريده الإسلام .

الوسطيّة والعدل .

عُبّر عن الوسطيّة بالعدالة كما جاء عن المصطفى صلى الله عليه وآله حينما قرأ الآية ﴿**وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾ ، قال صلى الله عليه وآله : « **يَعْنِي عَدْلاً** »(١) ، أي أن تكون متّخذاً سبيل العدالة ، وجادّة الصواب في كلّ مجال من المجالات .

النبيّ صلى الله عليه وآله والوسطيّة :

وقد أوضح صلى الله عليه وآله كيف يكون المسلم سائراً في جادّة الوسطيّة متّخذاً سبيل الرشد من خلال إرشادات متعدّدة :

الأوّل : بذل المحبّة .

قال صلى الله عليه وآله : « **لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا تَحَابُّوا** »(٢) ركّز صلى الله عليه وآله على الحبّ والوئام بين أفراد

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٣١٤.

(٢) **قَالَ رَسولُ اللهِ** صلى الله عليه وآله : **لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا تَحَابُّوا ، وَتَهَادَوْا ، وَأَدَّوُا الْأَمَانَةَ ،** »

المسلمين ، وبيّن أنّ الحبّ والوئام يجعل المسلمين في طريق الخير والرشد ، وقوله صلى الله عليه وآله : « **لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا تَحَابُّوا** » ، أي بَذَل بعضُهم لبعضهم الآخر الحبّ فهو السمة العامّة واللافتة الكبيرة التي يرفعها المسلم لأخيه المسلم .

الثاني : التهادي .

« **وَتَهَادَوْا** » : أي قدّم بعضُهم لبعضهم الهديّة ، فهي تجلب الحبّ ، وتُدلّل على المودّة من المسلم لأخيه ، ولا يشترط أن تكون مادّيّة بل يمكن أن تكون كلمة طيّبة يُهتدى بها إلى الصواب ، لذا قال بعض العلماء إنّ « **وَتَهَادَوْا** » ، أي بيّن بعضهم لبعضهم الآخر طريق الهداية ، فتبيان طريق الهداية هديّة معنويّة من المسلم لأخيه المسلم .

الثالث : أداء الأمانة .

« **وَأَدَّوُا الْأَمَانَةَ** » : التركيز على أداء الأمانة لئلّا يتحوّل المجتمع المسلم إلى مجتمع متنافر ؛ لأنّ الخيانة تجعل بعضهم يشتغل ضدّ بعضهم الآخر .

الرابع : ترك المعاصي .

« **وَاجْتَنَبُوا الْحَرَامَ ، وَوَقَّرُوا الضَّيْفَ ، وَأَقَامُوا الصَّلاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ** » : الكرم واجتناب الحرام توأمان يتحقّق بهما الخير والرفاه للأُمّة . والنبيّ صلى الله عليه وآله بيّن في هذا الحديث الشريف أنّ الخير بالوسطيّة التي يتّصف بها المسلم وليس ذلك بأمر واحد ، وإنّما بمجموعة أُمورٍ يعضد بعضُها بعضَها الآخر ، إذا توافرت أصبح المسلم يحقّق لنفسه ولأخيه من المسلمين ولأُمّته جمعاء الخير ، والحبّ والهداية ، فأداء الأمانة

« **وَاجْتَنَبُوا الْحَرَامَ ، وَوَقَّرُوا الضَّيْفَ ، وَأَقَامُوا الصَّلاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ** » . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٢٩ ، الحديث ٢٥ .

واجتناب الحرام ، وإقراء الضيف ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، أمورٌ تتحقّق بها الوسطيّة .

خطر مداهنة الظالمين .

وجاء عنه ﷺ أنّ الأُمّة تكون بخير ، وتحت رحمة الله تعالى ، ومؤيّدة منه جلّ وعزّ إذا لم تداهن الظالم ، قال ﷺ : « **لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ اللهِ وَفِي كَنَفِهِ** » : أي تحت رعاية الحقّ تعالى .

« **مَا لَمْ يُدَاهِنْ قُرَّاؤُهَا أُمَرَاءَهَا** » ، فقيام العلماء بوظيفتهم الملقاة عليهم عندما يرون أميراً جائراً فلا يكمّموا أفواههم ، بل يقولون كلمة الحقّ حتّى وإن كانت على حساب أنفسهم ، ويتحمّلون الضرر والمشقّة للصدع بكلمة الحقّ في المواطن التي تحتاج إلى ذلك ، مقولة الحقّ من الأهمّيّة بمكان لذا أكّد رسول الله ﷺ على هذه الكلمة التي هي مصباح يضيء طريق الهداية للناس « **لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ اللهِ وَفِي كَنَفِهِ مَا لَمْ يُدَاهِنْ قُرَّاؤُهَا أُمَرَاءَهَا** » القرّاء مصطلح أُطلق على العلماء بالقرآن ، وهم الفقهاء الذين يعلمون بالأحكام الشرعيّة ، ولم يداهنوا الأُمراء في الدين .

توقير العلماء .

« **ولم يزل علماءها فجّارها** » : إذا أزال العلماء عن مقاماتهم الفجّار تخلّفت الأُمّة ذلك أنّ العالم له مكانة في الوسط الاجتماعيّ ، وتقليل الفاجر من مكانة العالم انتهاك لحرمته وتعدٍّ على الأُمّة ، وعندئذٍ تكون المكانة للفاجر الذي لا يراعي الحقوق ولا يعرف الأحكام ، ويصبح الفاجر مكان العالم ، فتسير الأُمّة في طريق الغواية والضلال ولا تكون الأُمّة الوسط ، وقوله ﷺ : « **ولم يزل علماءها فجّارها** » يراد به إزالة العالم عن مكانته .

احترام الأخيار.

«**وَمَا لَمْ يُهِنْ خِيَارَهَا أَشْرَارُهَا**» : إنّ الأشرار قد يهينون الأخيار ، ويستهزؤون بهم ، ويقلّلون من مكانتهم ، وحينئذٍ فلتأذن الأُمّة بحرب من الله .

نتائج الانحراف عن الوسطيّة :

هناك يحدث الانحراف ويتحقّق الشطط ويسوء حال الأمّة ، ويتحقّق أمران :

الأوّل : حرمان لطف الله .

قال ﷺ : «**فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ رَفَعَ اللهُ عَنْهُمْ يَدَهُ**» : أي أنّ أولّ ما يحدث هو ارتفاع اللطف الإلهيّ النازل من الله تعالى على عباده ، فتصبح الأُمّة غير مؤيّدة بلطف من الحقّ تعالى .

الثاني : تسلّط الظالم .

«**ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ جَبَابِرَتَهُمْ**»[(١)] : ثمّ يتبع ذلك أن يُسلّط على الأُمّة السلطان الجبّار الذي يسومها سوء العذاب .

العدل في الوسطيّة .

التأكيد على الوسطيّة وتبيان أنّها مساوقة لعدم الغلوّ في مفهوم من المفاهيم الشرعيّة ، والعمل الجادّ ، والسير في جادّة الصواب ، هو العدل الذي أبانه المصطفى ﷺ ، أمّا التركيز على أمر من الأُمور دون ما سواه والاشتغال به وحده ـ حتّى وإنْ كان من أهمّ ما ورد في الشريعة كالصلاة ـ فهو غلوّ ، والمسلم إذا اشتغل

(١) تنبيه الخواطر : ١ : ٨٥.

بالصلاة وترك أُمور الحياة الأُخرى كان ضالّاً ومغالٍ ، والحال كذلك في الصوم فلا يُعطى لمفهوم في الشريعة الزيادة على حساب المفاهيم الأُخرى فإنّه غلوّ في ذلك المفهوم .

المسلم الوسطيّ .

وإذا كان الأمر كذلك فعلى المسلم أن يتّصف بالوسطيّة إذا أحبّ الخير لجميع أفراد أُمّته الإسلاميّة ، وأقام الصلاة ، ولم يقترف حراماً ، وأقرى الضيف ، ووقّر العلماء ، ونصرهم على الفجّار ، الذين لا يريدون الرشد ، فإنّه بذلك يسير على منهاج أهل البيت عليهم‌السلام .

منهجيّة أهل البيت الوسطيّة .

لقد سار الإمام أمير المؤمنين والإمام الصادق والرضا عليهم‌السلام ، والبقيّة من أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام في هذه الجادّة ، فواجه الإمام الرضا عليه‌السلام الغلوّ الثوريّ في زمانه ، ولم يرضَ به ، ومثّل الميزان الدقيق لموازنة الأُمور ولإرجاع الأُمّة إلى جادّة الصواب ، وكذا فعل الإمام الكاظم عليه‌السلام مع بعض مظاهر الغلوّ الماديّ ، وتحمّل عليه‌السلام المشاقّ العظيمة في سبيل إرجاع الأُمّة إلى جادّة الوسط .

الإمام عليّ في تبيان الوسطيّة .

لقد أبان إمامنا أمير المؤمنين عليه‌السلام الدور الرائد والعظيم لأئمّة أهل البيت في تبيان معاني الآية الكريمة ، فقال عليه‌السلام : « **نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ ، وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللهِ عَلىٰ خَلْقِهِ ، وَحُجَّتُهُ فِي أَرْضِهِ** »[1] ، فأئمّة أهل البيت عليهم‌السلام لم يغالوا في شيء ، وكانوا النمرقة

---

(١) بحار الأنوار : ٢٢ : ٤٤٢ و : ٢٣ : ٣٣٤ .

وفي شواهد التنزيل : ١ : ١١٩ ، الحديث ١٢٩ : « ... **وَنَحْنُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ :** »

الوسطى لكلّ فئات المسلمين.

موقف الإمام عليّ من التطرّف.

قال الخوارج كلمة جميلة: (لا حكم إلّا لله)، وعلّق الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام عليها بقوله: « **كَلِمَةُ حَقٍّ يُرادُ بِها باطِلٌ** »[(١)] ولم يقل عليه‌السلام: إنّ الكلمة لا قيمة لها، فهو عليه‌السلام ميزان للحقّ، ويريد لكلّ شيء أن يأخذ نصابه السليم والصحيح، والشعار البرّاق الذي طرحه الخوارج شعار جميل وصحيح، غير أنّه يُراد به الباطل، وعلى المسلمين جميعاً في عصرنا عدم البخس لما يُطرح من أفكار وشعارات وبيان أنّها محقّة، غير أنّه قد يراد بها الباطل، فالوسطيّة شعار والمحبّة بين المسلمين لافتة كبيرة تجمع كلمتهم وتلمّ شملهم وترأب صدعهم، وذلك ديدن أهل الحقّ، أمّا التركيز على الفرقة والغلوّ لأي مفهوم من المفاهيم فإنّه يؤدّي إلى الضلالة والتشرذم والفرقة بين المسلمين، وعلى أصحاب المذاهب المتعدّدة أن يلتفتوا إلى أهمّيّة هذا المنهاج الذي أبانه الله تعالى في كتابه الكريم.

القسم الثاني

النتائج السلبيّة في التعامل مع الآخر

قال تعالى:

﴿ **وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ﴾

« ﴿ **وَكَذٰلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً** ﴾ ».

(١) نهج البلاغة: ٤: ٤٥.

النهج الوسطيّ ضمانة للأُمّة عن الانحراف ، وقد بيّن النبيّ ﷺ عند تلاوته للآية بأنّ الوسطيّة هي العدل ، وأوضحنا أنّ الأُمّة الوسط هي التي لا تُغالي في أمر من الأُمور ، وإنّما تسير في جادّة الصواب ، آخذة بالأسباب المؤدّية إلى خير الجميع ، وقد أبان ﷺ في أحاديث متعدّدة ما ينبغي للأُمّة أن تحذر منه ، وما ينبغي للأُمّة أن تكون عليه ليتحقّق لها الخير والسؤدد ، وأكّد ﷺ على أهمّيّة توافر صفات في المسلم ليتاح له الارتقاء إلى ما يريده الله تعالى من وسطيّة للأُمّة .

تحمّل الأذى والصفح .

إنّ احتمال الأذى والغفران والصبر صفات أُكّد عليها منه ﷺ ، وهي عوامل تُحدِث الوسطيّة في الأُمّة ؛ إذ أنّ هناك أخطاء تصدر من لدن بعض من لا يزن الأُمور بالميزان الدقيق ، فيحدُث ما لا يُحمد عقباه ، وهنا لا ينبغي أن تكون ردود الفعل مؤدّية إلى معالجة الخطأ بالغلط ، بل ينبغي الإعراض والتغاضي والصفح ، قال ﷺ : **«خَيْرُ أُمَّتِي مَنْ إِذَا سُفِّهَ عَلَيْهِمْ احْتَمَلُوا ، وَإِذَا جُنِيَ عَلَيْهِمْ غَفَرُوا ، وَإِذَا أُوذُوا صَبَرُوا»**(١).

الأُسلوب الأمثل لتلافي الأخطاء :

بيّن عليه السلام الأُسلوب الأمثل لتلافي الأخطاء عند حدوثها ، لئلّا يبرز تأثيرها السلبيّ والسيّئ على الأُمّة بأُمور .

الأوّل : التغاضي .

السفه وهو أن يصدر من شخص ما لا يتطابق مع مقتضيات العقل والحكمة ، وحينئذٍ لا بدّ من التغاضي واحتمال الأذى ، ومحاولة الصفح والغفران ، خصوصاً فيما إذا كان المسيئ من ذوي الشأن الدينيّ والاجتماعيّ ، فعلى المُساء إليه التعامل

---

(١) تنبيه الخواطر : ٢ : ١٢٣ .

الإيجابيّ للمصلحة العامّة.

الثاني: الصبر على الإيذاء.

أمّا الإيذاء الذي أكّد النبيّ ﷺ على أهمّيّة الصبر في تجاوزه فهو ما يحدث من الأقربين، والذي عبّر عنه بعض الشعراء بظلم ذوي القربى، الأشدّ مضاضة على النفس، وإذا صدر ذلك ممّن لا يُتوقّع أن يصدر منه الأذى الكبير فلا بدّ من مقابلته بالصبر.

الثالث: تجنّب ردّة الفعل السلبيّة.

قال ﷺ: «**خيار اُمّتي ـ فيما أنبأني الملأ الأعلى ـ قوم يضحكون جهراً في سعة رحمة ربّهم، ويبكون سرّاً**»(١)، وهو ﷺ يبيّن هنا مكرمةً من مكارم الأخلاق؛ ذلك أنّ من طبع الإنسان أن يتألّم لما يحدث من سوء، غير أنّه لا ينبغي أن يرتّب أثراً على ألمه النفسيّ وردّة فعلٍ سيّئة، بل عليه أن يستبشر ضاحكاً إذا التقى مع إخوانه من المسلمين، الذين يختلف معهم ويستنكر ما صدر منهم من أفعال فُيغضّ طرفه ويريهم بِشرَ وجهه، ليوطّد علاقات المحبّة والإخاء بينه وبينهم.

ظواهر سلبيّة في الاُمّة:

لقد أبان النبيّ ﷺ أنّ ما يصدر من بعض أفراد الاُمّة يجرّ الويلات عليها، وتخوّف من ذلك فقال ﷺ: «**أَشَدُّ مَا يُتَخَوَّفُ عَلىٰ أُمَّتِي ثَلَاثَةٌ: زَلَّةُ عَالِمٍ، أَوْ جِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ، أَوْ دُنْيَا تَقْطَعُ رِقَابَكُمْ فَاتَّهِمُوهَا عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ**»(٢). إنّ تأكيده ﷺ على هذه الاُمور الثلاثة لتأثيرها السلبيّ والكبير.

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٧.

(٢) الخصال: ١: ١٦٣.

الأوّل : زلّة العالم.

فزلّة العالم عبّرت عنها بعض الروايات بزلّة العالَم ـ بفتح اللام ـ إذ أنّه قدوة لكثير من الناس دون أن يعرف من يقتدي به الخبايا والخفايا لما صدر منه من زلّة ، فالعالم إذا اتّبع الشطط وزاغ في رأيه ، متّبعاً هواه صدر منه ما يؤذي الجميع . وكان ضرر تلك الزلّة عظيماً ، وأصبحت العاقبة شرراً مستطيراً يحرق الخصب ولا يبقي ولا يذر ، وذلك لتأثّر الناس به ؛ لقُدسية العلم ، فمكانة العالم لحمله آيات القرآن وفقهه للحديث ، تجعل ظلمه للجميع ، وقد يتصوّر العالم عندما يتكلّم بكلمة أنّها هيّنة ، وأنّ تأثيرها قليل ، غير أنّ الواقع خلاف ذلك ، فإذا صدرت الكلمة الهيّنة من العالم على خلاف الحكمة كان شررها مستطيراً وضررها كبيراً ، فعلى العالم أن يُراعي مصلحة الأُمّة ، وأن لا ينطلق من الأُطر الضيّقة ، ولا يُحدِث بما يجعل بعض فئات الأُمّة تشتغل ضدّ بعضها الآخر ، بل يؤكّد على وحدة الصفّ ، ولَمّ الشمل والإخاء والتعاون بين أفراد وفئات الأُمّة ، بغض النظر عن اختلافهم في الأفكار والاتّجاهات أو في بعض الأُمور التي لا تضير الخطوط العريضة للشريعة الإسلاميّة السمحاء .

الثانية : جدل المنافق.

هناك من يظهر الخير على طرف لسانه ويُضمر الشرّ ويصطاد في الماء العكر ملتمساً نقاط الضعف ليجادل من خلالها ، فإذا صدر منه هذا علمنا أنّه من منافق يظهر خلاف ما يبطن وينبغي أن يُلتفت إلى ضرره ، فهو يجادل بأدلّة ويُظهر حقائق ليخفي أُخرى ، لا يلتفت إليها إلّا الفطن ، أمّا عامّة الناس فيتصوّرون أنّ الأدلّة دامغة وينبغي أن يُؤخذ بها . إنّ القليل من الناس يرجع إلى المصادر ويسأل العلماء ، أمّا أكثر الناس فيتأثّر إذا سمع الدليل ، خصوصاً إذا لاقى هوىً في نفسه ، ولعلّ من أبرز الاختلافات ، الاختلافات العقديّة بين طوائف المسلمين ، فإذا سمع بعض منهم كلمة من عالم يرتئيه أثّرت الكلمة في نفسه ونسي رشده ، واتّبع غيّه ، وضلّ في

هواه، وينبغي هنا على اليقظين الذين يريدون خير الأُمّة أن يلتفتوا إلى الكلمة التي تلاقي هوى النفس ليزيلوا آثارها، ويركّزوا على الأهم وهو وحدة الأُمّة الإسلاميّة والتعاون بين أفرادها، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾(١).

الثالث: المصالح الفرديّة.

ثمّ قال النبيّ ﷺ: «**أَوْ دُنْيَا تَقْطَعُ رِقَابَكُمْ فَاتَّهِمُوهَا عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ**». هناك من ينطلق من المصالح الفرديّة ولا ينظر إلى المبادئ فتؤثّر عليه الدنيا والمنصب والإمكانيّات التي لديه فيقول كلمة تقطع رقاب الآخرين، والنبيّ ﷺ أوضح أنّ الاختلاف بسبب هذه الدنيا يؤدّي إلى إراقة الدماء، وقتل بعض المسلمين لبعضهم الآخر نتيجة للاختلاف، وقد حفل تاريخ أُمّتنا الإسلاميّة بكثير من الاختلافات التي أدّت إلى التشرذم والانغلاق ورؤية بعض الفئات أنّها على الحقّ المطلق، وأنّ غيرها على الباطل المحضء، دون مراعاة لوحدة المسلمين، وأهمّيّة الكلمة الطيّبة بين بعضهم وبعضهم الآخر.

الرابع: ترك مقتضى الحكمة.

قال ﷺ: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلىٰ أُمَّتِي زَلّاتُ الْعُلَمَاءِ**»، فزلّة العالم يترتّب عليها سوء العاقبة، وتفرّق الشمل بين المسلمين، ثمّ قال ﷺ: «**وَمَيْلُ الْحُكَمَاءِ**» تعبير بليغ، بل من أروع التعابير، فميل الحكماء الذين يتّصفون بالحكمة دون رعاية للمصلحة العامّة فإذا رجّح الحكماء الميزان الذي يصبّ في صالحهم، ولم يراعوا مقتضى الحكمة، بل مصلحة الفئة التي ينتمون إليها، أدّى ذلك إلى سوء المآل، فالحكيم ينبغي أن يركّز على مقتضيات حكمته وعلى المصلحة العامّة التي تعود

(١) الأنبياء ٢١: ٩٢.

بالخير على الجميع .

الخامس : التأويل السيّئ .

ثمّ قال ﷺ : «**وَسُوءُ التَّأْوِيلِ**»(١) : التأويل لآية أو لحديث يحمل أوجهاً مختلفة ليتّفق مع الهوى سبب رئيس للفرقة والاختلاف ، لذا كان الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ينهون عن ذلك ، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لابن عبّاس في محاجته للخوارج عندما طلب ابن عبّاس أن يحاجهم بالقرآن ، قال عليه السلام : «**لَا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ**»(٢) ، أي أنّ الخوارج سوف يؤوّلونه بتأويلات مختلفة ، وكذا الحال مع الأحاديث النبويّة ؛ إذ يستطيع المنافق أن يؤوّل الأحاديث على وفق هواه وما يرتئيه ، فسوء التأويل أي التأويل السيّئ الذي يقود إلى الفساد ، لا يوصل إلى مصلحة الأُمّة ووحدتها .

السادس : أئمّة الضلال .

قال ﷺ : «**إنّ أخوف ما أخاف على أُمّتي الأئمّة المضلّون**»(٣) ، فأئمّة الضلال والدعوة إلى النار شرّهم كبير ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**﴾(٤) .

تحذير الأُمّة .

النبيّ ﷺ أبان في الأحاديث السالفة أُموراً في غاية الأهمّيّة لا بدّ للأُمّة أن تسير وفق هديها ، كي تبقى متّحدة قويّة تجاه من يحاول النيل منها .

---

(١) تنبيه الخواطر : ٢ : ٢٢٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ١٨ : ٧١ .

(٣) كنز العمّال : ١٠ : ١٨٨ ، الرقم ٢٨٩٨٦ و : ٥ : ٧٥٦ ، الرقم ١٤٢٩٣ .

(٤) القصص ٢٨ : ٤١ .

المرجعيّة مواقف وسلوك تجاه الإرهاب

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1]

نرفع أحرّ التعازي للأُمّة الإسلاميّة بهذا المصاب الجلل، بالاعتداء الآثم على مقامي الإمامين العسكريّين عليهما السلام.

تمرّ علينا المصائب تترا، فعالمنا الإسلاميّ مملوء بالإشكاليّات المتعدّدة، ومن أعظمها ما عاشه عالمنا الإسلاميّ منذ القِدم، وتمثّل في الغلوّ والتطرّف في المجال العمليّ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**صِنْفَانِ لَا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: سُلْطَانٌ غَشُومٌ عَسُوفٌ، وَغَالٍ فِي الدِّينِ، مَارِقٌ مِنْهُ، غَيْرِ تَائِبٍ، وَلَا نَازَعَ**»[2]، الغالي والمتطرّف لا يحصل على شفاعته، وقد ساوى صلى الله عليه وآله بين الظالم في سلطانه والغالي المتطرّف الذي لا يرعوي إلى القانون ولا يبالي بالنظام، وإنّما ينطلق من أُفقه الضيّق، غير آبهٍ بما يريده الشارع المقدّس.

---

(١) البقرة ٢: ١٥٦ و ١٥٧.

(٢) قرب الإسناد: ٦٤.

التطرّف والغلوّ قديماً .

مشكلة التطرّف والغلوّ قديمة حديثة ، وقد جعلت فئة من الناس يخرجون على إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام أبّان حكمه العادل ، ويرفعون شعار (لا حكم إلّا لله) ، الذي فسّره الإمام عليه السلام ببيان جميل ، حينما قال : « **كَلِمَةُ حَقٍّ يُرادُ بِها باطِلٌ** »(١) الشِعَار برّاقٌ في ظاهره ، جميلٌ في معناه ، غير أنّ واقع المراد منه للغلاة والمتطرّفين من الخوارج هو الباطل وليس الحقّ ؛ لأنّ الله تعالى يريد أن يطبق القانون من خلال النظام الذي مثّلهُ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أفضل تمثيل .

التطرّف والغلوّ حديثاً .

إشكاليّة خوارج عصرنا الحديث كإشكاليّتهم في العصر القديم لا يفقهون ما يراد منهم ، بمعنى أنّهم آلة تنفيذيّة تُحرّك من خلال أحزاب ومنظّمات ودول ، تُطبّق بهم أجندة تريد الوصول إليها دون أن يفقه هؤلاء ما يمثّله ذلك العمل من تفكيك لواقع الأُمّة وشرذمة لوحدتها ، ولن يعود الإرهاب بالخير على أُمّتنا ، والإرهابيّون في العصر الحديث كما نلحظ من خلال الحروب المتكرّرة في العالم الإسلاميّ تأخذ بأيديهم حكومات ودول وأحزاب لتطبّق من خلالهم أهدافاً ثمّ ترمي بهم في البحر غير آبهة بهم ، وليتهم يتّعظون ويفقهون أنّ أعمالهم لا تمتّ للإسلام بصلة وأنّهم آليات لتلك الدول والأحزاب التي نفذّت بهم تلك المخطّطات المشؤومة .

الواقع الحقيقيّ لسلوك الخوارج .

بيّن أمير المؤمنين عليه السلام لبعض حوارييه أنّ الخوارج لا تفيدهم العبادات ، وأبان النبيّ صلى الله عليه وآله أنّهم أهل عبادة وورع في الظاهر ولكنّهم قاصري النظر في الواقع ، قال عليه السلام

---

(١) نهج البلاغة : ٤: ٤٥ .

في حديثه عنهم : « **يُحَقِّرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ** »(١) . عندما ينظر المرء لهم يجد ظاهرهم الصلاح والعبادة ، وقد أكّد هذا إمامنا أمير المؤمنين عليه‌السلام عندما كان يمشي مع كميل بن زياد النخعيّ ، فوقف كميل مستمعاً إلى قارئ للقرآن منهم يقرأ : ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً**﴾(٢) ، بصوت شجيّ فأعجبه حال الرجل من غير أن يقول شيئاً ، فالتفت عليه‌السلام له وقال : « **يَا كُمَيْلُ ، لا تُعْجِبْكَ طَنْطَنَةُ الرَّجُلِ ، إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَسَأُنَبِّئُكَ فِيمَا بَعْدُ ، فَتَحَيَّرَ كُمَيْلٌ لِمُكَاشَفَتِهِ لَهُ عَلىٰ مَا فِي بَاطِنِهِ وَلِشَهَادَتِهِ بِدُخُولِ النَّارِ مَعَ كَوْنِهِ فِي هَذَا الأَمْرِ وَتِلْكَ الْحَالَةِ الْحَسَنَةِ ، وَمَضىٰ مُدَّةٌ مُتَطَاوِلَةٌ إِلَى أَنْ آلَ حَالُ الْخَوَارِجِ إِلىٰ مَا آلَ وَقَاتَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه‌السلام ، وَكَانُوا يَحْفَظُونَ الْقُرْآنَ كَمَا أُنْزِلَ ، فَالْتَفَتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه‌السلام إِلىٰ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ يَقْطُرُ دَماً ، وَرُءُوسُ أُولَئِكَ الْكَفَرَةِ الْفَجَرَةِ مُحَلَّقَةٌ عَلَى الأَرْضِ ، فَوَضَعَ رَأْسَ السَّيْفِ عَلىٰ رَأْسٍ مِنْ تِلْكَ الرُّءُوسِ وَقَالَ : يَا كُمَيْلُ ، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ**

---

(١) عن أبي سعيد الخدريّ ، قال : «بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ وَهُوَ يَقْسِمُ ؛ إِذْ أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ ـ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ـ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، اعْدِلْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله : **وَيْلَكَ ! مَنْ يَعْدِلُ إِنْ أَنَا لَمْ أَعْدِلْ وَقَدْ خِبْتُ أَوْ خَسِرْتُ إِنْ أَنَا لَمْ أَعْدِلْ** ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله : **دَعْهُ ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يُحَقِّرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يَنْظُرُ إِلىٰ نَصْلِهِ فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلىٰ رِصَافِهِ فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلىٰ نَضِيِّهِ وَهُوَ قِدْحُهُ ، فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي قُذَذِهِ فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدىٰ عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ ـ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ ـ تَدَرْدَرُ ، يَخْرُجُونَ عَلىٰ خَيْرِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**». بحار الأنوار : ٢١ : ١٧٣ و ١٧٤ .

(٢) الزمر ٣٩ : ٩ .

اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً﴾، أَيْ هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَأَعْجَبَكَ حَالُهُ»[١] مع كونه لا يفقه القرآن الذي جاء كتاب رحمة وهداية للبشريّة جمعاء، للوصول بهم إلى الخير والكمال، غير أنّ الخوارج يريدون للأُمّة أن تعيش متحاربة على غير وئام، فذكّر الإمام عليه السلام كميلاً بأنّ ذلك القارئ للقرآن لا ينتفع به؛ لأنّه لا ينطلق بفهم واقعيّ لروح الشريعة ولا يراعي مبدأ الوسطيّة في الإسلام.

أهل البيت عليهم السلام والوسطيّة.

منهج أهل البيت عليهم السلام هو الوسطيّة، ونرى ذلك في طائفة من النصوص والأدعية والزيارات تذكر أنّهم عليهم السلام الأُمّة الوسط التي يرجع إليهم الغالي، فلا يؤيّدون الغالي في غلوّه وإنّما يرجعونه إلى الوسطيّة، ويلحق بهم التالي، هذا هو مبدأهم عليهم السلام، بَيْد أنّ بعض الحكومات والمنظّمات التي ترتكب جريمة في حقّ الإنسانيّة لا زالت مستمرّة في غيها إلى يوم الناس هذا، فتطبق مخطّطاتها الإجراميّة بواسطة المغفّلين، الذين لم يستوعبوا الدروس والعبر من تاريخ الإسلام، كالحكومة العبّاسيّة التي قامت بإعفاء قبر الإمام الحسين عليه السلام، ونفذّت مخطّطاتها المشؤومة بهؤلاء المغفّلين، ولا زالت بعض الحكومات والأحزاب في عصرنا تنفّذ بهم ما تريد أن تصل إليه من أهداف.

منهج المرجعية امتداد لأهل البيت عليهم السلام.

المرجعيّة الراشدة هي المعلّم الواضح والنبراس المضيء لأُمّتنا الإسلاميّة بعد الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وقد ركّزت على مبدأ الوسطيّة محاولةً لملمة شمل الأُمّة تحت راية (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله)، ولم تنطلق المرجعيّة من ردود الفعل

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣: ٣٩٩.

أو الأُفق الضيّق ، وهذا ما يُشاهد في العراق الجريح من مواقف عظيمة على يد السيّد السيستانيّ ، المرجع الأعلى للطائفة في العصر الحاضر ، والذي استطاع بحكمته أن يُرشد الناس بمختلف انتماءاتهم المذهبيّة إلى الوسطيّة ، ويجمعهم على ما يحقّق مصلحتهم العامّة ، وبهذه المناسبة الأليمة أصدر السيّد السيستانيّ (دام ظلّه) بياناً أبان فيه أنّه ينبغي للمجتمع في العراق أن يأخذ مبدأ الوسطيّة ، وأن لا ينطلق من خلال ردود الفعل والنظرة الضيّقة بالرغم من الجرح الكبير الذي أُصيب به في أعظم المقدّسات بهدم قبري الإمامين العسكريّين عليهما السلام ، غير أنّ المرجعيّة الرشيدة تُركّز على وحدة الأُمّة مع وعي كاملٍ لمخطّطات أعداء الأُمّة ، الذين لا يريدون لها خيراً ، ويُطبّقون سياسة (فَرِّقْ تَسُدْ) ، هذه السياسة المستمرّة منذ القِدم لحكومات همّها الوصول إلى مآربها .

مبدأ العدالة في أهداف المرجعيّة .

إنّ المرجعيّة لا تريد الوصول إلى الغلبة سياسيّاً ، على أساس أنّ شيعة أهل البيت عليهم السلام يشكّلون الأكثريّة المطلقة في العراق ، فالحكومة لهم ، لكنّها تنطلق من خلال مبدأ العدالة الذي تريده السماء ويريده أهل البيت عليهم السلام بإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه ، رغم أنّ الإرهابيّين وهم شُذّاذ الآفاق لا يريدون لأُمّتنا خيراً ، ويحقّقون أهداف أعدائها .

علاج التطرّف والإرهاب .

لا بدّ أن نحذر من الدول الكبرى ، التي لا تريد مصلحة الأُمّة ، وتريد أن تطبّق أجندة الفعل ورد الفعل ، الذي ينطلق من النظرة الضيّقة من اللّاواعين وغير الحريصين على مصلحة الأُمّة ، ولا بدّ من إلفات النظر أنّ الإشكاليّة ليست في العراق وحده ، بل كلّ الدول الإسلاميّة تعيش مشكلة التطرّف والغلوّ والإرهاب . ولا يمكن

أن نصل إلى حلٍّ إلّا بالتأكيد على مبدأ الوسطيّة وتحقيق العدالة الاجتماعيّة، وإسلامنا الحنيف حرص على إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه.

العدالة مبدأ الدولة الإسلاميّة.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما بعث مالك الأشتر إلى مصر أبان أنّ العدالة حتّى مع غير المسلمين، هي هدف الإسلام قائلاً له يا مالك: «[النّاسُ] **صِنْفَانِ: إِمّا أَخٌ لَكَ في الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ في الْخَلْق**»[١]، والله لا يريد للإنسان أن يبخس الناس أشياءهم ﴿**إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾[٢]، العدالة للإنسانيّة جمعاء بما فيهم غير المسلم؛ لأنّ العدل قِوام السماوات والأرض، وهو أصل من أُصول الدين في فكر أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وعلينا أن نثقّف أُمّتنا الإسلاميّة بأهمّيّة العدل وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه ولا ننطلق بأُفقٍ ضيّقٍ، ومن أروع الحكم التي قالها إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال: «**اعْدِلْ تَحْكُمْ**»[٣]، فالعدالة وإعطاء الحقوق توأم مع الحكم، وعلينا أن نفقه مضمون أنّ العدالة تمثّل استراتيجيّة لنا كمسلمين، وأن لا ينطلق المسلم عندما يحكم من خلال البخس للحقوق مع من يختلف وإيّاهم في الانتماء المذهبيّ أو الدينيّ. وإذا انطلقنا من هذا التصوّر الإسلاميّ الأصيل نصل إلى ما نبتغيه من رفاه، بل يصل الجميع إلى الخير والوئام، ويحظون بالأمن والعدالة في كنف المجتمع.

---

(١) نهج البلاغة: ٤٢٧ (صبحي الصالح).

(٢) المائدة ٥: ٨.

(٣) مستدرك الوسائل: ١١: ٣١٩.

الأُخوة في المنظور الإسلاميّ

قال تعالى :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(١)

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾(٢)

ضرورة توثيق الارتباط العقديّ.

تمثّل الأخوة في الإسلام دِعامّة من دعائم الدين ، وركناً وثيقاً بُني عليه الكثير من المباني التي اهتمّ بها الشارع ، فهي لُحمة أقوى من لُحمة النسب ، وقد أكّد عليها الشارع في الآيات والروايات لما يترتّب عليها من بناء المجتمع الصالح ، وتلافٍ لكثير من السلبيّات التي إذا لم يُدركها المسلم فإنّه سيقع فيها لا محالة ، من هنا نجد التأكيد في القرآن الكريم عبر هاتين الآيتين اللتين ذكرناهما ، وغيرهما من الآيات والأحاديث الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ، وجميعها تؤكّد على ضرورة الارتباط الوثيق بين المسلم وأخيه المسلم ، حتّى تكون عُرى الارتباط الأخويّ أقوى من الارتباط النسبيّ ، وذلك أنّ النسب يمثّل اشتراكاً في الدم واللحم ،

---

(١) الحجرات ٤٩ : ١٠.

(٢) آل عمران ٣ : ١٠٣.

أمّا الارتباط العقديّ فهو ارتباط ينبثق من المبدأ وهو الحقّ تعالى ، لهذا كانت عُرى الارتباط من الناحية العقديّة أوثق منها من الناحية النسبيّة .

مجالات الارتباط الأُخويّ.

في القرآن الكريم تأكيدات متعدّدة تُبلور لنا العلاقة الوثيقة بين الأب وابنه ومع ذلك قد تحصل بينهما براءة كما حصل في براءة إبراهيم عليه السلام من أبيه ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**﴾(١) ، أو براءة بعض من أسلم من المسلمين من آبائهم وأقربائهم ، بَيْد أنّ الارتباط بعمقه ووثاقته من الناحية الإيمانيّة لا يمكن أن ينفصل ، بل يزداد وتترتّب عليه آثار أُكّد عليها في الشريعة ، سوف نذكر بعضاً منها ، ونبيّن أهمّيّة الوحدة بين عموم المسلمين في المنظور الإسلاميّ من خلال رباط (لا إلـه إلّا الله ، محمّد رسول الله) ورباط الإيمان بالقرآن الكريم ؛ إذ أنّ الروايات الواردة تشرح قوله تعالى : ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً**﴾ مبيّنة أنّ الحبل هو القرآن أو الإسلام ، لذا علينا أن نهتمّ بهذه الآيات القرآنيّة ، ونطبّق ما يريده الذكر الحكيم من لدن المسلم في وثاقة الارتباط بأخيه المسلم .

ثمار الأُخوّة الإسلاميّة :

الأُخوّة في النسب تأتي عبر الاشتراك من نواحٍ ثلاث : إمّا أخوة من الأبوين ، أو من أحدهما ، أو من الرضاعة ، وكلّ مفردة من هذه المفردات تترتّب عليها آثار تختلف عن الآثار الأُخرى المترتّبة على قرينتيها ، بَيْد أنّ أعظم عُرى الارتباط في الأُخوّة النسبيّة هو الاشتراك من ناحية الأبوين ، إلّا أنّ آثاره المترتّبة عليه أقلّ من الآثار المترتّبة على الارتباط العقديّ في الأُخوّة الإسلاميّة ؛ إذ أنّ هذا الارتباط نتج عن الإيمان بالإلـه الواحد الأحد ، وبما أوجبه على كلّ مسلم من الانصياع لأوامر

---

(١) الزخرف ٤٣: ٢٦.

الشرع والانتهاء عمّا نهى الله تعالى عنه ، وتظهر ثمرة هذا في جنبتين :

الأُولى : تأثير الأُخوّة على المجتمع .

إنّ الغاية من الأُخوّة في المنظور الإسلاميّ هي أن يصبح المجتمع بحالة من الوئام والتعاون تَقِلُّ فيه الرذائل وتكثر فيه الفضائل ، ويسعى المسلم إلى إسعاد أخيه المسلم ، ورد في الكافي للشيخ الكلينيّ رحمه الله عن إمامنا الصادق عليه السلام : « **الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ ، عَيْنُهُ وَدَلِيلُهُ ، لَا يَخُونُهُ ، وَلَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَغُشُّهُ ، وَلَا يَعِدُهُ عِدَةً فَيُخْلِفَهُ** »(١) .

وهذه الأحاديث لم ترد في مصادر المنتمين إلى أهل البيت عليهم السلام فحسب ، بل وردت في مصادر المسلمين عامّة بكافّة مذاهبهم واتّجاهاتهم الفقهيّة والعقديّة ،كما وردت تأكيدات على أهمّيّة الارتباط بين المسلم وأخيه المسلم من ناحية ما يترتّب على هذه اللحمة من آثار ذكرنا بعضها في حديث الإمام الصادق عليه السلام ، وقد وردت أيضاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله العشرات من الأحاديث في مصادر الفريقين تؤكّد على ما ذكرناه ، قال عليه السلام في تبيان الأُخوّة الإسلاميّة في الله تعالى وما يترتّب عليها : « **مَن آخى أخاً في الله رفع الله له درجة في الجنّة لا ينالها بشيء من عمله** »(٢) ولو توقّفنا هنيئة عند قوله عليه السلام : « **لا ينالها بشيء من عمله** » لوجدنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يؤكّد على أنّ العمل تترتّب عليه آثار تعود إلى الإنسان شخصيّاً ، أمّا الأُخوّة فآثارها تعود على المجتمع بأكمله .

الثانية : تأثير الأُخوّة على الفرد .

عند الحديث عن الأثر الفرديّ للأُخوّة نجد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يقول : « **مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأُخرى ، وما التقى المؤمنان قط إلّا أفاد الله أحدهما**

---

(١) الكافي : ٢ : ١٦٧ ، الحديث ٣.

(٢) فيض القدير : ٥ : ٥٢٦.

من صاحبه»[١]، والنبيّ ﷺ يشير إلى أمرين في غاية الأهمّيّة:

الأوّل: أنّ الإنسان يحتاج في مساره على كلّ صعيد إلى أخيه المسلم باعتبار أنّ الأخ المسلم كاليد الأُخرى للمسلم؛ كما أنّ الإنسان إذا أراد أن يغسل يده لا يتمكّن بسهولة ويسر دون ضمّ اليد الأخرى، يشير ﷺ إلى هذا الأثر في سهولة الوصول إلى المقصد.

الثاني: التأثير الإلهيّ للأخوّة الإيمانيّة. فالله تعالى يرتّب عليها الآثار تباعاً، قال ﷺ: «**إِذَا صَافَحَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ فَالَّذِي يَلْزَمُ التَّصَافُحَ أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الَّذِي يَدَعُ أَلَا، وَإِنَّ الذُّنُوبَ لَتَتَحَاتُّ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتّىٰ لَا يَبْقَىٰ ذَنْبٌ**»[٢]، فاللقاء الأخويّ رتّب الله تعالى عليه الآثار حتّى إذا لم يلتفت إليه كلّ منهما، ويرتبط هذا الأثر المعنويّ بالمزج بين عوالم أُخرى تختلف عن عالم المادّة الذي ندرك بعض آثاره.

عوامل توثيق العلاقة الأخويّة بالمجتمع:

نجد في الأحاديث التي وردت في ذكر ما جرى على أنبياء الله الصادقين مثل داود عليه السلام الذي هو من أنبياء الله العظام، حيث خاطب الباري تعالى قائلاً: «**يا ربِّ كيف لي أن يُحبّني الناس كُلّهم، وأَسلَم فيما بيني وبينك**»[٣]، فكلّ إنسان يطمح إلى محبّة الآخرين له، لكنّه أيضاً يريد أن تكون تلك المحبّة غير ضارّة بعلاقته بالله تعالى، وسنذكر بعض العوامل التي تُقوّي العلاقة بالآخرين:

أوّلاً: مداراة الناس.

أوحى الله تعالى لداود عليه السلام: «**أَنْ خَالِطِ النَّاسَ وَخَالِفْهُمْ بِأَخْلَاقِهِمْ، وَزَايِلْهُمْ فِي**

(١) جامع السعادات: ٢: ١٩٦.

(٢) الكافي: ٢: ١٨١.

(٣) الدرّ المنثور: ٢: ٣٤٠.

أَعْمَالِهِمْ ، تَنَلْ مَا تُرِيدُ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(١) ، فهو تعالى يأمر هذا النبيّ العظيم بمداراة الناس ، والتعامل معهم بوئام وإيجابيّة ، ثمّ يكون الإحسان والنصح وما يسدى للآخرين منطلقاً من الارتباط بالله تعالى .

ثانياً: مرونة التعامل .

قال إمامنا الصادق عليه السلام : « **مَا يَقْدَمُ الْمُؤْمِنُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِعَمَلٍ ـ بَعْدَ الْفَرَائِضِ ـ أَحَبَّ إِلَى اللهِ تَعَالىٰ مِنْ أَنْ يَسَعَ النَّاسَ بِخُلُقِهِ** »(٢) ، فعندما تختلف مع أخيك المؤمن والمسلم ومع سائر الناس ـ حتّى غير المنتمين إلى الديانات الإلـهيّة ـ حينها عليك بالمرونة في تعاملك معهم ؛ لأنّ أفضل عرى الارتباط فيما بينك وبين الآخرين بغضّ النظر عن انتمائهم الدينيّ للإسلام أو لغيره من الأديان أن تسعهم بدماثة أخلاقك ومرونة تعاملك ، « **مَا يَقْدَمُ الْمُؤْمِنُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِعَمَلٍ ـ بَعْدَ الْفَرَائِضِ ـ أَحَبَّ إِلَى اللهِ تَعَالىٰ مِنْ أَنْ يَسَعَ النَّاسَ بِخُلُقِهِ** » ، وكلمة الناس تشمل المسلمين وغيرهم .

عناصر مؤثّرة في الارتباط بالآخرين .

هناك آثار أكّد عليها النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ينبغي للمسلم أن يلحظها في ارتباطه بإخوانه المؤمنين والمسلمين ، قال إمامنا الصادق عليه السلام : « **ثَلَاثٌ مَنْ أَتَى اللهَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ الْجَنَّةَ** » :

الأُولى : « الْإِنْفَاقُ مِنْ إِقْتَارٍ » : فمن ينفق في سبيل الله تعالى حتّى إذا كان لا يجد إلّا القليل من المال فقد فاز ؛ لأنّ الإنفاق في سبيل الله يعود بالخير على ذلك المنفق بما يوصله إلى حبل لا ينقطع أبداً ، يؤدّي به إلى رضوان الله والدخول في جنانه .

الثانية : « وَالْبِشْرُ بِجَمِيعِ الْعَالَمِ » : فليس البِشر بمقصور على المسلم فحسب ،

---

(١) روضة الواعظين : ٢ : ٣٧٦ و ٣٧٧.

(٢) بحار الأنوار : ٦٨ : ٣٧٥.

بل لمطلق الإنسان مهما كان دينه، ومهما تعدّدت نحلته التي ينتمي إليها، فلا بدّ أن تتعامل معه بخلق إيجابيّ، وتستبشر مبتسماً إذا رأيته، وهذه دلالة على الجانب التلائميّ لدى المسلم الذي فهم الشريعة بحقّ.

الثالثة: قال الإمام الصادق عليه السلام: «**وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ**»(١): أي يكون عادلاً في أحكامه الصادرة منه حتّى إذا كانت في غير صالحه، أو في غير صالح من يحبّ من الناس، بل تنطلق من ميزان العدل والإنصاف ليكون ذلك الحكم له دعامة يتّكئ عليها وينبثق عن جذورها.

رؤية شموليّة لحقّ المسلم على المسلم.

هناك روايات وردت عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام فيها حقوق للمسلم على أخيه المسلم، وهي أعظم ممّا ذكرنا، وسأكتفي بواحدة من تلكم الروايات التي تبيّن بعض الحقوق والواجبات بين المسلم وأخيه المسلم؛ حيث سأل المعلّى بن خُنيس إمامنا الصادق عليه السلام عن حقّ المسلم على أخيه المسلم، فقال عليه السلام: «**سَبْعُ حُقُوقٍ وَاجِبَاتٍ، مَا فِيهَا حَقٌّ إِلّا وَهُوَ عَلَيْهِ وَاجِبٌ، إِنْ خَالَفَهُ خَرَجَ مِنْ وَلَايَةِ اللهِ وَتَرَكَ طَاعَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ نَصِيبٌ... قَالَ: أَيْسَرُ حَقٍّ مِنْهَا أَنْ تُحِبَّ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهَ لَهُ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَالْحَقُّ الثَّانِي: أَنْ تَمْشِيَ فِي حَاجَتِهِ، وَتَبْتَغِيَ رِضَاهُ، وَلَا تُخَالِفَ قَوْلَهُ، وَالْحَقُّ الثَّالِثُ: أَنْ تَصِلَهُ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ وَيَدِكَ وَرِجْلِكَ وَلِسَانِكَ، وَالْحَقُّ الرَّابِعُ: أَنْ تَكُونَ عَيْنَهُ وَدَلِيلَهُ وَمِرْآتَهُ**»، فالإمام عليه السلام يريد للمسلم أن يساعد أخاه المسلم كما يستفيد من جوارحه «**أَنْ تَكُونَ عَيْنَهُ وَدَلِيلَهُ وَمِرْآتَهُ**».

وَالْحَقُّ الْخَامِسُ: أَنْ لَا تَشْبَعَ وَيَجُوعُ، وَلَا تَلْبَسَ وَيَعْرىٰ، وَلَا تَرْوىٰ وَيَظْمَأُ،

---

(١) بحار الأنوار: ٧١: ١٦٩.

وَالْحَقُّ السَّادِسُ : أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةٌ وَخَادِمٌ وَلَيْسَ لِأَخِيكَ امْرَأَةٌ وَلَا خَادِمٌ ، أَنْ تَبْعَثَ خَادِمَكَ فَتَغْسِلَ ثِيَابَهُ ، وَتَصْنَعَ طَعَامَهُ ، وَتَمْهَدَ فِرَاشَهُ » ، المشاركة في مجال واسع حتّى كأنّه أحد أبنائك وأهل بيتك ، فكما تحتاج إلى عامل أو خادم يقوم بالأشياء الطبيعيّة التي تحتاجها فحاول أن تجعل خادمك أو عاملك ـ إذا كنت من المستطيعين ـ يُسهم في إفضاء الراحة على أخيك المسلم .

وَالْحَقُّ السَّابِعُ : أَنْ تُبِرَّ قَسَمَهُ ، وَتُجِيبَ دَعْوَتَهُ ، وَتَشْهَدَ جَنَازَتَهُ ، وَتَعُودَهُ فِي مَرَضِهِ ، وَتُشْخِصَ بَدَنَكَ فِي قَضَاءِ حَاجَتِهِ ، وَلَا تُحْوِجَهُ إِلىٰ أَنْ يَسْأَلَكَ ، وَلَكِنْ تُبَادِرُ إِلىٰ قَضَاءِ حَاجَتِهِ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ بِهِ وَصَلْتَ وَلَايَتَكَ بِوَلَايَتِهِ وَوَلَايَتَهُ بِوَلَايَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »(١) .

هذه الروايات الواردة عن المصطفى صلى الله عليه وآله ، والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام تؤكّد وثاقة الارتباط بين المسلمين كافّة بشتّى شرائحهم وانتماءاتهم المذهبيّة ، وإذا فقه المسلم هذا التوجيه والتعليم الوارد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام سيصل إلى الخير في دنياه وأُخراه ، وصدق الحقّ تعالى : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾(٢) ، وأمر بالاعتصام بالقرآن الكريم والإسلام كرسالة ونظام ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**﴾(٣) .

---

(١) بحار الأنوار : ٧١ : ٢٢٤ .

(٢) الحجرات ٤٩ : ١٠ .

(٣) آل عمران ٣ : ١٠٣ .

الباب الثالث

التاريخ

دروس مستوحاة من معركة أُحُد

قال تعالى :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١)

استعرضنا فيما سبق غزوة حنين ، التي كان لها الأثر الكبير في قوّة الإسلام من خلال المواقف المتعدّدة التي أبرزت للأعداء كمكارم أخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأعطت المصداقيّة والأحقيّة للدين الإسلاميّ ، وسنستعرض معركة أُخرى هي معركة أُحد .

أسباب المعركة :

في شهر شوّال في السنة الثالثة للهجرة وقعت معركة أُحد ، وهي من المعارك الكبرى في التاريخ الإسلاميّ ، كما أنّها مفصليّة في حيثيّاتها المتعدّدة ، لذا نستطيع أن نُرجع دوافع المشركين لهذه المعركة إلى ثلاثة عوامل :

الأوّل : العامل النفسيّ .

تلقّى المشركون وقريش هزيمة نكراء في معركة بدر الكبرى ، وسُحقت كرامتهم ،

---

(١) النور ٢٤ : ٦٢.

فلم يقرّ لهم قرار ، ولم تطمئنّ نفوسهم إلّا بأخذ الثأر من المسلمين ، والقضاء عليهم لإرجاع هيبتهم وقوّتهم التي انهارت بين القبائل .

الثاني : العامل الاقتصاديّ .

فقدت قريش كلّ الطرق الآمنة لتجارتهم إلى الشام ، بعد أن أصبحت تحت سيطرة المسلمين ، وأدّى ذلك إلى تكبيدهم خسائر ماديّة فادحة .

الثالث : العامل التحريضيّ .

قام أبو سفيان بتحريض المشركين على قتال المسلمين ، وكذلك حرّض اليهود والمنافقون في المدينة قريش من أجل غزو المدينة والقضاء على الإسلام ، وكان ذلك عاملاً هامّاً لإشعال فتيل الحرب .

الدروس التي نستفيدها من المعركة :

المتأمّل في الأبعاد التاريخيّة لهذه المعركة يجد أنّها تحوي دروساً وعِبَراً كثيرة وسوف نسلّط الضوء على ثلاثة منها :

الأوّل : مبدأ الشورى في نهج النبيّ صلى الله عليه وآله .

نتيجة للدوافع التي ذكرناها أعدّت قريش العدد والعُدّة ، واستنفرت القبائل لمحاربة النبيّ صلى الله عليه وآله ، حتّى تجاوز عددهم الثلاثة آلاف مقاتل . وعندما تناهى إلى مسامع النبيّ صلى الله عليه وآله استعداد المشركين لمحاربته ، عقد صلى الله عليه وآله اجتماعاً عسكريّاً مع أصحابه وأطلعهم على عزم المشركين على الحرب لاستشارتهم ، ونحن في عقيدتنا أنّه صلى الله عليه وآله لا يطلب المشورة لحاجته إليها ، بل كان يُريد أن يُؤسّس منهجاً في علاقة القائد مع أتباعه قائماً على المشورة ، التي تسير وفق تجميع القدرات الفكريّة ؛ لأنّ القياديّين في مختلف المناحي لن يتأتّى لهم ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله من الاتّصال

بالسماء ، لذا فهم بحاجة إلى أن يُزوّد كُلٌ منهم الآخر بالقدرات والتجارب ، ليتاح من خلالها الاطّلاع الدقيق على المواقف الصعبة ، وبالتالي وضع الخُطط المدروسة والمتقنة للسير على وفقها . وقد استمرّ هذا النهج النبويّ القائم على الشورى حتّى بعد حياته ، حتّى أقحم من قِبل البعض في الخلافة وتركت النصوص القطعيّة في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، ممّا أدى إلى حدوث الاختلافات الكبيرة بين المسلمين ، أي أنّه استمرّ نهجاً ثابتاً في كثير من الأُمور المصيريّة في حياة الأُمّة حتّى في الآراء المعارضة كما كان ديدناً للنبيّ صلى الله عليه وآله . وبعد أن شاور صلى الله عليه وآله أصحابه في شأن قدوم المشركين إلى المدينة ، انقسموا إلى رأيين :

الأوّل : أشار به عبدالله بن أُبي بن سلول ـ رأس المنافقين في المدينة ـ وهو القتال داخل المدينة والتحصّن بها ، وكان يهدف من ذلك أن يهجم المشركون على المدينة ويقضوا على المسلمين(١) .

---

(١) قال محمّد بن إسحاق : « لمّا قصّ رسول الله رؤياه على أصحابه ، قال لهم : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . وكان رأي عبدالله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله في ألا يخرج إليهم . فقال رجال من المسلمين ـ ممّن أكرم الله بالشهادة يوم أُحد ، وغيرهم ممّن كان فاته بدر : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنّا جبنا عنهم وضعفنا ، فقال عبدالله بن أُبيّ : يا رسول الله ، لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ قطّ إلّا أصاب منّا ، ولا دخلها علينا إلّا أصبنا منه . فلم يزل الناس برسول الله حتّى دخل فلبس لامته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من بني النجّار يقال له : مالك ابن عمرو ، فصلّى عليه ثمّ خرج عليهم ، وقد ندم الناس وقالوا: استكرهنا رسول الله ولم يكن لنا ذلك . فلمّا خرج عليهم قالوا : يا رسول الله ، إن شئت فاقعد . فقال: **ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يقاتل** . فخرج رسول الله في ألف من أصحابه » . السيرة النبويّة : ٣ : ٢٦ .

الثاني: تبنّاه فتيان المسلمين، الذين أصرّوا على ملاقاة العدوّ خارج المدينة، وقالوا: «لا نُغزى في عُقرِ دارنا»، وكان هذا الرأي مؤيّداً من لدُن كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار.

الثاني: التأييد الإلهيّ في آراء النبيّ صلى الله عليه وآله.

بعد أن أصبحت نتيجة الشورى والاقتراع الذي قام به النبيّ صلى الله عليه وآله بين المسلمين إلى تعدّد وجهات النظر أخذ برأي الأكثريّة في الخروج إلى الحرب، وأعلن قبوله بهذا الرأي عمليّاً من خلال ذهابه إلى داره وتقلّده لامة حربه وخروجه، فتأثّر بعض الشباب الذين أشاروا على النبيّ صلى الله عليه وآله بضرورة الخروج ومقارعة قريش بالسيوف، وتصوّروا أنّهم أجبروه على الخروج، فاعتذروا له وقالوا: استكرهنا رسول الله ولم يكن لنا ذلك. فلما خرج عليهم صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله، إن شئت فاقعد. فافصح صلى الله عليه وآله عن حقيقة كانت غائبة عنهم، وقال هذه الكلمة الرائعة: «**ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يقاتل**»[1]، أي أنّ الخروج أصبح أمراً محتّماً، وأنّه أمر من الله تعالى لا بدّ من الانصياع له، ممّا يُدلّل على أنّ كلّ الخطوات التي يخطوها صلى الله عليه وآله بتأييد من الله تعالى.

الثالث: الانصياع لأوامر القائد.

الانصياع لأوامر القائد أمر في غاية الأهمّيّة، ولذا سوف نطرح موقفين متناقضين للمخالفة والطاعة لأوامر النبيّ:

الموقف الأوّل: بعد أن صلّى النبيّ صلى الله عليه وآله الجمعة خرج بجيشه الذي يُقدّر بألفِ مقاتل إلى أُحد لمحاربة المشركين، إلّا أنّ المنافقين ـ وعلى رأسهم عبدالله بن أُبي بن

(١) السيرة النبويّة لابن هشام: ٣: ٦٦.

سلول ـ الذين لم يُخفوا حقدهم نكبوا النبيّ ﷺ ، ورجعوا إلى المدينة بثلاثمائة مقاتل ، وبرّروا تصرّفهم بأنّ النبيّ ﷺ لم يُطع ذوي الرأي والمعرفة بفنون الحرب ، بل سار على وفق ما أشار به بعض الناشئة والشباب . ويمثّل هذا المخالفة التامّة لأوامر النبيّ ﷺ .

الموقف الثاني : يتجسّد في موقف الوفاء والإخلاص والانصياع لأوامر القائد ـ النبيّ ﷺ ـ وهو الذي أبداه حنظلة بن أبي عامر ـ غسيل الملائكة ـ الذي افتخرت به الأوس ، هذا الشابّ العجيب الذي بلغ الأربع والعشرين ربيعاً من عمره ، فهو في مقتبل العمر والشباب ، اقترنت ليلة زواجه مع خروج الجيش للحرب ، فجاء إلى النبيّ ﷺ وقال له : الليلة ليلة زواجي ولا بدّ أن أبقى ، فأمهلني يا رسول الله إلى صبيحة الغد حتّى أخرج مع الجيش ، والنبيّ ﷺ من منطق المرونة في التعامل كان يقبل العُذر في التخلّف عن الجهاد إذا كانت هناك ظروفاً قاهرة تمنع المسلم من الخروج معه . ونحتاج هنا إلى تسليط الضوء بشكل أكبر على حنظلة وعروسه حتّى يتمّ التعرّف على شخصيّتهما عن قُرب ، فهما من المؤمنين المخلصين وعلى العكس من ذلك كان أبواهما من المنافقين ، وألدّ الأعداء لشخص النبيّ ﷺ ، فأبو حنظلة هو أبو عامر الذي كان من الرهبان ، وكان يطمح من خلال تأمّلاته أن تكون له النبوّة وليس للنبيّ ﷺ ، لذا حقد على النبيّ ﷺ وأضمر له العداوة ، وكان من الذين أمروا أو خطّطوا لبناء مسجد ضرار . وأمّا أبو زوجته فهو عبدالله بن أُبيّ بن سلول ، الذي كانت العرب تُريد أن تُتوّجه ملكاً عليها قبل مجيء النبيّ ﷺ ، فلمّا جاء ﷺ تبدّدت آماله ، وأفلتت الفرصة من بين يديه ، فأضمر عداوة وحقداً دفيناً على النبيّ ﷺ ، وكان يتربّص به الدوائر ، وقد اتّضح لنا موقفه من إشارته على النبيّ ﷺ بالبقاء في المدينة ليتمّ القضاء عليه ﷺ والمسلمين .

من هنا نجد أنّ التألّق الإيماني الذي تميّز به كلّ من حنظلة وزوجه يرجع إلى انصياعهما لأوامر النبيّ ﷺ ، والسير على وفق نهجه ، وعندما استأذن حنظلة من

النبيّ ﷺ حتّى يمهله البقاء في ليلة زواجه، نزل في شأنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا**﴾ يمثّلون الصرامة والانضباط الذاتيّ والتنفيذ الدقيق لأوامره ﷺ ﴿**حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ**﴾، ثمّ أشارت الآية بوضوح لحنظلة ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ**﴾.

وبعد أن أذن النبيّ ﷺ لحنظلة، وتزوّج في تلك الليلة وبات مع زوجته، وعندما أراد الخروج وهو جُنب للالتحاق بالنبي ﷺ، أوقفته وطلبت منه أن يُحضر أربعة شهود يسمعون إقراره على الدخول بها ليلاً، حتّى إذا أصبحت حاملاً لا يُشكّك الناس في عفافها وطهارتها، وأثر البذرة الصالحة التي بذرها النبيّ ﷺ مع أنّ أباها هو رأس المنافقين.

ولمّا حضر حنظلة المعركة قاتل قتالاً شديداً حتّى استُشهد، ولمّا قيل للنبيّ ﷺ أنّه استشهد وهو جنب، قال ﷺ: «**رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تَغْسِلُ حَنْظَلَةَ بِمَاءِ الْمُزْنِ فِي صِحَافِ فِضَّةٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»(١).

ويكفي في عظمة حنظلة أنّ العدوّ اللدود أبو سفيان قال ـ عندما استُشهد

---

(١) قال عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ** ـ إلى قوله ـ: **حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ**﴾ **فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا إِذَا جَمَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ فِي بَعْثٍ يَبْعَثُهُ، أَوْ حَرْبٍ قَدْ حَضَرَتْ، يَتَفَرَّقُونَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ.**

وَقَوْلُهُ: ﴿**فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ**﴾ **قَالَ: نَزَلَتْ فِي حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَزَوَّجَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَ فِي صُبْحِهَا حَرْبُ أُحُدٍ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَهْلِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ، فَأَقَامَ عِنْدَ أَهْلِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ وَهُوَ جُنُبٌ، فَحَضَرَ الْقِتَالَ فَاسْتُشْهِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تَغْسِلُ حَنْظَلَةَ بِمَاءِ الْمُزْنِ فِي صِحَافِ فِضَّةٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**». بحار الأنوار: ١٧: ٢٦.

حنظلة ـ : «حنظلة بحنظلة»[١]، يقصد ابنه حنظلة الذي قُتِلَ في بدر، فهو يريد أن يقول: إنّنا بقتلنا حنظلة أخذنا بثأرنا، واقتصصنا من النبيّ ﷺ وأصحابه. وهذا درس عظيم في الانضباط الدقيق، وعدم التخلّف عن أوامر رسول الله ﷺ إلّا بإذنه، من هنا نصل إلى أهمّيّة القيادة وأثرها في كلّ صغيرة وكبيرة ترتبط بحياة الإنسان؛ لأنّها تحقّق النتائج الباهرة والكبيرة التي يطمح إليها، وكذلك الأمر في الأُسرة، فإذا كانت تسير على وفق أبٍ له رشد وسداد فلن يتخلف الأبناء عن الخُطط التي يضعها الأب عندئذٍ سيحدث تقدُّماً مُطّرداً لهذه الأُسرة. وكذا المجتمع الذي يسير وفق خُطط يرسمها قائد يتّصف بالوعي والرشد الاجتماعيّ، وينصاع أتباعه إليه، فإنّ النجاح والظفر حليفه.

نتائج عدم الانصياع لأوامر النبيّ ﷺ.

خاطب النبيّ ﷺ الجيش الإسلاميّ في بداية المعركة: «**انظروا إلى ما أمرتكم به فافعلوه، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم**»[٢]. أوامر النبيّ ﷺ هي أحد الركائز الأساسيّة التي يقوم عليها الانتصار بما تمثّله من رؤية إلـهيّة ثاقبة للأُمور. وعندما أصدر ﷺ أوامره في معركة أُحُد للرماة بأن لا يتركوا إحدى الثغور، ويمكثوا في أماكنهم مهما كانت النتيجة، لكنّهم ـ مع الأسف ـ عندما شاهدوا أنّ النصر قد حالف المسلمين بادىء ذي بدء خالفوا أوامر النبيّ ﷺ وتركوا مواقعهم، ونزلوا من أجل جمع الغنائم، وعند ذلك خرجت عليهم إحدى كتائب المشركين من موقع الثغر الذي نهى النبيّ ﷺ الرماة عن مفارقته، فذُهِل المسلمون واضطربوا وتفرّقت جموعهم، ممّا أدى إلى رجوع فلول المشركين المنهزمة إلى الحرب، وقتل الكثير من المسلمين، وعلى رأسهم الحمزة عمّ النبيّ ﷺ، ولولا وقوف الثلّة

(١) تاريخ الطبري: ٢: ٢٠٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٢: ٣٣.

المؤمنة من المخلصين الذين أبلوا بلاءً حسناً ـ خصوصاً إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام ـ لأدّى ذلك إلى حدوث انتكاسة للإسلام، ولتحقّق ما يطمح إليه المشركون من القضاء على الإسلام وأتباعه، ولذا حاولوا أن يشيعوا مقتل النبيّ صلى الله عليه وآله من أجل إضعاف المسلمين وهزيمتهم نفسيّاً، لكن مخطّطهم باء بالفشل في ظلّ المواقف البطوليّة للثُلّة المؤمنة بقيادة الإمام عليّ عليه السلام التي وقفت تدافع عن النبيّ صلى الله عليه وآله وتحميه.

مقارنة بين المعسكر الإيمانيّ ومعسكر المشركين.

إذا أردنا أن نميّز بين المعسكر الإيمانيّ ومعسكر الشرك نجد في معسكر النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه يوجّههم بقوله: «**إِنَّ اللهَ مَعَ مَنْ أَطَاعَهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ عَصَاهُ، فَاسْتَفْتِحُوا أَعْمَالَكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الْجِهَادِ، وَالْتَمِسُوا بِذَلِك مَا وَعَدَكُمُ اللهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ فَإِنِّي حَرِيصٌ عَلىٰ رُشْدِكُمْ. إِنَّ الاخْتِلَافَ وَالتَّنَازُعَ وَالتَّثَبُّطَ مِنْ أَمْرِ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ، وَهُوَ مِمَّا لَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَلَا يُعْطِي عَلَيْهِ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ، ... وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكىٰ تَدَاعىٰ عَلَيْهِ سَائِرُ جَسَدِهِ**»(١)، فهو صلى الله عليه وآله يطرح عليهم المقوّمات الرئيسيّة للمقاتل الذي يريد تحقيق أهدافه، بالإضافة إلى التأكيد على الارتباط بالله، وإنّ جميع ما يصدر منهم من عمل هو بعين الله تعالى، وأنّ ما يخسرونه معوّض بأضعاف كثيرة لا يُحصيها إلّا الله. وعلى عكس ذلك نجد في معسكر المشركين الذين أحضروا معهم مجموعة من النساء من أجل بثّ روح الحماسة في المقاتلين؛ لأنّ العرب يعتقدون أنّ الإنسان إذا كان عرضه بين يديه سيقاتل حتّى الموت. وكان هذا من ضمن التكتيكات العسكريّة المتّخذة من قِبل قريش لتحقيق النصر، وسأنقل بعض الأبيات التي كانت هند زوج أبي سفيان وبعض

(١) بحار الأنوار: ٢٠: ١٢٦ و ١٢٧.

النساء القرشيّات يُرددونها ،ويقُلن :

نــحن بــناتُ طـارق   نمشي على النمارق

يعني نحن نعيش في النعيم .

إن تُــقبلوا نُــعانِق   أو تُـدبروا نُـفارِق[(١)]

يحثّونهم على القتال ، أي إن تنتصروا في الحرب وترجعوا إلينا سوف تحصلون على المعانقة والحبّ ، وإن تركتم القتال فسوف نتركِكم ، ربط الحرب بالجنس والشهوة . أمّا النبيّ ﷺ فكان يَعِدُ أصحابه بالخير والظفر والسعادة في داري الدنيا والآخرة . وهناك كثير من الدروس والعِبَر التي يمكن استفادتها من هذه المعركة الكبرى .

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠: ٢٥.

المعطيات التاريخيّة والأخلاقيّة في معركة حُنين

قال تعالى :

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾[١]

الأبعاد المتعدّدة للمعركة .

من أعظم المعارك التي انتصر فيها الإسلام في السنة الثامنة للهجرة معركة حُنين ، وهي من المعارك ذات الدلالات المتعدّدة في التكتيك العسكريّ ، وفي استخدام فنون الحرب المتعدّدة آنذاك ، وكذلك في التعامل الاجتماعيّ مع الأعداء ، وأيضاً مع الروافد الذين يتّكئ عليهم الإسلام من المهاجرين والأنصار .

لقد كان الرسول ﷺ في أثناء معركة حُنين وبعدها يمارس ضروباً متعدّدة وأنماطاً شتّى من التعامل مع المهاجرين والأنصار ،كما أنّه ﷺ كان له تعامله الخاصّ مع الأعداء من زعماء المعركة ومثيري الحرب ، لذا على المؤمن الرساليّ أن يتأمّل مليّاً في هذه الدلالات والعِبَر ليستفيد منها عندما يقرأ السيرة النبويّة العطرة .

---

(١) التوبة ٩: ٢٥ و ٢٦.

ولا يعني هذا أنّني سوف أستوعب كلّ الدروس في هذه المعركة، وإنّما سأُحاول التركيز على بعض الدروس التي تستفاد في التعامل مع الإنسان بغضّ النظر عن انتمائه الدينيّ أو الثقافيّ أو الفكريّ.

القبائل التي حاربت النبيّ صلى الله عليه وآله.

شاركت في هذه المعركة قبيلتان رئيسيّتان هما هوازن وثقيف من الطائف، وقاموا باستنهاض الناس، وأعدّوا العدّة لمحاربة المسلمين. وفي المقابل كان النبيّ صلى الله عليه وآله يريد أن يحاربهم ويدفع عن المسلمين شرّهم من جهة، ومن جهة أُخرى كان يرى أنّ عليه أيادٍ بيضاء يرغب في مجازاتها؛ لأنّه صلى الله عليه وآله أُرضع في بني سعد، وهم فُخذ من هوازن، ولا تخفى كلمته المعروفة: «**أنا أفصح من نطق بالضاد بَيْد أنّي من قريش، واسترضعت في بني سعد**»[1]، والمشهور عند الناس أنّ مُرضعة النبيّ صلى الله عليه وآله هي حليمة السعديّة التي تنتسب لهذه القبيلة، فكان صلى الله عليه وآله يريد أن يحفظ الأيادي البيضاء التي أسدوها له.

الخيار العسكريّ عند النبيّ صلى الله عليه وآله.

اختار النبيّ صلى الله عليه وآله الخيار العسكريّ لكونه الطريق الذي يحفظ المسلمين من مكائد تلك القوى التي اجتمعت لمحاربته، ويتّقي هجماتهم المباغتة التي أعدّوا لها السلاح والرجال الذين وصل عددهم إلى ثلاثين ألف مقاتل، وكان يقودهم مالك بن عوف النصريّ سيّد هوازن وزعيمها، الذي كان يُؤلّب القبائل ويُحَشّد الجيوش لمحاربة النبيّ صلى الله عليه وآله فاستعدّ لمواجهتهم، وعقد اللواء وسلّمه للإمام عليّ عليه السلام، وأمر المسلمين ـ الذين كان عددهم يقرب من اثني عشر ألف مقاتل ـ بالزحف نحو حُنين.

---

(١) أعيان الشيعة: ١: ٢١٩.

المسلمون بين الهزيمة والنصر.

في بداية المعركة كان يبدو النصر مع المشركين نتيجة للتكتيك العسكريّ الذي أبداه زعيمهم مالك بن عوف ، ممّا أدّى إلى تعرّض مقدّمة جيش المسلمين لسهامهم ، ففرّت طائفة من المقاتلين الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام ، وبالتالي ذَهَلَ المسلمون الذين من خَلفِهم واضطربوا وفرّ كثير منهم ، ولم يكن متوقّعاً أن يتغيّر مسار المعركة لصالح المسلمين ، إلّا أنّ حنكة النبيّ صلى الله عليه وآله وحصافة رأيه ، والثبات والشجاعة التي أبداها حامل لوائه الإمام عليّ عليه السلام والثلة المؤمنة التي كانت معه ،كان لها الدور الكبير في قلب موازين الحرب وتقهقر المشركين وهزيمتهم ، وفرار الكثير منهم . ولا بدّ من التنويه بأنّ سبب تقدّم المشركين في بداية المعركة يرجع إلى غرور بعض المسلمين واعتدادهم بكثرتهم حتّى قال بعضهم : « لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ »[1] ، ويوضح هذا السبب القرآن ، قال تعالى : ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً**﴾.

الغنائم المادّيّة من المعركة.

وكي يتّضح لنا الدرس بشكل أعمق لا بدّ أن نشير إلى حجم الغنائم المادّيّة التي غنمها النبيّ صلى الله عليه وآله في معركة حُنين ، وكانت من أعظم الغنائم التي تحقّقت له وللمسلمين .

فقد ذكر المؤرّخون أنّها كانت ستّة آلاف أسير ، (وهذا عدد كبير حتّى في هذا الزمن) ، وأربعاً وعشرين ألفاً من الإبل ، وأكثر من أربعين ألف رأسٍ من الغنم ، وثمانمائة واثنين وخمسين غراماً من الفضّة . غير أنّ الدلالة ليست في الغنائم ، وإنّما في طريقة التقسيم وتعامل المصطفى صلى الله عليه وآله مع ذلك .

---

(١) الإرشاد : ١ : ١٤٠ .

حكمة النبيّ صلى الله عليه وآله في توزيع الغنائم.

أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بعد انتهاء المعركة أن تجمع الغنائم في الجُعرانة لتوزيعها، ووضع عليها حراسة مشدّدة، وتوجّه صلى الله عليه وآله مع المسلمين إلى الطائف، فحاصرهم أيّاماً عديدة، ثمّ عدل عن فتح الطائف؛ لأنّ المسلمين لم يكونوا على استعداد لذلك، ولم يُرد أن يُرهقهم، فعاد قافلاً، ولم يتمّم النصر من الناحية العسكريّة، بل انتصر من الناحية الأخلاقيّة بلحاظ توزيعه للغنائم، وتقسيمه للفيء على الذين دخلوا في الإسلام حديثاً، وكانوا من زعماء قريش وألدّ الأعداء للإسلام، وحاربوا النبيّ صلى الله عليه وآله حروباً متعدّدة. لكنّه صلى الله عليه وآله سجّل أروع مثالٍ في الصفح والعفو ومراعاة مصالح الإسلام العليا، فقام في البدء بإعطاء مائة بعير لكلّ من أبي سفيان وابنه معاوية وحكيم بن حزام والحارث بن الحارث والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحُويطب بن عبد العزّى، والعلاء بن جارية وصفوان بن أُميّة، وغيرهم من رؤوس الشرك، ولم يكتف صلى الله عليه وآله بهذا العطاء، بل قسّم عليهم حقّه من الخمس، ويُمثّل هذا أعلى مستويات الإغداق في العطاء.

موقف بعض المسلمين من توزيع النبيّ صلى الله عليه وآله.

هذا النوع من التقسيم لم يُعجب بعض المسلمين، ولم يتفهّموا أهداف النبيّ صلى الله عليه وآله ونظرته الثاقبة للأحداث، لذا قام بالاعتراض عليه أحدهم وهو ذو الخُويصرة وقال: اعدل يا محمّد، فما رأينا منك عدلاً هذا اليوم، فتأثّر صلى الله عليه وآله تأثّراً شديداً عند استماعه لهذه الكلمات وقال: «ويحك! إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟»[1].

---

(١) عن عبدالله بن الحارث بن نوفل، قال: «خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثيّ حتّى أتينا عبدالله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلّقا نعله بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله حين كلّمه التميميّ يوم حنين؟ قال: نعم، جاء رجل من بني تميم يقال له ≪

الرسول ﷺ يجسد العدالة وإذا لم يعدل فمن يمكنه العدل ، ومثل هذا الكلام الذي صدر من ذي الخُويصرة ، أشاع نوعاً من الإعلام المضادّ حول قسمة الرسول ﷺ ، فأثّر ذلك على الأنصار وتحدّثوا فيما بينهم أنّ الرسول ﷺ لقي قومه ونسي أصحابه ، وتصوّر بعضهم أنّه ﷺ يمارس العنصريّة ويُعطي من ينتسب إلى قريش أكثر من غيرهم ، لذا ارتأى سعد بن عبادة أن يخبر النبيّ ﷺ بما يحدث من لغط بين الأنصار في كيفيّة توزيعه للغنائم ، ويعرض عليه مطالبهم ، وكان الرسول ﷺ يستمع لما نقله سعد من شكوى ويُصغي إلى وجهات النظر المخالفة له بكلّ رحابة صدر ، ليفتح قنوات حوار القائد مع اتباعه وأصحابه ، وحتّى يرفع اللبس ويوضّح لهم النقاط الخافية عليهم ، أمر ﷺ سعد بن عبادة أن يجمع الأنصار ، ولمّا حضروا ، قال لهم ﷺ : **ما قالة بلغتني عنكم ، وموجدة وجدتموها في أنفسكم** ـ أي أنّهم وجدوا شيئاً لم يرتأوه في النبيّ ﷺ أدّى إلى أن يحدث لهم نوعاً من عدم الارتياح النفسيّ منه ـ ثمّ قال : **ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألّف بين قلوبكم ؟** قالوا : بلى الله ورسوله أَمَنُّ وأفضل ، فلاحظوا التعامل الفذّ الذي لم يصدر إلّا من النبيّ ﷺ لأنّه المؤيّد باللطف الإلهيّ والتعامل بالخلق العظيم .

ثمّ قال : **ألا تجيبوني ، يا معشر الأنصار ؟** ـ يعني ألا تُدافعون عن أنفسكم ؟ فهو مع أنّه يريد أن يَدحَض حُجّتهم غير أنّه يريدهم أن يحتجّوا عليه ، وهذا قمّة الخلق الكريم ـ قالوا : وماذا نُجيبك يا رسول الله ؟

» ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطى الناس فقال له: يا محمّد ، قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، فقال رسول الله : أجل ، فكيف رأيت ؟ قال: لم أرك عدلت . قال: فغضب النبيّ فقال : **ويحك ! إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون !** فقال عمر بن الخطّاب : ألا نقتله ؟ فقال : **دعوه فإنّه سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتّى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، ينظر في النصل فلا يوجد شيء ، ثمّ في القدح فلا يوجد شيء ، ثّم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم** » . السيرة النبويّة لابن كثير : ٣ : ٦٨٦ .

فقال ﷺ : **أما والله لو شِئتُم قُلتم فَصَدَقتُم ، ولصدقتم ، أتيتنا مُكَذَّباً فصدّقناك ، ومخذُولاً فنَصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك** ـ لاحظوا كيف يُبّين النِعَم التي أسدوها له ، فهو لا يكتفي فقط بذكر الجانب الإيجابيّ الذي أحدثه فيهم ، بل يحترم شخصيّتهم وكرامتهم ، ويحفظ ما قدّموه له من معروف ـ ثمّ قال ﷺ : **وجدتم في أنفسكم ـ يا معشر الأنصار ـ في لعاعة من الدنيا ، فهذا أمر زهيد** ، ثمّ نبّههم إلى المسؤوليّة التي تقع على عاتقهم باعتبارهم بايعوه على تقديم المال والأنفس ، وقدّموا العهود له ، فلماذا يرجعون ليطالبوا بالمال ؟ فقال لهم : **ألا ترضون ـ يا معشر الأنصار ـ أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله ﷺ** »[١] ، هذا الموقف

---

(١) « لمّا أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم حتّى كثرت منهم القالة حتّى قال قائلهم: لقى ـ والله ـ رسول الله قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله ، إنّ هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحيّ من الأنصار شيء ؟

قال : **فأين أنت من ذلك يا سعد** ؟ قال : يا رسول الله ، ما أنا إلّا من قومي .

قال : **فاجمع لي قومك في الحظيرة** . قال : فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة .

قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم ، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحيّ من الأنصار .

فأتاهم رسول الله فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ، ثمّ قال: **يا معشر الأنصار ، ما قالة بلغتني عنكم ، وموجدة وجدتموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألّف بين قلوبكم** ؟ قالوا : بلى لله ولرسوله المنّ والفضل .

فقال : **ألا تجيبوني يا معشر الأنصار** ؟ قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله ، لله ولرسوله المنّ والفضل .

قال : **أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم ، ولصدقتم أتيتنا مكذّباً فصدّقناك ، ومخذولاً** »

الرائع الذي بيّنه ﷺ جعلهم يبكون حتّى اخضلّت لحاهم بالدموع ، وقالوا : رضينا برسول الله حظّاً وقسماً . وبهذا الطريقة استطاع ﷺ أن يعالج الموقف الحرج بكلّ حكمة ، ويعطينا الدروس في العلاقة المتبادلة بين القائد وأتباعه ، والتسامح وسعة الصدر التي يبديها تجاههم .

خُلقُ النبيّ ﷺ بعد الانتصار .

إنّ الأسرى الذين أصبحوا غنائم للنبيّ ﷺ وهم من ثقيف وهوازن ـ التي أشرنا إلى أنّ لهم معروفاً على النبيّ ﷺ من خلال بني سعد ـ الذين يعرفون الشمائل النبويّة ، وكريم أخلاقه وسجاياه ، فحاولوا استعطاف النبيّ ﷺ من خلال مكارم أخلاقه في استرداد ما أُخِذَ منهم وما سُلِبَ عليهم ، فأرسلوا للنبيّ ﷺ وفداً يتكوّن من أربعة عشر شخصيّة ، وأمّروا عليهم زهير بن صرّة عمّ النبيّ ﷺ من الرضاعة ، وحاولوا تذكير النبيّ ﷺ بما قدّموا له من معروف وقالوا له : يا رسول الله ، إنّما هذه الأسرى عمّاتك وخالاتك ـ أي من الرضاعة ـ اللّاتي كُنَّ يكفَلنَك . فعند ذلك تعامل النبيّ ﷺ معهم بأخلاقه العالية ، وخَيّرهم بين الأموال والنساء والعبيد الذين غنموا في المعركة ، فاختاروا الأسرى ، فقال النبيّ ﷺ : « **أما ما كان لي ولبنى عبد المطّلب**

فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، وجدتم في أنفسكم ـ يا معشر الأنصار ـ في لعاعة من الدنيا تألّفت بها قوماً ليسلموا ، ووكّلتكم إلى إسلامكم ، أفلا ترضون ـ يا معشر الأنصار ـ أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فوالذي نفس محمّد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعباً ، وسلكت الأنصار شِعباً ، لسلكت شِعب الأنصار . اللّهمّ ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

قال: فبكى القوم حتّى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظّاً ، ثمّ انصرف رسول الله وتفرّقوا » . تاريخ الطبري : ٢ : ٣٦٠ .

فهو لكم » ، وعلّمهم طريقة لاسترداد الأسرى يحافظ فيها على كرامتهم من ناحية ، وكرامة المسلمين من ناحية أُخرى ، وتجلب ودّ المسلمين ورضاه ﷺ ، فقال لهم : « **فإذا أنا صلّيت بالناس فقولوا إنّا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله ، في أبنائنا ونسائنا ، فسأُعطيكم وأسأل لكم** » ، وهذا قمّة في التعامل لأنّه جعل للمسلمين كرامة عند النبيّ ﷺ ، وشفاعتهم لا تُردّ عنده ، كما أنّهم أثبتوا الكرامة والاستشفاع بالنبيّ وإنّه لا يَردّهم ، وعندما فعلوا ما أمرهم ، قام المهاجرون والأنصار فقالوا : ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فوهبوا نصيبهم ، وأُطلق سراح الأسرى[1] . وبهذا الفعل استطاع ﷺ أن يحفظ الحقّ للمسلمين ، وأيضاً يحفظ

---

(١) أتى وفد هوازن رسول الله وهو بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا : يا رسول الله ، إنّا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك ، فامنن علينا من الله عليك ، فقام رجل من هوازن أحد بنى سعد بن بكر ـ وكان بنو سعد هم الذين أرضعوا رسول الله ـ يقال له زهير بن صرد ـ وكان يكنّى بأبي صرد ـ فقال : يا رسول الله ، إنّما في الحضائر عمّاتك وخالاتك وحواضنك اللّاتي كنّ يكفلنك ، ولو أنّنا ملحنا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثمّ نزل منّا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه وعائدته ، وأنت خير المكفولين ، ثمّ قال :

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنّك المرء نرجوه وندخر
امنن على بيضة أعتاقها قدر ... ممزّق شملها في دهرها غير

في أبيات قالها ، فقال رسول الله : **أبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم** ؟ فقالوا : يا رسول الله ، خيّرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، بل ترد علينا نساءنا وأبناءنا فهم أحبّ إلينا ، فقال : **أما ما كان لي ولبنى عبدالمطّلب فهو لكم ، فإذا أنا صلّيت بالناس فقولوا: إنّا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله ، في أبنائنا ونسائنا ، فسأُعطيكم ، وأسأل لكم** ، فلمّا صلّى رسول الله بالناس الظهر قاموا فتكلّموا بالذي أمرهم به ، فقال رسول الله : **أمّا ما كان لي ولبنى عبدالمطّلب فهو لكم** ، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله . »

قرابته والأيادي البيضاء التي أُسديت له أثناء بقائه في بني سعد ، ويجازيهم بأجزل عطاء .

كما أنّ له ﷺ موقفاً آخر تجاه مالك بن عوف النصريّ مثير الفتنه ، ومُؤلّب هوازن وثقيف على محاربة النبيّ ﷺ ، فشمله ﷺ بأخلاقه الرفيعة ، وأصدر عنه عفواً ، فقال لوفد هوازن : «أخبروا مالكاً إنّه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل » . فلمّا بلغت مقالة النبيّ ﷺ إلى مالك تأثّر بذلك أيما تأثّر ، ممّا جعله يتراجع عن مواقفه العدائيّة ، ويُنشد أبياتاً في مدح الرسول ﷺ ويثني على مكارم أخلاقه ، ويُعلن إسلامه(١) ، وبهذا النوع من التعامل المرن والهادف

» قال الأقرع بن حابس : أمّا أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة بن حصن : أمّا أنا وبنو فزارة فلا . قال عبّاس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا . قالت بنو سليم : ما كان لنا فهو لرسول الله . قال : يقول العبّاس لبنى سليم : وهنتموني ، فقال رسول الله : **أمّا من تمسّك بحقّه من هذا السبي فله بكلّ إنسان ستّ فرائض من أوّل شيء نصيبه ، فردّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم** » . تاريخ الطبري : **٢ : ٣٥٦** .

(١) «أعطى رسول الله عمر بن الخطّاب جارية من سبي هوازن ، فوهبها لي ، فبعثت بها إلى أخوالي من بنى جمح ليصلحوا لي منها حتّى أطوف بالبيت ، ثمّ آتيهم وأنا أُريد أن أُصيبها إذا رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فرغت فإذا الناس يشتدّون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردّ علينا رسول الله نساءنا وأبناءنا .

قال : قلت : تلكم صاحبتكم في بنى جمح اذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها ، وأمّا عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها: أرى عجوزاً وأرى لها في الحيّ نسباً ، وعسى أن يعظم فداؤها ، فلمّا ردّ رسول الله السبايا بستّ فرائض أبى أن يردّها ، فقال له زهير بن صرد: خذ عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا درّها بماكد ، ولا زوجها بواجد ، فردّها بستّ فرائض حين قال له زهير ما قال ، فزعموا أنّ عيينة لقى الأقرع بن حابس فشكا إليه ذلك فقال: والله إنّك ما أخذتها بكراً غريرة ، ولا نصفاً وثيرة ، فقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف «

المؤثّر الذي يعتمد على الجانب الأخلاقيّ حتّى مع الخصم ، استطاع صلى الله عليه وآله أن يُذلّل الصعاب ، وأن يُقوّم ذلك الاعوجاج الموجود في نفسيّة ذلك الرجل ، وذلك درس عظيم نستفيده في تعاملنا مع العدوّ ، واختيار الأُسلوب الأمثل لكسبه وجذبه نحو ديننا وفكرنا .

إنّ دراسة هذه المواقف وغيرها في السيرة النبويّة تعطينا أعمق الدروس والعِبَر التي لا تنحصر الاستفادة منها بالمسلمين فقط ، بل تستفيد منها الإنسانيّة جمعاء .

» ما فعل ؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله: **أخبروا مالكاً أنّه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل** ، فأتى مالك بذلك ، فخرج من الطائف إليه ، وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعملوا أنّ رسول الله قال له ما قال فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيّأت له ، وأمر بفرس له فأُتي به الطائف ، فخرج ليلاً فجلس على فرسه فركضه حتّى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس له ، فركبها فلحق برسول الله ، فأدركه بالجعرانة أو بمكّة ، فردّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل ، وأسلم فحسن إسلامه ، واستعمله رسول الله على قومه ، وعلى من أسلم من تلك القبائل حول الطائف ثمالة وسلمة وفهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلّا أغار عليه ، حتّى ضيّق عليهم ، فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفيّ:

هابت الأعداء جانبنا ثمّ تغزونا بنو سلمه
وأتانا مالك بهم ناقضاً للعهد والحرمه
وأتونا في منازلنا ولقد كنّا أوْلى نقمه

تاريخ الطبري : ٢ : ٣٥٧

دروس وعبر مستوحاة من المباهلة

قال تعالى :

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلاَ تَكُن مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾(١)

يمثّل يوم الرابع والعشرين من ذي الحجّة منعطفاً في تاريخنا الإسلاميّ ، لعدّة من المناسبات الكبيرة التي اجتمعت فيه ، ومن أهمّها ذكرى المباهلة التي وقعت في السنة العاشرة من الهجرة .

لقاء النبيّ صلى الله عليه وآله بنصارى نجران .

عندما نسترجع أحداث هذه المناسبة العظيمة تاريخيّاً ، ونسلّط الضوء على زعماء النصارى الذين أرادوا أن يباهلوا النبيّ صلى الله عليه وآله ، نجدهم ينتمون إلى منطقة نجران التي أكّد المؤرّخون بأنّها تمثّل مركزاً دينيّاً للنصارى اُبّان ذلك العهد ، ولذلك عندما تناهى إلى مسامع هؤلاء النصارى أخبار بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله قاموا بتشكيل وفدٍ كبيرٍ يضمّ كثيراً من أصحاب الاختصاص في دراسة الديانات السماويّة ؛ إذ لديهم معرفة

---

(١) آل عمران ٣: ٥٩ ـ ٦١.

بحقائق النبوّة ، والبراهين التي تدلّل على حجّيّة الأنبياء والرسل ، وبالفعل خرج ذلك الوفد للقاء النبيّ صلى الله عليه وآله ومحاورته ، وعندما وصل المدينة ، وحضر وقت صلواتهم ، دخلوا مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله ومارسوا طقوسهم الدينيّة ، ممّا أدى إلى استياء كثير من المسلمين إزاء ممارسات النصارى ، خصوصاً ضربهم بالناقوس وممارسة الضرب على بعض الطبول ، فأراد بعض المسلمين أن يمنعوهم من ممارسة تلك الطقوس الدينيّة ، إلّا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لهم : **دَعْوهم**[1] ، فأتاح صلى الله عليه وآله لهم أن يمارسوا شعائرهم الدينيّة في مسجده صلى الله عليه وآله .

الحوار العقديّ بين النبيّ صلى الله عليه وآله والنصارى .

بعد أنّ مارس النصارى تلك الطقوس الدينيّة دخلوا في حوار ساخن مع النبيّ صلى الله عليه وآله . روى أحداث ذلك الحوار المؤرّخون ، وهي تدور حول إثبات اُلوهيّة عيسى عليه السلام ، ولا زالت بعض الطوائف من النصارى إلى يوم الناس هذا تُؤمن بأُلوهيّته عليه السلام ، ويعبّر بعض العلماء عن ذلك بأنّهم يعتقدون بحلول اللّاهوت في الناسوت ، أي أنّ الله تعالى حلّ في عيسى عليه السلام ، وهذه عقيدة باطلة ؛ لأنّه تعالى لا يحتاج إلى أحدٍ ، ولا يحلّ في أحدٍ ، ولو كان محتاجاً إلى خلقه لأصبح ممكناً في

---

(١) «كتب رسول الله صلى الله عليه وآله لنصارى نجران:.. **ولنجران وحاشيتهم جوار الله ، وذمّة محمّد النبيّ رسول الله ، على أنفسهم وملّتهم ، وأرضهم وأموالهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وبِيعهم وصلواتهم ، لا يغيّروا اُسقفا عن أسقفيّته ، ولا راهبا عن رهبانيّته ، ولا واقفا عن وقفانيّته ، وكلّ ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، وليس رباً ولا دم ، جاهليّة ، ومن سأل منهم حقّاً فبيّنهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين لنجران ، ومن أكل رباً من ذي قبل فذمّتي منه بريئة ولا يؤاخذ أحد منهم بظلم آخر ، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة النبيّ أبداً حتّى يأتي الله بأمره إن نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلّ...**» . الطبقات الكبرى : ١ : ٣٨٨.

وجوده ؛ مفتقراً لما أبدعه وخلقه ، ويتنافى ذلك مع كونه تعالى مستغنياً عن خلقه ، قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[١].

وقد احتجّ النصارى على النبيّ ﷺ في إثبات ما يعتقدونه ، وتقوم حجّتهم بأنّ عيسى عليه السلام وُلِدَ من غير أبٍ ، وذلك كرامة له عليه السلام تدلّل على حقّانيّة نبوّته ، فهو عليه السلام يُبْرأُ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى ، وأُيّد بالإنجيل ، وأيضاً ولد من غير أب تكريماً لوجوده المقدّس ، بالإضافة أنّه من أُولي العزم من الرسل ، وأُمّه السيّدة مريم عليها السلام صدّيقة طاهرة ومطهّرة.

أمّا إثبات اُلوهيّة هذا النبيّ العظيم فهو مورد الخلاف بين علماء النصارى والنبيّ ﷺ ، وقد ركّز ﷺ على أنّ حقائق الأديان السماويّة تُؤكّد بأنّ جميع الأنبياء والرسل عباد صالحون أيّدهم الله تعالى بالبراهين لإثبات حقّانيّة تلكم الشرائع السماويّة ، بالإضافة أنّه ﷺ دحض ما يَدّعُونه من إثبات الأُلوهيّة لعيسى من خلال استدلاله بقوله تعالى : ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ ، والآية من غرر آي القرآن الكريم ، تبيّن أنّ عيسى خُلق من غير أب بالأمر التكوينيّ الإلـٰهيّ الإبداعيّ ، وآدم عليه السلام أجدر وأحقّ أن يُتّخذ إلـٰهاً دون عيسى ؛ لأنّ آدم عليه السلام خُلِقَ من غير أب ومن غير اُمّ ، وذلك أكثر إبداعاً وتجلّياً للقدرة الإلـٰهيّة ، فإذا كنّا نعتقد أنّ القدرة والهيمنة لله تعالى لا حدود لها ، بمعنى أنّه خلق عيسى من غير أب كما خلق آدم من غير أب واُمّ دون فارق في القدرة الإلـٰهيّة ، وهو تعالى لا يُعجزه شيء ، وهو على كلّ شيء قدير ، إلّا أنّ النصارى لم يُذعنوا لتلك الحجج الساطعة والبراهين الدامغة التي أدلى بها المصطفى ﷺ فدخلوا في لجاج معه ﷺ ، غير أنّ مكارم الخلق النبويّ كانت تُداري أُولئك النفر باعتبارهم من المختصّين في دراسة اللّاهوت المسيحيّ ، والاطّلاع على حقائق الأديان السماويّة ، ومع ذلك لم يُرِدْ

---

(١) فاطر ٣٥: ١٥.

النبيّ ﷺ لهؤلاء أن يشكّلوا حجّة لمن يأتي من بعدهم من الأُمم، فيقول قائلهم: إنّه ﷺ لم يبرهن لهم ببرهان يقطع ويدحض تلكم المزاعم التي أدلوا بها أمامه، لذا قطع النبيّ ﷺ عليهم الطريق عندما قال لهم: «إن لم تُؤمنوا بما أفاده الوحي ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ ـ فليس إلّا المباهلة، وهي الملاعنة، بمعنى أنّ الله تعالى يُبعد المبطلين عن رحمته، ويقضي عليهم وعلى أتباعهم؛ لكونهم حاربوا الله تعالى، وبالفعل فإنّ النصارى لم يخافوا في البدء ممّا قاله النبيّ ﷺ لهم، وأرادوا الدخول معه في المباهلة، لكنّهم عندما رجعوا إلى منازلهم، وأداروا حواراً بينهم، قال فيه رؤساؤهم العاقب والسيّد والأهتمّ كما جاء في بعض الروايات: «انْظُرُوا مُحَمَّداً فِي غَدٍ فَإِنْ غَدَا بِوُلْدِهِ وَأَهْلِهِ فَاحْذَرُوا مُبَاهَلَتَهُ وَإِنْ غَدَا بِأَصْحَابِهِ فَبَاهِلُوهُ فَإِنَّهُ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ»(١)؛ لأنّ من علامات المبطل أن يُقدّم أصحابه،

(١) «قيل نزلت الآيات في وفد نجران: العاقب والسيّد ومَن معهما. قالوا لرسول الله: هل رأيت ولداً من غير ذكر؟ فنزل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ الآيات، فقرأها عليهم. عن ابن عبّاس وقادة والحسن.

فلمّا دعاهم رسول الله إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك، فلمّا رجعوا إلى رجالهم، قال لهم الأسقف: انظروا محمّداً في غدٍ، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه، فإنّه على غير شيء.

فلمّا كان الغد جاء النبيّ ﷺ آخذاً بيده عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والحسن عليه السلام، والحسين عليه السلام بين يديه يمشيان، وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه، وخرج النصارى يقدمهم أُسقفهم. فلمّا رأى النبيّ ﷺ قد أقبل بمن معه سأل عنهم، فقيل له: هذا ابن عمّه، وزوج ابنته، وأحبّ الخلق إليه، وهذان ابنا بنته من عليّ عليه السلام، وهذه الجارية بنته فاطمة، أعزّ الناس عليه، وأقربهم إلى قلبه. وتقدّم رسول الله ﷺ فجثا على ركبتيه.

قال أبو حارثة الأسقف: جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة، فكع ولم يقدم على المباهلة، فقال السيّد: أُدن يا أبا حارثة للمباهلة؟ فقال: لا إنّي لأرى رجلا جريئاً على المباهلة، وأنا أخاف أن يكون صادقاً، ولئن كان صادقاً لم يحلّ ـ والله ـ علينا الحول »

ولا يُقدّم أهل بيته ، والإنسان يخاف على بيته ويُفدّيهم بنفسه ، ولا يقدّمهم على نفسه إذا كان من أصحاب الدعوات الباطلة ، ولمّا أصبح صباح يوم الرابع والعشرين من ذي الحجّة جاء ﷺ بعليّ والحسن والحسين والصدّيقة الزهراء عليهم السلام بتلك النورانيّة الخاصّة ، التي أذهلتهم حتّى أنّ بعض النصارى من الوفد الذي جاء من نجران قال : لمّا رأى الحقّ عياناً لا شبهة فيه ولا امتراء : عودوا خاسئين ، فطأطؤا جميعهم لهذه الحجّة الدامغة التي أدلى بها النبيّ ﷺ ، وقالوا : يا محمّد ، إنّنا نريد أن نجري صلحاً بيننا وبينك ، فصالحهم ﷺ على دفع الجزية .

دروس وعِبَر من المباهلة .

هذه الواقعة مليئة بعِبَر ودلائل جميلة ودروس ثرّة ، نستعرض أربعة منها :

الأوّل : تُدلّل على حقّانيّة وصدق الدعوة الإسلاميّة التي جاء بها المصطفى ﷺ .

الثاني : تعطي درساً عمليّاً للمخلصين طوال التاريخ الإنسانيّ في حثّهم على تقديم أغلى ما يمتلكون في سبيل الدعوة التي يعتنقونها .

الثالث : التسامح والانفتاح على الآخر ، الذي أفاده ﷺ من خلال إتاحته لأصحاب ديانة سماويّة أُخرى ممارسة العبادة التي يتعبدون الله تعالى بها في مسجده ﷺ ، مع قناعته الكاملة بأنّها عبادة مُحرّفة وباطلة . وهذا التسامح في التعامل الذي اتّصف به المصطفى ﷺ من أروع الدروس والعبر التي يحتاجها

» وفي الدنيا نصرانيّ يطعم الماء ! فقال الأسقف : يا أبا القاسم ، إنّا لا نباهلك ، ولكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به . فصالحهم رسول الله ﷺ على ألفي حلّة من حلل الأواقي ، قيمة كلّ حلّة أربعون درهماً ، فما زاد أو نقص ، فعلى حساب ذلك ، وعلى عارية ثلاثين درعاً ، وثلاثين رمحاً ، وثلاثين فرساً ، إن كان باليمن كيد ، ورسول الله ضامن حتّى يؤدّيها ، وكتب لهم بذلك كتاباً » . تفسير مجمع البيان : ٢ : ٣٠٩ . وراجع : الإرشاد : ١ : ١٦٧ و ١٦٨ ، بحار الأنوار : ٢١ : ٢٧٧ .

المسلمون في العصر الحاضر في تعاملهم مع أصحاب الديانات السماويّة المختلفة بفسح المجال لهم في ممارسة شعائرهم الدينيّة بحرّيّة تامّة ،كما فعل المصطفى صلى الله عليه وآله ، قال تعالى : ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1] ، وفي الآية دلالة واضحة على أنّ ممارسة الطقوس الدينيّة بما يعتقده الإنسان مباحة له في الشريعة الإسلاميّة .

الرابع : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أراد أن يُلفت نظر الأُمّة الإسلاميّة جمعاء من يوم الناس ذاك إلى يوم الدين بأنّ استمرار الخلافة والإمامة الحقّة إنّما هو في أهل بيته ، أي في عليّ وآل عليّ عليهم السلام ،لذا جاء قوله تعالى : ﴿**وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾ ، وأشار بعض المفسّرين من العامّة بأنّ هذه المفردة ـ ﴿**وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾ ـ تُدلّل مفصحة على المقام الكبير لعليّ عليه السلام ، وأنّه نفس النبيّ صلى الله عليه وآله .

إذن المباهلة دلّلت على الدروس التي أومأنا إليها باقتضاب شديد ، ودلّلت أيضاً على ديمومة واستمرار الإمامة في عليّ وآله عليهم السلام .

وهذه الذكرى العطرة من أهمّ المناسبات ، التي تمرّ على المسلمين جميعاً كي تُذكرهم بما حقّقه الله تعالى من نصر مؤزّر ، ومن حجج باهرة ، وبراهين دامغة ، أقامها النبيّ صلى الله عليه وآله لإثبات صدق دعوته ، وحقّانيّة نبوته صلى الله عليه وآله ، والإمامة لأهل بيته عليهم السلام .

(١) البقرة ٢ : ٢٥٦.

مَصادِرُ الكِتابِ

١ • كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج

الطبرسيّ، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب (- ٥٦٠هـ): تحقيق: إبراهيم البهادريّ و محمّد هادي به، الناشر: دار أُسوة - ايران، الطبعة السادسة / ١٤٢٥هـ.

٢ • الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد

الشيخ المفيد: أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبريّ البغداديّ (٣٣٦ - ٤١٣هـ): طبع وتحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام - قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٣ • أعيان الشيعة

الأمين العاملي، محسن (١٨٦٥ - ١٩٥٢م): دار التعارف للمطبوعات - بيروت / ٢٠٠٠م.

٤ • أمالي الصدوق

الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ - ٣٨١هـ): تحقيق ونشر: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة - قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٧هـ.

٥ • أمالي الطوسي

شيخ الطائفة، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (٣٨٥ - ٤٦٠هـ): تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسّسة البعثة، دار الثقافة - قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٤هـ.

٦ • بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار

العلّامة المجلسيّ، محمّدباقر بن محمّد تقي (١٠٣٧ - ١١١١هـ): دار إحياء التراث

العربي ـ بيروت / ١٩٨٩م.

٧ • البداية والنهاية في التاريخ = تاريخ ابن كثير

ابن كثير الدمشقيّ ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ) : تحقيق : مكتب تحقيق التراث ، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٣م.

٨ • البلد الأمين

الكفعميّ ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العامليّ الحارثيّ (٨٤٠ ـ ٩٠٥هـ): مؤسّسة قائم آل محمّد عجّل الله فرجه الشريف ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٩ • تاريخ الطبريّ = تاريخ الأُمم والملوك

الطبريّ ، أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن خالد (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ) : مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

١٠ • تحف العقول عن آل الرسول

ابن شعبة الحرّانيّ ، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين (من أعلام القرن الرابع الهجري) : دار الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة / ١٤٢١هـ.

١١ • تفسير السيوطي = الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور

السيوطيّ ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٨٤٩ ـ ٩١١هـ): تصحيح وتخريج الأحاديث : الشيخ نجدت نجيب ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م (٨ مجلّدات).

١٢ • تفسير الطبرسي = مجمع البيان

أمين الإسلام ، أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطوسيّ الطبرسيّ (٤٦٨ ـ ٥٤٨هـ) : تحقيق : السيّد هاشم الموسويّ المحلّاتي والسيّد فضل الله اليزديّ الطباطبائيّ ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م.

١٣ • التوحيد

الشيخ الصدوق: نشر وتحقيق: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثامنة / ١٤٢٣هـ.

١٤ • ثواب الأعمال وعقاب الأعمال

الشيخ الصدوق: تعليق: الشيخ حسين الأعلميّ ، الشريف الرضي / ١٤١٨هـ.

١٥ • جامع أحاديث الشيعة

الشيخ المعزّي الملايريّ ، إسماعيل: بإشراف آية الله البروجرديّ قدس سره ، طبع المطبعة العلميّة ـ قم المقدّسة / ١٣٩٩هـ

١٦ • جامع السعادات

النراقيّ ، مهدي بن أبي ذرّ (١١٢٨ ـ ١٢٠٩هـ): تعليق: مؤسّسة السيّدة المعصومة عليها السلام ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٥م.

١٧ • جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام

الشيخ النجفيّ ، محمّد حسن ابن الشيخ باقر ابن الشيخ عبدالرحيم (١٢٠٠ ـ ١٢٦٦): حقّقه وعلّق عليه وأشرف على طبعه: الشيخ عبّاس القوچانيّ ، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت / ١٤٠٠هـ.

١٨ • الخصال

الشيخ الصدوق: نشر وتحقيق: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين / ١٤٢٤هـ.

١٩ • ديوان أمير المؤمنين عليه السلام

نشر: مكتبة الأروميّة ـ قم المقدّسة.

٢٠ • رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال)

الشيخ الطوسيّ قدس سره : تصحيح وتعليق : الميرداماد الاسترباديّ ، تحقيق : السيّد مهدي الرجائيّ ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / ١٤٠٤ هـ.

٢١ • سنن الترمذيّ

الترمذيّ ، أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ) : تحقيق : عبدالوهاب عبداللطيف ، دار الفكر ـ بيروت ، الثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٢٢ • السيرة النبويّة

ابن هشام ، أبو محمّد عبدالملك بن هشام بن أيّوب الحميريّ (١٥١ ـ ٢١٨هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ٢٠٠٠م.

٢٣ • السيرة النبويّة

ابن كثير الدمشقيّ ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ): تحقيق: مصطفى عبدالرزّاق ، دار المعرفة ـ بيروت / ١٣٩٣هـ

٢٤ • شرح الأسماء الحسنى

السبزواريّ ، الملّا هادي (ـ ١٣٠٠هـ): مكتبة بصيرتي ـ قم المقدّسة.

٢٥ • شرح نهج البلاغة

ابن أبي الحديد = عزّ الدين أبي حامد عبدالحميد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين المدائنيّ المعتزليّ (٥٨٦ ـ ٦٥٥هـ) ، قدّم له وعلّق عليه : الشيخ حسين الأعلميّ ، نشر : مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

٢٦ • شواهد التنزيل لقواعد التفضيل

الحاكم النيسابوريّ ، عبيدالله بن عبدالله بن أحمد الحسكانيّ (ـ ٤٩٠هـ): مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة ـ بيروت / ١٤٢٧م.

٢٧ • صحيح البخاريّ

البخاريّ ، أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفيّ (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ): ضبطه ورقّمه: الدكتور مصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير ودار اليمامة ـ دمشق. الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م (٦ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

٢٨ • صحيح مسلم = الجامع الصحيح

القشيريّ النيسابوريّ، أبو الحسين مسلم بن حجّاج (٢٠٦ ـ ٢٦١هـ): دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٩ • **الصحيفة السجّاديّة** (أدعية الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام): تحقيق ونشر: مدرسة ومؤسّسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ قم المقدّسة، الطبعة الخامسة / ١٤٢٣هـ

٣٠ • الطبقات الكبرى

ابن سعد الواقدي، أبو عبدالله محمّد بن سعد بن منيع البصريّ الزهريّ (١٦٨ ـ ٢٣٠هـ): تحقيق: محمّد عبد القادر عَطا، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م (٨ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

٣١ • علل الشرائع

الشيخ الصّدوق: دار الحُجّة للثقافة ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ (جزءان في مجلّد).

٣٢ • عيون أخبار الرضا عليه السلام

الشيخ الصدوق: تحقيق: الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٤٠٤هـ.

٣٣ • عيون الحكم والمواعظ

الليثيّ الواسطيّ، أبو الحسن عليّ بن محمّد (القرن ٦ الهجري)، دار الحديث ـ قم المقدّسة / ١٤١٨هـ

٣٤ • الغارات

ابن هلال الثقفيّ، إبراهيم بن محمّد الكوفي (ـ ٢٨٣هـ): دار الكتاب الإسلاميّ ـ قم المقدّسة / ١٤١١هـ

٣٥ • غرر الحكم ودرر الكلم

الآمديّ، القاضي ناصح الدين أبي الفتح عبدالواحد بن محمّد التميميّ (ـ ٥٥٠هـ):

نشر : دار الهادي للطباعة والنشر ـ بيروت ، الطبعة الثانية / ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م .

٣٦ • فقه الرضا عليه السلام (المنسوب للإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام)

ابن بابويه القمّي ، عليّ بن الحسين (ـ ٣٢٩هـ): تحقيق : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، المؤتمر العالميّ للإمام الرضا عليه السلام ـ مشهد المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤٠٦هـ.

٣٧ • فيض القدير شرح الجامع الصغير

عبدالرؤوف المناويّ ، محمّد الشافعي (٩٥٢ ـ ١٠٣١هـ): تحقيق: أحمد عبدالسلام ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ

٣٨ • قرب الإسناد

الحميريّ ، أبو العبّاس عبدالله بن جعفر (ـ ٣١٠هـ): مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

٣٩ • الكافي

ثقة الإسلام الكلينيّ ، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الرازيّ (٣٢٨ ـ ٣٢٩هـ): مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

٤٠ • الكامل في التاريخ

ابن الأثير ، عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن محمّد بن أبي الكرم الشيبانيّ (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م.

٤١ • كمال الدين وتمام النعمة

الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : تصحيح وتعليق علي أكبر الغفّاريّ، نشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة ١٤٠٥هـ/ ١٣٦٣هـ ش.

٤٢ • كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال

المتّقيّ الهنديّ ، علاء الدين عليّ بن حسام الدين (٨٨٨ ـ ٩٧٥هـ) : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

٤٣ • مجموعة ورّام = تنبيه الخواطر ونزهة النواظر

المالكيّ الأشتريّ ، الأمير أبو الحسين ورّام بن أبي فراس (ـ ٦٠٥هـ): دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ، الطبعة الثانية / ١٣٦٨هـ.

٤٤ • المستدرك على الصحيحين

الحاكم النيسابوريّ ، محمّد (ـ ٤٠٥هـ): تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا ، نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٤٥ • مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل

المحدّث النوريّ ، الحاج الميرزا حسين بن محمّد تقي بن تقيّ الطبرسيّ (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠هـ): مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤٠٨هـ.

٤٦ • مسند أبي يعلى

أبو يعلى التميميّ الموصليّ، أحمد بن عليّ بن المثنّى (٤٥١ ـ ٥٢٦هـ): تحقيق حسين سليم، دار الثقافة العربية ـ دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (١٣ مجلّداً + مجلّدا الفهارس).

٤٧ • المصباح

الكفعميّ ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العامليّ الحارثيّ (٨٤٠ ـ ٩٠٥هـ): نشر مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٨ • مصباح المتهجّد

شيخ الطائفة: مؤسّسة فقه الشيعة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٤٩ • مطالب السؤول في مناقب آل الرسول

القرشيّ ، كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد بن الحسن الشافعيّ (٥٨٣ ـ ٦٥٢هـ): مؤسّسة أُمّ القرى ـ قم المقدّسة / ١٤٢٠هـ

٥٠ • مناقب آل أبي طالب

ابن شهرآشوب ، أبو جعفر رشيد الدين محمّد بن عليّ السرويّ المازندرانيّ (٤٨٨ ـ

٥٨٨هـ): نشر : دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٥١ • من لا يحضره الفقيه

الشيخ الصدوق: (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : تصحيح وتحقيق: علي أكبر الغفّاريّ، الطبعة الثانية.

٥٢ • نهج البلاغة

(مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام)

نشر : دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٥٣ • وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة

الحرّ العامليّ ، محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسين (١٠٣٣ ـ ١١٠٤هـ): مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٤١٦هـ.

مُحتوياتُ الكِتابِ

الباب الأوّل

التشريع والتشريعات الإسلاميّة

١١ ـ ١٦١

حكمة التشريع في المنظور الإسلاميّ ١٣

حكمة التشريع في روايات أهل البيت عليهم السلام ١٤

الانسجام العقليّ والفطريّ في الأحكام الشرعيّة ١٩

القسم الأوّل: المرونة والانسجام في الأحكام ١٩

مظاهر الانسجام في الدين الإسلاميّ: ١٩

الأوّل: الانسجام في المكان والزمان ٢٠

الثاني: الانسجام مع العقل ٢٠

الثالث: الانسجام مع الفطرة ٢٠

كيفيّة الانسجام بين الدين والعقل: ٢٠

الأوّل: الترابط بين الحكم الشرعيّ والعقليّ ٢١

الثاني: العقل لا يدرك جميع علل الأحكام ٢١

الثالث: الحكم تابع لعلّته ٢١

كيفيّة الانسجام بين الدين والفطرة .... ٢٢؟؟؟؟

أوّلاً: سهولة الأحكام الشرعيّة ٢٢
ثانياً: إلغاء بعض الأحكام الحرجيّة ٢٣
ثالثاً: قيام الدين على المصالح ودرء المفاسد ٢٤
نظرات خاطئة في فهم الدين: ٢٦
الأوّل: النظر للدين من زاوية ضيّقة ٢٦
الثاني: النظر للدين من زاوية شخصيّة ٢٦
القسم الثاني: الانعكاسات الإيجابيّة والسلبيّة للحكم الشرعيّ . ٢٧
أقسام الحكم الشرعيّ ٢٧
انعكاسات الحكم الشرعيّ: ٢٨
آثار الكذب ٢٨
آثار شرب الخمر ٢٨
آثار الزنا ٢٩
آثار الكبر ٢٩
آثار منع الحقوق الشرعيّة ٣٠
التعدّي على القانون الإلـٰهيّ ظلم ٣٠
الظلم مواجهة مع الله ٣١
حقيقة الدعوة المستجابة ٣١
عواقب الظلم ٣٢
الانعكاس الإيجابيّ للحكم الشرعيّ ٣٢
محور التكامل الإنسانيّ ٣٢
التشريع بين القانون الإلـٰهيّ والوضعيّ ٣٣
القسم الأوّل: المصلحة العامّة في واقع التشريع الإلـٰهيّ ٣٣
الوعي تجاه واقع التشريع الإسلاميّ ٣٣

مبدأ الخير والشرّ في نظر المشرّع ٣٤
التشريع مصدر الرقيّ الإنسانيّ ٣٤
الحكمة في التشريع الإلٰهيّ: ٣٥
الأوّل: أسرار تحريم الربا ٣٥
الثاني: أسرار تحريم الخمر والقمار ٣٦
مصالح الناس في عالمي الدنيا والآخرة ٣٦
الفرق بين التشريع الإلٰهيّ والتشريعات الأُخرى ٣٧
آثار مخالفة التشريع ٣٧
الزنا بين المفاسد وإرضاء النفس ٣٨
التشريع والرغبات النفسيّة ٣٩
نتائج الالتزام بالتشريع الإلٰهيّ ٤٠
القسم الثاني: الخير بين المشرّع الإنسانيّ والإلٰهيّ ٤١
مبرّرات عجز الإنسان عن التشريع المتكامل ٤١
الاختلاف في تشخيص الخير والشرّ ٤٢
مسؤوليّة الشرائع السماويّة في تحديد الخير والشرّ ٤٣
نظرة التشريع الإسلاميّ للخير والشرّ ٤٣
الخير بين الشريعة وموافقة الأكثريّة ٤٤
السعادة الأبديّة في اتّباع القرآن والعترة ٤٥
القسم الثالث: الأنبياء بين التشريع الإلٰهيّ وإصلاح القانون الوضعيّ ٤٦
أساليب الأنبياء في الدعوة: ٤٦
الأوّل: أُسلوب الحوار ومنطق الدليل ٤٧
الثاني: أُسلوب المواجهة العسكريّة والتحدّي ٤٧

الفرق بين القوانين الوضعيّة والتشريعات الإسلاميّة : ٤٨
الأوّل: تشريع حرمة الخمر ٤٨
الثاني: تشريع الحدود والقصاص ٤٩
تشخيص الخير والسعادة بيد الله تعالى ٤٩
التسليم بالتشريع الإلٰهيّ ٥١
عوامل تساعد على الالتزام بالتشريع : ٥١
أوّلاً: الصبر ٥١
ثانياً: التخلّص من الهوى ٥١
سعادة الإنسانيّة في اتّباع الأنبياء ٥٢
القسم الرابع : المبادئ الإنسانيّة ثوابت إسلاميّة في الحرب والسِّلْم ٥٣
دور الدوافع الإلٰهيّة في احترام كرامة الإنسان ٥٣
أهداف تشريع الجهاد في الإسلام ٥٥
كيفيّة الدعوة إلى الإسلام : ٥٥
أوّلاً: بيان حقيقة التوحيد ٥٥
ثانياً: بيان حقّانيّة رسالة النبيّ ﷺ ٥٥
الأمن واحترام الإنسان في الإسلام ٥٦
التسامح الدينيّ في رسالة النبيّ ﷺ ٥٩
رسالة النبيّ ﷺ بين الرحمة ونبذ العنف ٥٩
الإسلام يدعو إلى التسامح مع غير المسلم ٦١
التعامل مع غير المسلم في القرآن ٦١
مبدأ التعارف في نظر الإسلام ٦٢
الإسلام يدعو إلى الانفتاح العقديّ ٦٣

أُسلوب التعامل مع غير المسلم ٦٤
شموليّة الخطاب القرآنيّ لغير المسلم ٦٤
مراعاة الضوابط الشرعيّة عند الاختلاف ٦٧
اختلاف الطبيعة البشريّة ٦٧
الاختلاف المحمود ٦٨
الاختلاف بين موسى والخضر عليهما السلام ٦٨
الاختلاف في فهم النصوص الشرعيّة ٦٨
الاختلاف في روايات الهلال ٦٩
المباني الفقهيّة في ثبوت الهلال: ٧٠
الأوّل: اختلاف الآفاق ٧٠
الثاني: وحدة الأفاق مع الاشتراك في الليل ٧٠
الثالث: الرؤية بالعين المسلّحة ٧١
الرابع: الرؤية بالعين المجرّدة ٧١
الموقف من الاختلاف في ثبوت الهلال ٧٢
علاقة التقليد بثبوت الهلال ٧٢
السحر بمنظور شرعيّ ٧٥
السحر والغاية من الخلق ٧٥
الإسلام يحارب السحر ٧٦
حقيقة تأثير السحر ٧٦
موقف النبيّ صلى الله عليه وآله من السحر ٧٧
معالجة الخلافات الزوجيّة ٧٧
الرقية في مواجهة السحر ٧٨
الوقاية من السحر: ٧٩

الأوّل : قراءة القرآن الكريم ٧٩
تأثير آية الكرسيّ ٧٩
الثاني : الحوقلة ٨٠
الثالث : الصدقة ٨١
فلسفة الصوم العباديّة والاجتماعيّة ٨٣
الحِكمَة من الصوم : ٨٤
الأُولى : الجوع والعطش وارتباطه بالآخرة ٨٤
الثانية : الصوم يورث الخشوع والتواضع ٨٤
الثالثة : الصوم يُعلّمنا الصبر ٨٥
الرابعة : السيطرة على الغرائز ٨٥
الخامسة : ترويض النفس على آداء التكاليف الشرعيّة ... ٨٦
السادسة : مواساة الفقراء ٨٦
الأبعاد المعنويّة والاجتماعيّة للصوم ٨٩
مراتب الصوم المعنويّة : ٨٩
الأُولى : الوصول إلى رضا الله ٨٩
الثانية : السير في تحقيق صوم الجوارح ٩٠
الآثار المعنويّة للصوم : ٩١
الأوّل : الحكمة ٩١
الثاني : المعرفة ٩١
الثالث : اليقين ٩٢
الأثر الاجتماعيّ للصوم ٩٣
الصوم يحقّق العدالة العمليّة ٩٣
التفاعل الايجابيّ في شهر رمضان ٩٤

مراتب الصوم في البُعد المعنويّ ٩٥
آثار البعد المادّيّ والمعنويّ في الإنسان: ٩٥
خصائص الجانب المعنويّ ٩٦
خصائص الجانب المادّيّ ٩٧
دور الصوم في ربط الإنسان ببعده الحقيقيّ ٩٨
شرائط الصوم الحقيقيّ: ٩٩
الأوّل: التغيير ٩٩
الثاني: الارتقاء ٩٩
الثالث: الارتباط بالله ١٠٠
كيفيّة الوصول إلى الجانب المعنويّ ١٠٠
الصوم رقيّ نحو درجات الكمال ١٠٣
النتائج المترتّبة على الصوم: ١٠٣
الأوّل: الوصول إلى أعلى الدرجات ١٠٣
شروط الوصول للدرجات العالية: ١٠٤
الأُولى: اقتران الصوم بالعبادات الأُخرى ١٠٤
الثانية: العفاف عن المحرّمات ١٠٤
الثالثة: السيطرة على الجوارح ١٠٤
الثاني: خروج الصائم من ذنوبه ١٠٤
الثالث: التعوّد على الالتزام الدائم ١٠٥
الرابع: الهيبة والوقار ١٠٥
الخامس: التعوّد على قلّة الكلام ١٠٦
السادس: الصبر عن الشهوات ١٠٦
السابع: التقليل من اللهو والضحك ١٠٦

هدف الصوم ١٠٦
تحقيق هدف الصوم ١٠٧
الأُمور التي تساعد للوصول إلى الهدف: ١٠٧
الأوّل: قيام الليل ١٠٨
الثاني: المواظبة على قراءة الأدعية ١٠٨
الاستفادة من الأدعية في التغيير: ١٠٩
الأوّل: العمل بالأسباب ١٠٩
الثاني: المساهمة في تغيير المجتمع ١٠٩
التكامل المعنويّ هدف لتشريع الصوم ١١١
مراحل الوصول إلى الكمال: ١١١
الأُولى: مرحلة التفكّر ١١١
الثانية: مرحلة الإرادة ١١٢
الثالثة: مرحلة العزم ١١٢
الجانب التطبيقيّ للمراحل الثلاث ١١٣
الأوّل: فهم حقيقة الصوم ١١٣
الثاني: إرادة الوصول للخضوع لله ١١٤
الثالث: العزم على التأسّي بالنبيّ صلى الله عليه وآله ١١٤
الوصول إلى تقوى الله ١١٥
الآثار التكامليّة لصيام شعبان ١١٧
آثار صيام شهر شعبان: ١١٧
الأوّل: الوقاية من الذنوب ١١٨
الثاني: التكفير عن الوصمة ١١٨
الثالث: الوقاية من البادرة ١١٨

صلابة الإرادة من آثار الصوم ١١٩
صلابة الإرادة طريق التكامل المعنويّ ١٢٠
اكتساب الخضوع والخشوع ١٢٠
ترويض النفس على الصبر ١٢١
حقيقة الصوم ١٢١
نيل شفاعة المصطفى صلى الله عليه وآله ١٢٢
السيطرة على الجوارح ١٢٢
أهمّيّة الصوم في تربية الإرادة ١٢٣
شهر الله خصائص ومميّزات ١٢٥
الأُولى: شهر القرآن الكريم ١٢٥
الثانية: غفران الذنوب ١٢٦
الثالثة: شهر الرحمة ١٢٧
وصيّة الإمام الصادق عليه السلام لأولاده ١٢٨
الرابعة: تقسيم الأرزاق وكتابة الآجال ١٢٩
الخامسة: كتابة وفد الله تعالى ١٢٩
السادسة: عيد المؤمنين وأيّام فرحهم ١٢٩
السابعة: انحصار قدرة الشيطان ١٣٠
بركات شهر الصيام ١٣٢
صوم رمضان زادٌ في تقوى الرحمن ١٣٥
الحِكَم والمصالح من العبادات ١٣٥
ارتباط التقوى بالولاية لله ١٣٦
الآثار المترتّبة على التقوى ١٣٦
آثار التقوى في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ١٣٨

آثار التقوى في خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله ١٤٠
الخصائص التكوينيّة للتكامل في شهر رمضان ١٤٣
خصائص شهر رمضان: ١٤٤
الأُولى: التأثير الزمانيّ لشهر رمضان ١٤٤
الثانية: التأثير المعنويّ لشهر رمضان: ١٤٤
الأوّل: الأنفاس تسبيح ١٤٥
الثاني: النوم عبادة ١٤٥
الثالثة: التأثير الأخلاقيّ لشهر رمضان: ١٤٥
الأوّل: الخير في حسن الخلق ١٤٥
الثاني: الخلق الحسن يمحو الخطايا ١٤٦
الثالث: الخلق والأمن من العذاب ١٤٦
الرابعة: التأثير القرآنيّ في شهر رمضان ١٤٦
الخامسة: خصوصيّة الورع في شهر رمضان ١٤٧
الطريق نحو الورع ١٤٧
المجاهدة نحو التورّع ١٤٨
الصوم طريق نحو التقوى ١٤٨
هدف تشريع الصوم ١٤٩
مكتسبات شهر رمضان ١٥١
الأوّل: الارتباط الوثيق بالقرآن الكريم ١٥١
الثاني: الإخلاص في العبادة ١٥٢
الثالث: الصبر ١٥٣
الرابع: الخلق الكريم ١٥٤
مكتسبات غيبيّة ١٥٦

زكاة الفطرة في أبعادها الواقعيّة ١٥٧
الأوّل : البعد العقديّ في البعث نحو أداء الزكاة ١٥٧
الثاني : البعد الفقهيّ وشرائط الزكاة ١٥٩
مقدار الفطرة ونوعها ١٥٩
الثالث : البعد الاجتماعيّ للزكاة ودوره في إغناء الفقير ١٦٠
الرابع : البعد التكوينيّ في علاقة الموت بترك الزكاة ١٦١

الباب الثاني
الأمّة الإسلاميّة
١٦٣ ـ ٣١١

أُسس التقدّم الحضاريّ للبشريّة ١٦٥
القسم الأوّل : التكريم الإلـٰهيّ للإنسان ١٦٥
التكريم الإلـٰهيّ للإنسان ١٦٥
سبب الانتكاسات الإنسانيّة ١٦٥
تقدُم الإنسان حضاريّاً ١٦٦
أهمّيّة التكريم الإنسانيّ ١٦٦
مظاهر تكريم الإنسان ١٦٦
سبب تكريم الإنسان ١٦٧
موجبات تخلّف الإنسان : ١٦٨
الأوّل : ترك السير في الصراط الإلـٰهيّ ١٦٨
الأُولى : السلطة ١٦٨
الثاني : الترفّع الاجتماعيّ ١٦٨
الثاني : الأنانيّة وبخس جهود الآخرين ١٦٩
نظريّة التنمية المستدامة ١٧٠

عوامل التقدّم الإنسانيّ ١٧٠
الإنسان محور التطوّر ١٧٠
مخالفة القانون تنافي التكريم ١٧١
حفظ كرامة الإنسان ١٧١
القسم الثاني: مقوّمات تطبيق القانون ١٧٢
الإنسان محور التطوّر ١٧٢
موجبات التنمية المستدامة ١٧٢
أساس التمييز الإنسانيّ ١٧٣
محاور الخطاب الإلٰهيّ لداود عليه السلام: ١٧٣
أوّلاً: الالتزام بالقانون ١٧٣
ثانياً: السعي لتطبيق القانون بنحو كامل ١٧٤
ثالثاً: عقوبة عدم تطبيق القانون ١٧٤
العلاقة بين الحاكم والمحكوم: ١٧٥
الأوّل: الحوار مع الحاكم ١٧٥
الثاني: عدم التهيّب من الحاكم ١٧٥
النبيّ يربّي أصحابه على الحوار ١٧٦
الحاكم ممثّل الله في الأرض ١٧٦
مخالفات الحاكم الظالم ١٧٧
حقوق الإنسان في العصر الحديث ١٧٧
الجمهورية الفرنسيّة وحقوق الإنسان ١٧٨
الممثّل الحقيقيّ للسلطة الإلٰهيّة ١٧٩
مأساة التطبيق الخاطئ للدين ١٧٩
القسم الثالث: القانون مبدأ العدالة الاجتماعيّة ١٧٩

إرساء قواعد القانون: ١٨٠
الأوّل: التطبيق للقانون ١٨٠
الثاني: المساواة أمام القانون ١٨٠
المساواة في تطبيق القانون ١٨١
أسباب تقهقر الأُمم ١٨٢
التطبيق للقانون في الإسلام ١٨٢
الاستقامة في تطبيق القانون ١٨٣
عقوبة التجاوزات القانونيّة ١٨٣
منهج القرآن في تطبيق القانون ١٨٣
تطبيق القانون عند الإمام عليّ عليه السلام ١٨٤
تطبيق القانون بقاء للحكم ١٨٥
القسم الرابع: مقوّمات تطبيق القانون ١٨٥
معالم سلوكيّة في شخص النبيّ صلى الله عليه وآله: ١٨٥
الأوّل: الرفق والرحمة ١٨٦
النبيّ مع جاره اليهوديّ ١٨٦
موقف مع أهل مكّة ١٨٦
رحمة النبيّ بالبشريّة ١٨٧
مبدأ الشفقة عند النبيّ صلى الله عليه وآله ١٨٧
الثاني: الجاذبيّة في الخُلق النبويّ ١٨٨
الثالث: الصفح والعفو ١٨٨
أُسلوب النبيّ صلى الله عليه وآله في معالجة الخطأ ١٨٩
الرابع: تأصيل مبدأ الاستشارة ١٨٩
رسم معالم مستقبل الأُمّة ١٨٩

تطبيق مبدأ الاستشارة ١٩٠
أُسس التقدّم والنجاح ١٩١
القسم الأوّل: الشباب واستغلال أسباب التقدّم ١٩١
التداخل بين روافد التقدّم الإنسانيّ ١٩١
عوامل التقدّم الإنسانيّ: ١٩٢
الأوّل: علم الأخلاق وعلم الإدارة ١٩٢
الثاني: تجسيد القواعد النظريّة في الحياة العمليّة ١٩٣
الثالث: التدرج في التطبيق ١٩٤
الرابع: السعي الدؤوب المستمرّ ١٩٥
الخامس: أداء الوظائف بامتياز ١٩٦
السادس: تفعيل قابليّة المتلقّي ١٩٦
القسم الثاني: معرفة النفس ومبدأ الاختيار ١٩٧
الأوّل: معرفة النفس ١٩٧
معرفة النفس طريق معرفة الربّ ١٩٧
معرفة النفس توجب السعادة ١٩٨
معرفة النفس غاية الخلق ١٩٨
حقيقة معرفة النفس ١٩٨
فائدة معرفة النفس ١٩٩
الثاني: مبدأ الاختيار منطلق التقدّم ١٩٩
حقيقة اختياريّة الإنسان ٢٠٠
أهمّيّة الوعي بمبدأ الاختيار ٢٠٠
مبدأ الاختيار من أُسس النجاح ٢٠١
العلاقة بين عالمي المادّة والمعنى ٢٠١

التطوّر المعنويّ في حركة الإنسان ٢٠١
أُسس النجاح في الاستفادة من النعم ٢٠١
مبدأ الاختيار وشبهات الجبر ٢٠٢
محور الرقيّ في الأديان السماويّة ٢٠٢
القسم الثالث: الاستفادة من النعم الإلـهيّة ٢٠٣
الاستفادة من نِعم الله تعالى ٢٠٣
سلبيّات الغفلة عن نِعم الله تعالى: ٢٠٤
الأوّل: الكفران والطغيان على المولى ٢٠٤
الثاني: الإضرار الكبير بالإنسان ٢٠٤
الالتفات إلى النعم يؤدّي إلى الشكر ٢٠٥
الابتلاء إيقاظ من الغفلة ٢٠٦
الشيطان والغفلة عن نِعم الله تعالى ٢٠٦
الشيطان سبب نسيان نِعم الله تعالى ٢٠٧
خطر الشيطان على الإنسان ٢٠٧
الغفلة سبب للطبع على القلب ٢٠٨
نتائج الطبع على القلب ٢٠٨
مفتاحان للتخلّص من الغفلة: ٢٠٨
الأوّل: الاستفادة من النعم ٢٠٨
الثاني: المداومة على ذكر الله تعالى ٢٠٩
خلاصة ما تقدّم في نقاط ثلاث: ٢٠٩
القسم الرابع: التغيير نحو الأفضل ٢٠٩
إدراك النعم بداية التغيير ٢١٠
ركائز التغيير ٢١٠

التغيير يوصل إلى الكمال ٢١٠

شرائط التغيير: ٢١٠

الأوّل: الجزم بأنّ ما يعتقد به يصل إليه ٢١١

الثاني: العمل وفق ما يعتقد به ٢١١

الثالث: التعرّف على آليات التغيير ٢١١

الفرق بين الأُمنية والاعتقاد: ٢١١

الأوّل: الأُمنية لا تقترن بالعمل ٢١٢

الثاني: الأمنية لا حقيقة لها ٢١٢

الثالث: المتمنّي لا يستثمر قدراته ٢١٢

الرابع: لا صورة في الذهن للأُمنية ٢١٢

الأُمنية في القرآن ٢١٢

التغيير نحو الكمال في الروايات: ٢١٣

الأُولى: السعي والجدّ لنيل المطلوب ٢١٣

الثانية: الثبات على ما يعزم عليه ٢١٣

الثالثة: الجدّ والعمل وترك الأماني ٢١٤

أساسيّات التغيير ٢١٥

التناسب بين علوّ الطموح والعمل له ٢١٥

القسم الخامس: دور القدوة في النجاح ٢١٦

أهمّيّة القدوة: ٢١٦

الأوّل: شعور النفس بالطمأنينة ٢١٦

الثاني: تذليل الصعاب ٢١٧

الثالث: الوصول إلى مدارج المجد ٢١٨

الفشل تجربة للنجاح ٢١٩

قصّة وعِبرة للوصول إلى النجاح ٢١٩
النجاح قانون عامّ ٢٢٠
الاستفادة من تجارب الآخرين ٢٢٠
القدوة دروس في الصمود ٢٢١
القسم السادس : مبادئ الهدف الطموح ٢٢١
أهمّيّة تحديد الهدف ٢٢٢
سلبيّات عدم التخطيط الهادف ٢٢٢
مبادئ تحقيق الهدف : ٢٢٢
الأوّل: الإعداد المسبق ٢٢٢
الثاني: تجاوز العقبات ٢٢٣
الثالث: تحديد مجال التخصّص ٢٢٣
الرابع: الاستمرار في التطوير ٢٢٤
الخامس: شحذ الهمّة ٢٢٤
السادس: الاستفادة من تجارب الآخرين ٢٢٥
السابع: الثبات والتغلّب على الصعوبات ٢٢٦
الهدف جزء من الشخصيّة ٢٢٧
القسم السابع : مبادئ السير والسلوك إلى الله تعالى ٢٢٨
محاور السير والسلوك إلى الله ٢٢٩
شموليّة السير والسلوك إلى الله : ٢٢٩
الأوّل: العلم بإحاطة الله تعالى ٢٢٩
أوّلاً: تجنّب الوقوع في السوء ٢٢٩
ثانياً: عدم الإضرار بالناس ٢٣٠
عواقب الإضرار بالناس ٢٣٠

الثاني: الرقابة الذاتيّة ٢٣١

الرقابة في المنهج والاتّباع ٢٣٢

الثالث: حساب الربح والخسارة ٢٣٣

طرق تجاوز السلبيّات في الخسارة: ٢٣٣

الأوّل: تلافي الأعمال السيّئة ٢٣٣

الثاني: تلافي النقص في العمل ٢٣٤

الثالث: تلافي إهدار الوقت ٢٣٤

مفهوم اللعن العامّ والخاصّ ٢٣٥

نتائج محاور السير والسلوك ٢٣٦

القسم الثامن: الالتجاء إلى الله تعالى ٢٣٦

معوّقات الطموح ٢٣٧

تأثير المصائب على الطموح ٢٣٧

الحصانة من تأثير الابتلاء ٢٣٨

أوقات استجابة الدعاء ٢٣٨

تراث أهل البيت عليهم السلام في شهر رجب ٢٣٨

الأُولى: حصر الرجاء في الله تعالى ٢٣٩

الثاني: آثار اللجوء إلى الله تعالى ٢٤٠

أوّلاً: رفع البلاء والأمراض ٢٤٠

ثانياً: الحفظ والحصن القويّ ٢٤١

ثالثاً: دفع الهمّ وإزالة الكرب ٢٤١

رابعاً: تقوية الإيمان والعزيمة ٢٤١

خامساً: حصول الأمن ونزول الخيرات ٢٤٢

سادساً: الوصول إلى أعلى المراتب ٢٤٣

المنهج القرآنيّ في وحدة الأُمّة ٢٤٥
تشريع العبادات الجماعيّة ٢٤٥
الأساس الجامع يتجاوز الاختلاف ٢٤٦
الربوبيّة والمساواة مشترك إسلاميّ ٢٤٧
أهل البيت عليهم السلام والمصلحة الجماعيّة ٢٤٧
محور المصلحة الجماعيّة ٢٤٨
المنهج القرآنيّ في اختلاف الناس ٢٤٨
التأثير الإيجابيّ للمنهج القرآنيّ ٢٤٩
المنهج النبويّ في وحدة الأُمّة ٢٤٩
سيرة أهل البيت عليهم السلام في وحدة الأُمّة ٢٥٠
طرق الوصول إلى المنهج الوحدويّ: ٢٥٠
النقطة الأُولى: نبذ التشرذم ٢٥٠
الثانية: التركيز على الوحدة ٢٥١
الوحدة منهج علماء الأُمّة ٢٥١
الموقف تجاه من يهدم أُسس الوحدة ٢٥١
الأوّل: تقديم المصلحة العامّة ٢٥٢
الثاني: الالتزام بالقانون ٢٥٢
الثالث: عدم الانجرار مع الفتنة ٢٥٢
أُسس الوحدة الإسلاميّة ٢٥٣
أهمّيّة الوحدة ٢٥٣
الترابط بين أفراد الأُمّة ٢٥٤
المسؤوليّة الفرديّة تجاه الأُمّة ٢٥٤
الترابط الأخويّ في الجانب العمليّ ٢٥٥

حقوق الإخاء والترابط ٢٥٦
كيفيّة تعامل المسلم مع الآخر: ٢٥٧
الأوّل: قضاء حاجة المسلم ٢٥٧
الثاني: أداء النصيحة ٢٥٧
مصير المسلمين في ظلّ الأُخوّة ٢٥٨
الوحدة الإسلاميّة منشأ السلّم الاجتماعيّ ٢٦١
الوحدة الإسلاميّة مبدأ عقديّ ٢٦١
مصدر الخطر على الوحدة الإسلاميّة ٢٦٢
معالجة الفكر الممزّق للأُمّة ٢٦٢
الوسطيّة منهج أهل البيت عليهم السلام ٢٦٣
الفكر المتطرّف وشرذمة الأُمّة ٢٦٣
السياسة النبويّة في رسم معالم الوحدة ٢٦٣
الأوّل: كلمة التوحيد مشترك إسلاميّ ٢٦٤
الثاني: منع العمل بالحدس والظنّ ٢٦٤
الأوضاع الحرجة في المدينة ٢٦٥
معالجة الوضع المتأزّم: ٢٦٥
الأُولى: التحاكم إلى القانون ٢٦٥
الثانية: التمثّل بصفات أهل البيت عليهم السلام ٢٦٦
الثالثة: نبذ الفكر التكفيريّ ٢٦٦
الرابعة: إظهار محاسن الإسلام ٢٦٦
الأُمّة الإسلاميّة بين المنهج والتطبيق ٢٦٧
مقوّمات الأُمّة الإسلاميّة ٢٦٧
وظيفة الأُمّة الإسلاميّة ٢٦٨

خصائص الأُمّة الإسلاميّة ٢٦٨
الرقابة العامّة: ٢٦٩
الأُولى: الأمر بالمعروف ٢٦٩
الثانية: النهي عن المنكر ٢٦٩
ضوابط المعروف والمنكر ٢٦٩
الثالثة: الإيمان بالله تعالى ٢٧١
الرابعة: اللين والشدّة في الدعوة ٢٧١
السبب الرئيس في تخلّف الأُمّة الإسلاميّة ٢٧٢
النبيّ صلى الله عليه وآله و أصحاب الأُفق الضيّق ٢٧٣
موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الخوارج ٢٧٣
أثر الأُفق الضيّق في العصر الحاضر ٢٧٤
وحدة الأُمّة منطلق التوحيد العقديّ ٢٧٧
الإيمان بالقرآن أساس وحدة الأُمّة ٢٧٧
مفهوم ضيق للوحدة ٢٧٧
الوحدة في بُعدها الإسلاميّ: ٢٧٨
الأوّل: حقيقة الوحدة بين المسلمين ٢٧٨
الثاني: الرسول صلى الله عليه وآله يُنَظِّر لثقافة الاختلاف ٢٧٨
الثالث: المرجع عند الاختلاف ٢٧٩
الرابع: إبداء حُسن النيّة تجاه الآخر ٢٨٠
أسباب التطرّف الدينيّ: ٢٨١
الأوّل: المستوى الفكريّ والثقافيّ للإنسان ٢٨١
الثاني: المجتمع المنغلق على نفسه ٢٨١
من يُعبّر عن فكر وآراء كلّ فرقة؟ ٢٨٢

الفرق بين الاختلاف السياسيّ والدينيّ ٢٨٢
التركيز على الوحدة الإسلاميّة ٢٨٣
المنهج الإسلاميّ في التعامل مع الآخر ٢٨٥
القسم الأوّل: الوسطيّة في مواجهة التطرّف ٢٨٥
الوسطيّة في القرآن ٢٨٥
تاريخ التطرّف ٢٨٥
الغلوّ سبب التطرّف ٢٨٦
خسارة الأُمّة بالتطرّف ٢٨٦
الوسطيّة في مدلولها ٢٨٧
الوسطيّة والعدل ٢٨٧
النبيّ ﷺ والوسطيّة: ٢٨٧
الأوّل: بذل المحبّة ٢٨٧
الثاني: التهادي ٢٨٨
الثالث: أداء الأمانة ٢٨٨
الرابع: ترك المعاصي ٢٨٨
خطر مداهنة الظالمين ٢٨٩
توقير العلماء ٢٨٩
احترام الأخيار ٢٩٠
نتائج الانحراف عن الوسطيّة: ٢٩٠
الأوّل: حرمان لطف الله ٢٩٠
الثاني: تسلّط الظالم ٢٩٠
العدل في الوسطيّة ٢٩٠
المسلم الوسطيّ ٢٩١

منهجيّة أهل البيت عليهم السلام الوسطيّة ٢٩١
الإمام عليّ عليه السلام في تبيان الوسطيّة ٢٩١
موقف الإمام عليّ عليه السلام من التطرّف ٢٩٢
القسم الثاني: النتائج السلبيّة في التعامل مع الآخر ٢٩٢
تحمّل الأذى والصفح ٢٩٣
الأُسلوب الأمثل لتلافي الأخطاء: ٢٩٣
الأوّل: التغاضي ٢٩٣
الثاني: الصبر على الإيذاء ٢٩٤
الثالث: تجنّب ردّة الفعل السلبيّة ٢٩٤
ظواهر سلبيّة في الأُمّة: ٢٩٤
الأوّل: زلّة العالم ٢٩٥
الثانية: جدل المنافق ٢٩٥
الثالث: المصالح الفرديّة ٢٩٦
الرابع: ترك مقتضى الحكمة ٢٩٦
الخامس: التأويل السيّئ ٢٩٧
السادس: أئمّة الضلال ٢٩٧
تحذير الأُمّة ٢٩٧
المرجعيّة مواقف وسلوك تجاه الإرهاب ٢٩٩
التطرّف والغلوّ قديماً ٣٠٠
التطرّف والغلوّ حديثاً ٣٠٠
الواقع الحقيقيّ لسلوك الخوارج ٣٠٠
أهل البيت عليهم السلام والوسطيّة ٣٠٢
منهج المرجعية امتداد لأهل البيت عليهم السلام ٣٠٢

مبدأ العدالة في أهداف المرجعيّة ٣٠٣
علاج التطرّف والإرهاب ٣٠٣
العدالة مبدأ الدولة الإسلاميّة ٣٠٤
الأُخوة في المنظور الإسلاميّ ٣٠٥
ضرورة توثيق الارتباط العقديّ ٣٠٥
مجالات الارتباط الأُخويّ ٣٠٦
ثمار الأُخوّة الإسلاميّة : ٣٠٦
الأُولى : تأثير الأُخوّة على المجتمع ٣٠٧
الثانية : تأثير الأُخوّة على الفرد ٣٠٧
عوامل توثيق العلاقة الأخويّة بالمجتمع : ٣٠٨
أوّلاً : مداراة الناس ٣٠٨
ثانياً: مرونة التعامل ٣٠٩
عناصر مؤثّرة في الارتباط بالآخرين ٣٠٩
رؤية شموليّة لحقّ المسلم على المسلم ٣١٠

الباب الثالث

التاريخ

٣١٣ ـ ٣٤٠

دروس مستوحاة من معركة أُحُد ٣١٥
أسباب المعركة : ٣١٥
الأوّل : العامل النفسيّ ٣١٥
الثاني : العامل الاقتصاديّ ٣١٦
الثالث : العامل التحريضيّ ٣١٦
الدروس التي نستفيدها من المعركة : ٣١٦

الأوّل : مبدأ الشورى في نهج النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ٣١٦
الثاني : التأييد الإلـهيّ في آراء النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ٣١٨
الثالث : الانصياع لأوامر القائد ٣١٨
نتائج عدم الانصياع لأوامر النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ٣٢١
مقارنة بين المعسكر الإيمانيّ ومعسكر المشركين ٣٢٢
المعطيات التاريخيّة والأخلاقيّة في معركة حُنين ٣٢٥
الأبعاد المتعدّدة للمعركة ٣٢٥
القبائل التي حاربت النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ٣٢٦
الخيار العسكريّ عند النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ٣٢٦
المسلمون بين الهزيمة والنصر ٣٢٧
الغنائم المادّيّة من المعركة ٣٢٧
حكمة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله في توزيع الغنائم ٣٢٨
موقف بعض المسلمين من توزيع النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ٣٢٨
خُلقُ النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله بعد الانتصار ٣٣١
دروس وعبر مستوحاة من المباهلة ٣٣٥
لقاء النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله بنصارى نجران ٣٣٥
الحوار العقديّ بين النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله والنصارى ٣٣٦
دروس وعِبَر من المباهلة ٣٣٩

مَصادِرُ الكِتابِ

٣٤١ ـ ٣٤٨

مُحتوياتُ الكِتابِ

٣٤٩ ـ ٣٧٣